من مكتبة التراث

نوادر الأصول

في أحاديث الرسول

تأليف

محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم
الترمذي

المجلد الثالث

حقق أصوله وخرج أحاديثه
الدكتور عبد الرحمن عميرة

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

نوادر الأصول

في أحاديث الرسول

الأصل الثامن والمائتان

في سر شهادة العطاس

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: من حدث بحديث فعطس عنده، فهو حق[1].

العطسة تنفس الروح وتحننه إلى الله تعالى؛ لأنها من الملكوت. فإذا تحرك ساطعاً عند حديث فهو شاهد يخبرك عن صدقه وحقه.

قال (عليه السلام): إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعُطَاسَ وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ[2]. فإذا

(١) الحديث رواه أبو يعلى عن أبي هريرة رفعه، وأخرجه الطبراني والدارقطني في الافراد بلفظ: من حدث بحديث فعُطس عنده، والبيهقي وقال منكر، وقال غيره باطل ولو كان سنده مثل الشمس، لكن قال النووي في فتاويه له أصل أصيل انتهى. وقال في الدرر تبعاً للزركشي حسنه النووي وأخطأ من قال: إن الحديث باطل انتهى. وقال في المقاصد وله شواهد عند الطبراني عن أنس مرفوعاً أصدق الحديث ما عطس عنه، وفي معرفة الصحابة وسند الديلمي عن أبي رهم مولى رسول الله ﷺ مرفوعاً: من سعادة المرء العطاس عند الدعاء والكلام عليه مستوفى في تخريج الأذكار.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأدب باب ٧ ما جاء إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب ٢٧٤٧ عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال وذكره. ورواه البخاري في كتاب الأدب ١٢٥، ١٢٨ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٦٥، ٤٢٨، ٥١٧ (حلبي).

عطس أحدكم فحمد الله، فحق على كل مسلم سمعه يشمته. والتثاؤب من الشيطان. فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع. فإن أحدكم إذا قال: « هاه »، ضحك الشيطان منه.

وقال عمر (رضي الله عنه) : لعطسة واحدة عند حديث أحب إليّ من شاهد عدل.

وقال رسول الله ﷺ: الفال مرسل، والعاطس شاهد عدل[1].

قوله: « الفال مرسل » مثل ما يروى أنه ﷺ سمع رجلاً يقول في العسكر: يا حسن. فقال: أخذنا فالك من فيك[2]. واستقبله بريدة في طريق الهجرة فقال: ما اسمك؟ قال بريدة: فالتفت إلى أبي بكر (رضي الله عنه) فقال: برد أمرنا. قال: ممن؟ قال: من أسلم. قال سلمنا يا أبا بكر[3].

ومعناه أن هذه الأسماء مما يرسله الله تعالى حتى يستقبلك كالبشير لك. فإذا تفاءلت، فقد أحسنت به الظن. والله سبحانه وتعالى عند ظن عبده.

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: عطس عثمان بن عفان (رضي الله عنه) عند رسول الله ﷺ ثلاث عطسات متواليات، فقال له رسول الله ﷺ: يا عثمان ألا أبشرك هذا جبرائيل يخبرني عن الله تعالى أنه قال: « ما من مؤمن يعطس ثلاث عطسات متواليات، إلا كان الإيمان في قلبه ثابتاً ».

---

(١) أخرجه أبو نعيم عن أبي هريرة، وللطبراني في الأوسط عن أبي هريرة من حُدِّث بحديث فعطس عنده فهو حق.

(٢) الحديث رواه أبو داود في كتاب الطب باب في الطيرة ٣٩١٧ ـــ ثنا وهيب، عن سهيل، عن رجل عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سمع كلمة فأعجبته فقال: وذكره.

الأصل التاسع والمائتان

في النهي عن الجلوس على القبور

عن أبي مرثد الغنوي (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها[1].

نهى أن يوطأ القبر أو يجلس عليه استهانه به، إقامة لحرمة المسلم بعد موته.

وعن معاذ (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ كان يكره أن توطأ القبور إعظاماً للمسلمين وإكراماً لهم، ويكره أن يتخذ القبور مسجداً وقبلة يصلى إليها. فإن أهل الجاهلية كانوا يفعلون ذلك.

وروى بشر بن الخصاصية أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يمشي في القبور في نعلين. فقال: يا صاحب السبتين اخلع.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الجنائز ٢٣ النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ٩٧ — (٩٧٢) حدثنا الوليد بن مسلم عن ابن جابر عن بسر بن عبيدالله عن واثلة، عن أبي مرثد الغنوي قال: قال رسول الله ﷺ وذكره، ورواه أبو داود في الجنائز ٧٣ والترمذي في الجنائز ٥٧ والنسائي في القبلة ١١ وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ١٣٥ (حلبي).

وفي رواية أخرى: ألق سبتيك لا تشغله.

هذا يدل على إقامة الحرمة وتعظيم شأن المسلم أن يمشي المرء على أعظم مدفونة قد اختبأها الرب (عز وجل) واختارها لمحبته ملكاً في الجنان في جواره.

وقال (عليه السلام) لمن رآه جالساً على قبر: انزل عن القبر لا تؤذ صاحبك ولا يؤذيك.

معناه أن الأرواح تعلم بترك إقامة الحرمة وبالاستهانة فتتأذى بذلك.

الأصل العاشر والمائتان

في أن أبا بكر (رضي الله عنه) ويومه خير من مؤمن آل فرعون

عن عمر (رضي الله عنه) قال: ما نيل من رسول الله ﷺ ما نيل منه ذات يوم أنه كان يطوف بالبيت فدخلوا عليه، فقطعوا عليه الطواف، وأخذوا بتلابيبه وقالوا: أنت الذي تنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا؟ قال: هو ذاك. وأبو بكر (رضي الله عنه) ملتزمه من خلفه، وهو يقول : أتقتلون رجلاً أن يقول : ربي الله ؟! وعيناه تهملان، فخلوا سبيله[1].

مرتبة أبي بكر (رضي الله عنه) من الدين، ومحله من الإسلام أن يذب عن رسول الله ﷺ وحده، ولم يهب شرقي الدنيا وغربيها.

---

(١) الحديث رواه ابن أبي حاتم حدثنا هارون بن اسحاق الحمداني حدثنا عبدة عن هشام يعني ابن عروة عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سئل ما أشد ما رأيت قريشاً بلغوا من رسول الله قال: وذكره ورواه النسائي فجعله من حديث عبدة من مسند عمرو بن العاص ــ رضي الله عنه وذكره ابن كثير في التفسير ٤: ٧٧.

وقال الحسن (رضي الله عنه): عاتب الله تعالى جميع أهل الأرض غير أبي بكر، فقال: ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا...** ﴾[1].

وعن سالم بن عبيد قال: لما قبض النبي ﷺ قال رجل من الأنصار: منا أمير ومنكم أمير. قال عمر (رضي الله عنه): سيفين في غمد لا يصطلحان. ثم أخذ بيد أبي بكر، فقال: من له هذه الثلاثة: ﴿ **ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا** ﴾[2]. ثم بايعه فبايع الناس أحسن بيعة وأجملها.

وعن علي (رضي الله عنه) قال: اجتمعت قريش بعد وفاة أبي طالب بثلاث، فأرادوا قتل رسول الله ﷺ، فأقبل هذا يجاؤه وهذا يتلتله إلا أبو بكر وله ضفيرتان، فأقبل يجأ ذا[3] ويتلتل[4] ذا ويقول بأعلى صوته: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، والله إنه لرسول الله. فقطعت إحدى ضفيرتي أبي بكر يومئذ. فقال علي (رضي الله عنه): ليوم من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون. إن ذلك رجل كتم إيمانه فأثنى الله تعالى عليه في كتابه. وهذا أبو بكر أظهر إيمانه وبذل ماله ودمه لله تعالى.

وعن أسماء[5] بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) أنهم قالوا لها:

---

(١) (٢) سورة التوبة آية رقم ٤٠.

(٣) وجأه يجؤه: مثل وضعه يضعه. وهو رضُّ عروق البيضتين.

(٤) تلتله: زعزعه وأقلقه وزلزله، وتله للجبين: صرعه كما تقول: كبه لوجهه.

(٥) زوج الزبير بن العوام — روت عن النبي — ﷺ وعنها ابنها عبد الله وعروة ابنا الزبير وأحفادها، وعبد الله بن عباس ومسلم المعري وغيرهم — وكانت تسمى ذات النطاقين — وقد بلغت مائة سنة لم يسقط لها سن، ولم ينكر لها عقل — ماتت بمكة سنة ٧٣ هـ.

راجع تهذيب التهذيب ١٢: ٣٩٧

ما أشد شيء رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ؟ فقالت: كان المشركون قعوداً في المسجد الحرام يتذاكرون رسول الله ﷺ ما يقول في آلهتهم. فبينا هم كذلك، إذ دخل رسول الله ﷺ فقاموا إليه بأجمعهم، وكانوا إذا سألوه عن شيء صدقهم، فقالوا له: ألست تقول في آلهتنا كذا؟ قال: بلى. فتشبسوا به بأجمعهم، فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقيل له: أدرك صاحبك. فخرج من عندنا وإن له غدائر فدخل المسجد، وهو يقول: ويلكم، أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله. فلهوا[1] عن رسول الله ﷺ، وأقبلوا إلى أبي بكر، فرجع إلينا أبو بكر، فجعل لا يمس شيئاً من غدائره إلا جاء معه وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام.

---

(١) الْهَ عن الشيء: أي الشيء أي اتركه، وفي الحديث في البلل بعد الوضوء « اله عنه » وكان ابن الزبير إذا سمع صوت الرعد (لهى) عن حديثه أي تركه وأعرض عنه.

الأصل الحادي عشر والمائتان

في المصافحة وسرها

عن عمر (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا التقى المسلمان كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً لصاحبه. فإذا تصافحا، أنزل الله تعالى عليهما مائة رحمة، تسعون منها للذي بدأ بالمصافحة وعشرة للذي صوفح(1).

المؤمن عليه سمة الإيمان ووقاره، وبهاء الإسلام وجماله. فأحسنهما بشراً أعقلهما عن الله تعالى، ما مَن الله (عز وجل) عليه، ويظهر بشره لعلمه بالله تعالى، ولمنة الله على عبده. ولأن المؤمن عطشان إلى لقاء ربه شوقاً إليه. فإذا رأى المؤمن، اهتش إلى ذلك روحه، وتنسم قلبه روح ما وجد من آثار مولاه، فيطمئن ويبشر بذلك، فيظهر بشره. وإنما صار أحب إلى الله تعالى بما له من الحظ من الله تعالى. ولأن الذي يظهر البشر لأخيه يسر أخاه المؤمن؛ لأن في ذلك إظهار المودة له.

---

(1) الحديث رواه أبو الشيخ عن عمر ـــ رضي الله عنه ـــ ورواه السيوطي في الجامع الصغير وقال أخرجه الحكيم وأبو الشيخ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـــ وأشار على الحديث بالصحة.

وروي أن يحيى بن زكريا (عليهما السلام) إذا لقي عيسى (عليه السلام) بدأ بالسلام، فسلم عليه. وكان لا يلقاه إلا باشاً متبسماً، ولا يلقى عيسى إلا محزوناً شبه الباكي. فقال له عيسى: إنك تبسم تبسم رجل يضحك كأنك آمن. فقال يحيى: إنك لتعبس تعبس رجل يبكي كأنك آيس. فأوحى الله تعالى إلى عيسى (عليه السلام) أن أحبكما إليّ أكثركما تبسماً.

وأما المصافحة هو الأخذ باليد، وهو كالبيعة. لأن من شرائط الإسلام الأخوة. قال الله تعالى: ﴿ **إنما المؤمنون إخوة...** ﴾[١] وقال: ﴿ **المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض...** ﴾[٢].

شرط الله تعالى فيما بينهم الأخوة والولاية. فإذا لقيه فصافحه كأنه يبايعه على هاتين الخصلتين. ففي كل مرة يلقى يجدد بيعته، فيجدد الله تعالى لهما ثواباً، كما يجدد المصاب الاسترجاع فيجدد له ثواب المصيبة، ويجدد صاحب النعمة الحمد فيجدد له ثواب الشكر. فللسابق إلى تجديد له تسعون رحمة كتمسكه بالولاية، والأخوة، وإقامة الحرمة. وأول ما ظهرت البيعة يوم الميثاق.

ولذلك قال ابن عباس (رضي الله عنهما): الركن يمين الله يصافح به عباده يوم القيامة؛ لأنهم يوم الميثاق بايعوا الله فصافحوا الحجر، فلما أنزله من الفردوس، وضع في ركن البيت ودعى الناس إليها ليجددوا بيعتهم. فكلما تمسحوا فذلك منهم بيعة متجددة.

---

(١) سورة الحجرات آية رقم ١٠.

(٢) سورة التوبة آية رقم ٧١.

الأصل الثاني عشر والمائتان

في فضل يوم عاشوراء وسر التوسيع فيه

عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: من وسع على أهله يوم عاشوراء، وسع الله تعالى عليه في سنته كلها(١).

الأصل في ذلك أن سفينة نوح (عليه السلام) استوت على الجودي يوم عاشوراء. فقيل له: ﴿ **اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك**... ﴾(٢) أي الموحدين. ﴿ **وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم**... ﴾(٣) وهم المشركون. وكانوا كلهم في صلبه. وهذا السلام والبركات إلى آخر الدهر.

وقيل له: اهبط لتبوء لأهلك وولدك متبوأً صدق ومستقراً لمعاشك بهذا السلام وهذه البركات. فمن أراد أن يأخذ بحظه من تلك البركات، فوافى ذلك اليوم، كان في تلك الهيئة هيئة من يبوء لأهله وعياله مرمة

---

(١) الحديث رواه الطبراني في المتوسط، والبيهقي في شعب الايمان عن أبي سعيد ــ رضي الله عنه ــ وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالصحة.
(٢) (٣) سورة هود آية رقم ٤٨.

لمعاشهم، ويزيد في وظائفهم، ويهيئ لهم لينالهم حظه من ذلك السلام وتلك البركات. لأن الله تعالى استقبلهم بالدنيا بعد أن غرقها وخربها شرقاً وغرباً، فلم يبق في جميع الدنيا إلا سفينة نوح (عليه السلام) بمن فيها. فرد عليهم دنياهم يوم عاشوراء. وأُمروا بالهبوط للتبوئة والتهيؤ لأمر المعاش مع السلام والبركات عليهم وعلى الأمم الموحدين الذين في صلبه. فمن أتى عليه ذلك اليوم فكأنه في وقته يهبط من السفينة، ويهيئ لعياله معاشاً، وتناله السلامة والبركات لذلك.

وروي أن من اكتحل يوم عاشوراء بكحل أثمد، لم تتوجع عينه تلك السنة وعوفي من الرمد. وقال (عليه السلام): خير أكحالكم الأثمد، فإنه ينبت الشفر ويجلو البصر[1].

فالاكتحال مرمة العين. وفي الكحل قوة للبصر ومدد للروح لأنه ينبت الأشفار، وهو ستر الناظرين ويقوي البصر. فإنه يجليه ويذهب بالغشاوة وما يتحلب من الماقين من فضول الدموع والبلة الطبيعية، ينشفه الأثمد ولا يدعه يتلبث، فيصير غشاوة وغيماً على حدقتيه. وفيه مدد للروح لأن بصر الروح في الباطن متصل ببصر العين. فإذا ذهبت الغشاوة، وصل النفع إلى بصر الروح ووجد لذهابه راحة وخفة. فإذا كان منه في هذا اليوم مرمة النفس، نال البركة والسلامة، وعوفي من الضيق، ووسع عليه سائر سنته. وإن كانت مرمة الروح، عوفي من الرمد.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الطب باب ٩ ما جاء في السعوط وغيره، ٢٠٤٨ ـــ عن عكرمة عن ابن عباس ـــ رضي الله عنه ـــ قال: قال النبي ﷺ وذكره: ورواه في اللباس ٢٢، ٢٣ والنسائي في الزينة ٢٨ وابن ماجه في الطب ٢٥ والدارمي في الصوم ٢٨ وأحمد ابن حنبل في المسند ١ : ٢٣١، ٢٤٧، ٢٧٤ (حلبي).

الأصل الثالث عشر والمائتان

في أن العبد يسأل عن صدق: « لا إله إلا الله ». والفرق بين أهل الكلمة وأهل القول بالكلمة

عن أنس (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين...** ﴾[١] قال: عن « لا إله إلا الله ».

معناه عن صدق « لا إله إلا الله » والوفاء بها.

قال الحسن (رضي الله عنه): ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال.

ولهذا قال رسول الله ﷺ من قال: « لا إله إلا الله » مخلصاً، دخل الجنة. قيل: يا رسول الله ما إخلاصها؟ قال: أن يحجره عن محارم الله تعالى[٢].

---

(١) سورة الحجر آية رقم ٩٢.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ٣٥٩٠ حدثنا الوليد بن قاسم عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ وذكره وفيه اختلاف (إلا فتحت له ابواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه البخاري من كتاب العلم ٩٩ بسنده عن أبي هريرة.

قال (عليه السلام): إن الله تعالى عهد إليّ أن لا يأتيني أحد من أمتي بلا إله إلا الله، لم يخلط بها شيئاً إلا وجبت له الجنة. قالوا: يا رسول الله وما الذي يخلط بلا إله إلا الله؟ قال: حرصاً على الدنيا وجمعاً لها ومنعاً لها. يقولون قول الأنبياء ويعملون أعمال الجبابرة.

وثمرة هذه الكلمة لأهلها. وأهلها من رعاها حتى قام بوفائها وصدقها. ومن لم يرعها فليس من أهل « لا إله إلا الله ». إنما هم من أهل قول: « لا إله إلا الله ». فأهل قول « لا إله إلا الله » من كان مرجعه إلى القول به والعمل بهواه. وأهل « لا إله إلا الله » من كان مرجعه إلى إقامة هذا القول وفاء وصدقاً.

قال (عليه السلام) : « لا إله إلا الله » يمنع العباد من سخط الله تعالى ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم. فإذا آثروا صفقة دنياهم على دينهم. ثم قالوا: « لا إله إلا الله » ردت عليهم، وقال الله تعالى كذبتم.

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: لا يزال قول: « لا إله إلا الله » يرفع سخط الله عن العباد حتى إذا نزلوا بالمنزل الذي لا يبالون ما نقص من دينهم إذا سلمت دنياهم فقالوا عند ذلك، قال الله تعالى لهم: كذبتم كذبتم.

وصدق « لا إله إلا الله » أن يقف عند صنع الله تعالى وعند أمره كالعبيد. أما صنعه فهو أحكامه عليك وتدبيره فيك، مثل العز والذل، والصحة والسقم، والفقر والغنى. وكل حال محبوب ومكروه. فتقف هناك كالعبيد لا تعصى الله في جنب ما حكم عليك ودبر لك، ويحكم به عليك. وأما أمره فهو أداء الفرائض، واجتناب المحارم، فلا تعصيه في ترك فريضة، ولا انتهاك محرم. وهذا أدنى منزلة في صدق « لا إله إلا الله ». لأنه بعد في حفظ الجوارح. وأما المنزلة الأعلى أن

يكون مع هذين حافظاً لقلبه، قد راض نفسه وماتت شهواته. فما ورد عليه من أحكام الله تعالى رضي بها واهتشت نفسه إلى قبولها حباً له وإعظاماً. وما أعطي من الدنيا قنع بها. وكان كالخازن الذي يعطيه مولاه شيئاً يأتمنه عليه. فهو يمسكها بالأمانة، يرقب متى يومئ إليه حتى يبذلها من غير تلجلج. وما ورد عليه من أمره ونهيه، أنفذ من غير أن يلتفت إلى عوض عنها في عاجل أو ثواب في آجل.

فهؤلاء هم السابقون، راضوا أنفسهم وفطموها عن الشهوات. فلما جاءهم أمر الله وأحكامه انقادوا وذلت نفوسهم لأمره، إعظاماً لجلاله ذلة العبيد الذين قد استسلموا لسيدهم. وهم المبهوتون في طاعة الله تعالى. لا يفرقون بين أمور الدنيا والآخرة. قد استوت عندهم؛ لأنهم لله وبالله. لا يخطر على بالهم عند تصرفهم في الأمور اختيار الأمور والأحوال. فإن كان في مرمة نفس، أو إصلاح معاش، فهو لله. وإن كان في أمر الآخرة فهو لله تعالى. فأعمارهم غير معطلة. كلها عبادة لمليكهم. عبدوا الله بنومهم كما عبدوه بسهرهم، وبأكلهم كما عبدوه بجوعهم. وعبدوه بتناول الدنيا وأخذها كما عبدوه بتركها. إنما نظرهم إلى تدبيره لهم. فعلى أي حال سار بهم إليه ساروا، طيبة بذلك نفوسهم، حسنة أخلاقهم. فإنهم نظروا إلى المقتصدين الذين لم يرضوا أنفسهم ولا فطموها عن الشهوات، إلا أن خوف الوعيد حال بين نفوسهم وبين المعاصي، فحجزهم عن أعمال أهل الهلكى وحملهم على أعمال أهل النوال لما أطمعوا من الثواب. كفعل الدواب تتلكأ وتبطئ في السير، حتى إذا أحست بالدنو من المنزل، استقلت الحمولة وجدت للسير تحنناً إلى الاوازي، أو أحست بالسوط من راكبها فتهتاج في السير مجداً. فهؤلاء قد استحيوا من أن يكون شبيهاً بهم، وأن تكون عبادتهم طمعاً في الثواب، أو رهبة من العقاب. فإن هؤلاء انقادوا لله تعالى من أجل نفوسهم وليس هذا بخالص العبودة. إنما خالص

العبودة لقوم هامت قلوبهم في حب الله تعالى، وهامت في جلاله وعظمته، فانبعثوا لأعمال البر شغوفاً بهم؛ لعلمهم أنه يحب ذلك، وامتنعوا عن الآثام هيبة له وإجلالاً لمعرفتهم أنه مساخطه ومكروهه. فهذان الصنفان هم أهل « لا إله إلا الله ». إلا أن أحدهما أعلى من الآخر. ومن لم يكن فيه ذلك، فهو من أهل قول: « لا إله إلا الله ».

قال (عليه السلام): ليس على أهل « لا إله إلا الله » وحشة في القبور، ولا في النشور، كأني أنظر إليهم وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم وهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن[1].

والناس في الحزن على درجات. وكل يحمد الله على إذهاب حزنه. فالمتقون حزنهم قطع النار، وفوت الجنة، ومجاهدة النفس أيام الحياة. والصديقون حزنهم تقصير شكر ما لزمهم من العصمة والتوفيق بأن وفقهم للطاعات، وعصمهم من الآثام، فوجدوا أنفسهم مقصرين في شكره، ينتظرون العفو. والعارفون على صنفين، وحزنهم على وجهين: فصنف منهم حزنهم حزن العاقبة، وهو الغالب على قلبه. فإنه اشتاق إلى الله تعالى، فرقي به إلى درجة الجلال والجمال، فسكن شوقه لطعم لذة ما نال من القربة، فمر في العبودة بقوة حظه من الجلال، وعظم عمله لغد بقوة حظه من الجمال، فهو مطمئن ساكن.

ولهذا قيل لواحد منهم : أما تشتاق؟ فقال : إنما يشتاق الغائب. فاستعظموا هذا وصيروه غاية الأمر. ولا يعلمون أن وراء هذا درجة فيها تنافس الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) المجذوبين المحدثين وهو حزن القلق. فإنه يقلقل أحشاءهم إلى آخر رمق من الحياة حتى تخرج أرواحهم بغصة من الكمد؛ لأنهم خلصوا إلى فردانيته، وتعلقوا بوحدانيته،

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير عن ابن عمر — رضي الله عنهما وذكره السيوطي في الجامع الصغير، وأشار على الحديث بالضعف

فظمئت أكبادهم عطشاً إلى لقائه. وهذا هو الذي أقلق موسى (عليه السلام) حتى حمله على سؤال الرؤية، ثم عاش أيام الدنيا عطشان إلى لقائه. فمحال أن يستقر العارف حتى ينكشف له الغطاء يوم الزيادة، ويصل إلى ما سأل كليم الله (عليه السلام)؛ لأنه كلما ازداد العبد إليه قرباً، زاده مولاه دنواً، فازداد هيماناً وولهاً، حتى يقلق ويكمد ويحترق من نيران الشوق.

الأصل الرابع عشر والمائتان

في أن الأمثال من معدن الحكمة. وأن المرأة لِمَ مثلت بالسيف المصقول ؟

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: مر لقمان (عليه السلام) على جارية في الكتاب. فقال: لمن يصقل هذا السيف.

هذه كلمة تمثيل من معدن الحكمة. وعامة الحكمة في الأمثال. لأن الأمثال أنموذج الآخرة والملكوت. وبالخلق حاجة إلى معاينة الأجل. وإنما يعاينوه بالعاجل. ولهذا ما ضرب الله تعالى الأمثال[1] في تنزيله الكريم، وعجل لأهل الدنيا من نعيم الجنان أنموذجاً من الأنوار والطيب والذهب والفضة واللؤلؤ والزبرجد وسائر الجواهر؛ لأنهم لو لم يروا ذلك في الدنيا، لم يفهموا منه تلك الصفة. فوصف لهم ثلاث درجات. درجة فضة، ودرجة ذهب، ودرجة نور، وأمسك عن وصف سائر الدرجات. إذ ليس عندهم أنموذجاتها فيفهمون بها عنه ما يصفه فقال: ﴿ **لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين...** ﴾[1].

---

(١) سورة السجدة آية رقم ١٧.

والسيف أمره وجي، لا يكاد يلبث بصاحبه. فكذلك المرأة شهوتها من بين الشهوات كالسيف من بين الأسلحة.

روي أن إبليس لما خلقت المرأة قال: أنت نصف جندي، وأنت موضع سري، وأنت سهمي الذي أرمي بك فلا أُخطئ.

وذكر الله تعالى في تنزيله الكريم حب الشهوات، فبدأ بذكر النساء فقال عز من قائل: ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين...** ﴾[1] ليعلم أنها أقوى الشهوات، وقال: ﴿ **وخلق الإنسان ضعيفاً...** ﴾[2] أي في شأن النساء. وقال تعالى: ﴿ **لتسكنوا إليها...** ﴾[3] ولا يكون السكن إلا من الاضطراب والجولان.

وذكر الله تعالى في تنزيله الكريم شأن ثلاثة من أنبيائه وأعلام أرضه ابتلوا بهن. يوسف، وداود، ومحمد (عليهم السلام).

فأما يوسف فابتلي بامرأة العزيز. فلما تزينت له وراودته، ﴿ **قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي...** ﴾[4].

فلم تزل في مراودته ومخادعته حتى خلت به في بيتها وغلقت الأبواب.

فقالت له: يا يوسف ما أحسن صورة وجهك!
قال: في الرحم صوَّرني.
قالت: ما أحسن شعرك!
قال: هو أول شيء يبلى مني في قبري.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٤.
(٢) سورة النساء آية رقم ٢٨.
(٣) سورة القصص آية رقم ٧٣.
(٤) سورة يوسف آية رقم ٢٣.

قالت: ما أحسن عينيك!

قال: بهما أنظر إلى ربي.

قالت: ارفع بصرك فانظر في وجهي.

قال: أخاف العمى في آخرتي.

قالت: أدنو منك وتتباعد عني؟

قال: أريد الاقتراب من ربي.

قالت: فادخل القيطون معي.

قال: القيطون لا يسترني من ربي.

قالت: فراش الحرير قد فرشته، قم فاقض حاجتي.

قال: إذن يذهب من الجنة نصيبي.

قالت: إنك لجريء على سخطي.

قال: أريد بذاك مرضاة ربي.

قالت: أنت عبدي اشتريتك بمالي فتعظم عليّ!

قال: بجرمي وخطيئتي اشتريتني.

قالت: ضع يدك على صدري.

قال: إنه لا صبر لي على احتراق جسدي إذا زرعت في أرض غيري.

قالت: يا يوسف، الجنينة قد عطشت قم فاسقها.

قال: الذي بيده مفاتيحها أحق بسقيها.

قالت: أعتقتك من الرق، وجعلتك بمنزلة زوجي، فبأي حول امتنعت مني؟

قال: بحول ربي الذي في السماء معمره، ومكان سيدي الذي في الأرض سلطانه أخافه على نفسي.

قالت: إني مسلمتك إلى المعذبين.

قال: ذاك فعل إخوتي.

قالت: النار قد التهبت قم فاطفئها.

قال: أخاف أن يحرقني بها ربي.

فلم تزل تخدعه وتراوده حتى هم بها. فلما حل سراويله ورد يده إلى جيب قميصه ليخلعه ويدخل معها في فراشها، ناداه مناد من السماء ثلاث مرات: مهلاً يا يوسف. فإنك إن واقعت الخطيئة، محي اسمك من ديوان النبوة.

فلم يكترث لذلك الصوت، وغلبه ما حدث فيه من الشهوة، فمثل الله تعالى له أباه في مثل صورته التي عهده فيها، فنظر إليه غضبان، عاضاً على أنملته المسبحة يوعده. فلما رأى ذلك يوسف (عليه السلام)، كف وهرب مولياً نحو الباب، واتبعته سيدته فتداركا عند الباب ينازعها ليخرج، وتجره من خلفه ليرجع، فانقد قميصه من دبر، وألفيا سيدها لدى الباب. ﴿ **قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم...** ﴾[1]

فلما رأى ذلك يوسف (عليه السلام) أفشاها فقال: ﴿ **هي راودتني عن نفسي...** ﴾[2] حتى آل الأمر إلى أن شاع أمرها في النساء، وقبح عليها الأمر، فجمعت النساء، وجعلت عيداً، واستعانت بهن عليه، وأوعدته وهددته إن لم يفعل ذلك ليسجنن أو عذاب أليم، وليكونن من الصاغرين. ﴿ **قال: رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه...** ﴾[3] فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن.

فلبث في السجن بضع سنين. أي عشر سنين. فلما انتهت مدة عقوبة الهم، وجاء أوان الخروج منه، قال لذلك الذي كان حبسه الملك

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٢٥.

(٢) سورة يوسف آية رقم ٢٦.

(٣) سورة يوسف آية رقم ٣٣.

ثم أخرجه: ﴿ **اذكرني عند ربك** ﴾[1]. ﴿ **فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين** ﴾[2]. أي ثلاث سنين.

فلما انتهت مدة عقوبة قوله: ﴿ **اذكرني عند ربك...** ﴾، جاء جبريل (عليه السلام)، فقال له: إن الله تعالى يقول لك: أتحب أن يكلك الله في شيء من أمرك إلى فرعون عنده؟

قال يوسف (عليه السلام) : أعوذ من ذلك برأفة ربي ورحمته. فخرج من السجن، وآتاه الله تعالى ملك مصر، وخوله خزائن أرضها، حتى جمع بينه وبين يعقوب (عليهما السلام) وجمع شمله في إخوته وأهل بيته، وانتقلوا إلى مصر.

وروي أن امرأة العزيز أصابتها حاجة فقالوا لها: لو أتيت يوسف فسألته. فاستشارت الناس في ذلك. فقالوا لها: لا تفعلي ذلك، فإنا نخاف عليك. قالت: كلا، إني لا أخاف ممن يخاف الله تعالى. فدخلت عليه، فرأته في ملكه. فقالت: الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته، وجعل الملوك عبيداً بمعصيته. فقضى لها جميع حوائجها، ثم تزوجها فوجدها بكراً. فقال لها: أليس هذا أجمل مما أردت؟

فقالت: يا نبي الله: إني ابتليت فيك بأربع: كنت أجمل الناس كلهم، وكنت أنا أجمل أهل زماني، وكنت بكراً، وكان زوجي عنيناً[3].

وأما داود (عليه السلام) فإنه قعد في المحراب، والزبور في حجره يقرأه، إذا طائر بين يديه عليه من الألوان أكثرها، وسليمان (عليه السلام) صغير يلعب عنده. فلما أهوى ليأخذه، طار من الكوة. وقيل: إنه كان إبليس. فظهر له في هيئة طائر ليفتنه. فأخرج داود (عليه السلام)

---

(١) و(٢) سورة يوسف آية رقم ٤٢.

(٣) سبق الحديث عن ذلك فيما مضى.

رأسه، فوقع بصره على امرأة حسناء تغتسل على رأس بركة في بستانها تحت محراب داود (عليه السلام)، فرأت ظله في البركة، وأنه قد اطلع عليها إنسان، فحركت شعرها، فجللت جميع جسدها بشعرها، فرجع داود (عليه السلام) من الكوة بجسده، وبقي القلب هناك، فخرج من المحراب، وقصد بيت المرأة لينقلها إلى نسائه؛ لتكون لنفسه في ذلك شفاء مما حدث، حتى يقدم زوجها أو ينتظر ما يكون. فوقف على مدرجته مَلكان يقول أحدهما لصاحبه: لقد أكرم الله إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، عن مثل هذا الممشى. فلم ينتفع بما سمع حتى صار من أمره إلى أن كتب لصاحب البعث أن يقدم زوجها إلى التابوت[1]. وكان من قدم لذلك لا يرجع حتى تفتح المدينة أو يقتل. فقدم زوجها في نفر إلى التابوت، فقاتلوا حتى قتلوا.

واعتدت المرأة، فخطبها وتزوجها، واشتغل عنها بالتوبة، وأقبل على العبادة متداركاً لما سلف منه، حتى شغل عن أمور بني إسرائيل، وجعل يأكل قويهم ضعيفهم، فلا يجد الضعيف غياثاً، ويقيم شهراً ببابه فلا يصل إليه لشغله بما أحدث من الأمر، حتى طمع فيه سفهاء بني إسرائيل، وائتمروا في خلعه، فانطلقوا إلى إبن له أكبرهم سناً وأعزهم عليه، وهو يكرهه، فخدعوه ومنوه الملك، وقالوا: أنت أكبر ولد أبيك، وقد كبر أبوك وشغل وعجز عن السياسة، وضاعت حقوق الناس وأحكامهم، وأنت أحق من يدارك ذلك، ولا نراه يكره ذلك، فإن هو عاتبك في ذلك أخبرته أنك إنما فعلت ذلك نظراً له وشفقة عليه حين خشيت

---

(١) التابوت: كان من شأنه فيما ذكر أنه أنزله الله على آدم عليه السلام فكان عنده الى أن وصل الى يعقوب عليه السلام فكان في بني اسرائيل يغلبون به من قاتلهم حتى عصوا فغلبوا على التابوت غلبهم عليه العمالقة: جالوت وأصحابه في قول السدي.

راجع تفسير القرطبي ٢: ٢٤٧

الأمم وضياع الناس، وخشيت على ملكه الأعداء. فلم يزالوا يخدعونه حتى بايعهم. فلم يشعر داود (عليه السلام) حتى خلع. وأصبح ابنه يبايع الناس ويدعو إلى نفسه.

فلما بلغ ذلك داود (عليه السلام)، عرف أنه عقوبة لذنبه، فخاف الفتنة والبلاء، فهرب بنفسه ومعه أمير جنده وصاحب مشورته. حتى إذا كان ببعض الطريق وهو يريد جبلاً يتحصن فيه لقيه رجل من بني إسرائيل قد غلب القضاة والحكام قبل داود. فلما ولي داود (عليه السلام) أنصف منه الضعيف وأقام عليه الحدود. فلما نظر الرجل داود في مذلة البلاء، قال: الحمد لله الذي نزع ملكك وأهانك وأذلك وأفردك إلى نفسك وفرق عنك جموعك. فسل ابن أخت داود — الذي هو أمير جنوده — سيفه ليضربه. فقال له داود (عليه السلام): مهلاً، فإن هذا ليس هو الذي يسبني على لسانه، ولكن الله هو الذي يسبني على لساني بذنبي وخطيئتي. ومتى كان يطمع هذا أو يرومني حتى يأذن الله له فيّ فلم يظلمني ربي، وأنا الذي ظلمت نفسي فلما انطلقوا هاربين كمنوا في تلك الجبال لا يأمنون القتل.

وكان لداود (عليه السلام) صاحب شورى يقال له: نوفيل. فغضب عليه وعزله واستبدل به. فقال ابن داود (عليه السلام) لنوفيل: كيف الرأي في أمره؟ قال: أن تطأ فراشه حتى يستيقن الناس أنه ليست لداود بقية عندك.

قال: كيف الرأي في قتاله؟

قال: إن كنت تريد من يوم من الأيام فعجله اليوم ما دام مخذولاً مسخوطاً عليه. وإن أخرت أمره حتى يتوب الله عليه ويغفر له، لم تطقه، فهو الذي قتل جالوت وبز طالوت ملكه، وأذل رقاب الملوك.

ثم استشار ابن داود آخر، فقال له: سمعت بابن نبي قتل أباه،

أم هل سمعت بنبي أذنب فلم تقبل توبته، أم ماذا تقول لربك يوم القيامة وقد قتلت نبيه وأباك ووطئت فراشه، وما وجه من قتل أباً نبياً ونكح أمه؟ ما أعلم يقبل ممن فعل هذا صرف ولا عدل. فإن كان لا محالة أنت ضابط هذا الملك، وبما أجمعت عليه من عقوق أبيك وخلعه، فلا تطلبه ولا تقتله. فإن كان الله تعالى قد أذن بفنائه، فما أكثر معاريض البلاء التي تكفيك ذلك منه. وإن كانت له مدة وحياة يستكملها ألفيتك لم تأثم بربك، ولم تفرط بوالدك.

فقال: الرأي رأيك. وما أسمعك عرضت بغش، ولا ادخرت نصيحة. وأنا متابعك على ما في قلبك، وكاف عن داود ما كف عني. فإن قاتلني، حميت نفسي مخافة أن يظفر فيقتلني. فقال له الرجل: إن داود لن يقاتلك حتى يقبل الله توبته، ويأذن له لقتالك. وإن ظفر بك أحياك وأمنك. فإنه أعظم حلماً وأوسع عفواً من أن يقتل ولده.

ولبث داود (عليه السلام) من يوم خرج إلى أن رجع إلى ملكه سنتين، وانقطع الوحي. فلما رد الله تعالى إليه ملكه، سرح ابن أخته وهو أمير جنده، فأمره أن يدخل المدينة، ثم يدعو إلى داود (عليه السلام)، ويخبر بني إسرائيل أن الله تعالى قد قبل توبته، ورد إليه ملكه. فاتبعوه إلا قليل منهم، انحازوا إلى ابنه، وكرهوا أن ينظروا إلى وجه داود (عليه السلام) بعد الذي كان منهم. فاستقبلوا فقاتلوا قتالاً شديداً حتى قتلوا. وكف ابن داود (عليه السلام) فلم يقاتل حتى قتل أصحابه.

ثم إنه هرب حياء من أبيه، وأن لا يرى أبوه وجهه، فتبعه ابن أخت داود، وعهد إليه داود (عليه السلام) وحذره أن يقتله، وقال له: إياك أن تقتله، فإني قاتلك به إذا خالفت أمري، فإنه أعز ولدي عليّ، ابتلاني الله تعالى به ليذلني وينقمني بذنبي، ويهينني بخطيئتي، وينزع ملكي، ثم تداركني عفوه ورحمته فعفا عني، وقبل مني وقبل

توبتي. فينبغي لي أن أعفو كما عفا، وأرجو له من التوبة ما رجوت لنفسي. فليس هو بأعظم جرماً مني. فالحذر على دمه.

فلحقه فوجده قد علقته شجرة دخل عود منها برنسه، فاقتلعه من السرج، وزلت الدابة من تحته حتى اقتلعه العود، فبقي معلقاً وذهبت الدابة. فطعنه ابن أخت داود بالرمح حتى اعتدل فيه. وترك وصية داود (عليه السلام). ثم انصرف وتركه حتى مات معلقاً. فغضب داود (عليه السلام)، وقال: إني قاتلك عاجلاً أو آجلاً، فوطن نفسك على ذلك. واستبقاه داود (عليه السلام) لأنه كان رجلاً منصوراً، بعيد الصوت والنكاية في العدو، فكره أن يعجل قتله. فلما حضرته الوفاة، أوصى سليمان (عليه السلام) بقتله فقتله ساعة رفع يده من قبره.

فلما تيب عليه التوبة الظاهرة ورد الله تعالى إليه ملكه واطمأن، نزل عليه الملكان، فتسورا المحراب على ما قص الله تعالى، وانكشف عنه الغطاء عن فعله فبرز صارخاً متململاً، وسجد سجدة العويل والنوح، دام في ذلك أربعين صباحاً، حتى نبت العشب حول رأسه من دموع عينيه. فأتاه جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا داود، ارفع رأسك، فقد غفر لك. فقال: يا جبرئيل كيف بالرجل؟ قال: إن الله تعالى قد أعاضه الجنة وقد غفر لك فارفع رأسك.

وأما محمد ﷺ فإنه وافى باب زيد بن حارثة، ووقع بصره على امرأته زينب بنت جحش (رضي الله عنها) وهي في خمار أسود. وكانت وسيمة وذات هيئة، وهي واقفة في صحن الدار. فوقعت في نفسه، فقال بكفيه على عينيه وتولى وقال: سبحان مقلب القلوب والأبصار. فرجع إلى منزله. فلما آوى زيد إلى فراشه، عجز عنها، وحيل بينه وبين إتيانها. فلما رأى ذلك أحس بأمر حادث من الله. فجاء إلى رسول الله ﷺ ليطلقها فاعتل بعلل تطييباً لقلب رسول الله ﷺ. فقال له: اتق الله يا زيد، وأمسك عليك زوجك. فلم يزل زيد

عن عزمه الذي عزم الله على قلبه. فكما قلب قلب محمد ﷺ فهويها. كذلك قلب قلب زيد حتى طلقها. وانقضت عدتها. فنزل القرآن الكريم بتزويجها منه على لسان جبرئيل. فلما نزل قوله تعالى: ﴿ **فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها** ﴾[1]. قام (عليه السلام) فدخل عليها بغير إذن، وهي لا تعلم شيئاً، فقعد عندها.

فأما يوسف (عليه السلام) حين البلاء، قال: معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي. اعتصم بالله تعالى وأخذ العدة من التعوذ به، وذكر إحسان من ملكه وكفران نعمته أن يخون في أهله.

وأما داود (عليه السلام) حين شخص له البلاء، اعتصم بالحيل، ونقل تلك المرأة إلى نسائه لتطمئن النفس. وأما محمد ﷺ فزع إلى الله تعالى فرداً، حين شخص له البلاء، واعتصم بفردانيته فقال: سبحان مقلب القلوب. فذكر نزاهته ومشيئته، فتعلق بها وتضرع إليه أن لا يقلبها إلى ما لا يليق به ولا يحسن عنده. فكان عقبى نطق يوسف (عليه السلام) أن تركه حتى هم بها، وكاد الأمر أن يكون. ثم تداركه برحمته التي بها نال الاستخلاص، وصرف عنه بالبرهان، وهو جبرئيل في صورة يعقوب (عليه السلام). وهو سبب من الأسباب. وكان عقبى تعلق داود (عليه السلام) أن تركه حتى هم بما هم من شأن أوريا، حتى مضى الأمر إلى آخره، ثم نبهه بالملكين، وعاتبه وملأ المشرق والمغرب جزعاً على مأتمه للمصيبة التي حلت به، وللحرقات التي هاجت منه. وصارت إنابته وتوبته حديثاً في العالمين ليكون مدداً للنواحين أيام الدنيا.

وكان عقبى تعلق محمد ﷺ أن ولي خلاصه من ذلك بنفسه فرداً ومنع زيداً من إتيانها، وأخذ بقلبه عنها حتى طلقها، ثم ولي تزويجها

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٣٧.

منه فرداً وأنبأه من طريق الوحي أن قد زوجناكها. وأخرج ذلك من تدبير أهل الدنيا، حيث تزوجوا بولي، ورضاء، وشاهدان، ومهر. فهذه مرتبة رفيعة لمحمد ﷺ حين أخرج تزويجه زينب من تدبيره لعامة من خلقه، فزوج أمته من عبده، وولي ذلك بكرمه ورحمته، وأشهد الوحي على ذلك، وجعل مرتبته صداقاً لها منه، وأعلم الأمة محل هذه القلوب الثلاثة أين كانت منه، وبروز قلب محمد ﷺ على سائر القلوب[1].

الأصل الخامس عشر والمائتان

في أن أبا موسى أوتي مزماراً من مزامير آل داود (عليه السلام)

عن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: لقد أوتي أبو موسى مزماراً من مزامير آل داود. فبلغ ذلك أبا موسى فقال: يا رسول الله: لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيراً[1].

الرمز والزمر بمعنى واحد. إلا أن الرمز بالشفتين، والزمر بالحنجرة. والرمز بتحريك الشفتين. فإذا كان بصوت، فهو كلام؛ لأنه يدخل السمع، فيكلم الصوت القلب أي يؤثر، فيصور معاني ذلك الصوت

(١) الحديث رواه ابن ماجة في إقامة الصلاة ١٧٦ باب في حسن الصوت بالقرآن ١٣٤١ عن أبي سلمة عن أبي هريرة: وذكره، ورواه الإمام مسلم في صلاة المسافرين ٣٤ باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن ٢٣٦ بسنده عن أبي بردة عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره، وأخرجه أبو يعلى من طريق سعيد بن أبي بردة عن أبيه بزيادة فيه، ولابن سعد من حديث أنس بإسناد على شرط مسلم وللروياني من طريق مالك بن مغول عن عبدالله بن بريدة عن أبيه نحو سياق سعيد بن أبي بردة، وعند الدارمي من طريق الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن. وأيضاً في الحلية لابي نعيم وفي المسند ٢ : ٢٦٩، ٤٥٠ (حلبي).

الذي نطق به في الصدر. وإذا كان بغير صوت، فهو رمز؛ لأنه إشارة إلى حروف شفتيه، فيقوم مقام الصوت، فيفهم منه. وأما الرمز، فإذا خرج الصوت من جو الصدر إلى جو الرأس، حرك الحنجرة المركبة بعضها على بعض حتى يرد الصوت ويرجعه. فإذا تردد، صارت له صداء. وبذلك الصداء يتلون الصوت، فيصير ألواناً، فتلذذ به؛ لأن بين اللونين تدبيراً من تدبير الله تعالى ولطفاً من لطفه. ففصل بين اللونين حتى إذا سمعت الأول، ورد الثاني، ثم عاد الأول فورد على السمع طرياً، ثم عاد الثاني فورد طرياً، فتلك الطراوة على السماع وجود اللذة. ولهذا إذا دام اللون سمج وفقدت لذته. فأخبر (عليه السلام) أن هذه الأصوات الزائدة على أصوات العامة من عطاء ربنا وفضله. وإنما يؤتي من يشاء من رحمته. فلما بلغ ذلك أبا موسى (رضي الله عنه)، عظمت منّة الله تعالى عليه أن ركب في جسمه وخلقته شيئاً له موقع عند رسول الله ﷺ من عطايا ربه، فقال: لو علمت أنك تسمع لقراءتي، لحبرته تحبيراً.

والتحبير تلوين الصوت. ومنه برد حبرة إذا كان ذا ألوان. وقال تعالى: ﴿ **في روضة يحبرون...** ﴾[1]

وخص أهل اليقين بهذا لأن النور يفتح سدد تلك الطرق التي هي مخارج الصوت فيصفو.

قال (عليه السلام): لم يبعث نبي إلا حسن الصوت، حسن الصورة[2].

وأبو موسى (رضي الله عنه) كان من أولياء الله تعالى المشتعلة

---

(١) سورة الروم آية رقم ١٥.

(٢) لعل الحديث من النوادر التي تفرد بها الحكيم الترمذي

قلوبهم بنوره (سلام الله عليهم)، الذين لا تملكهم نفوسهم. بل أوفرهم حظاً. فلم يكن تأخذه محمدة الخلق فتملكه. فلذلك أمكنه أن يقول: « لو علمت أنك تستمع لقراءتي، لحبرته تحبيراً » يبتغي بذلك سرور رسول الله ﷺ.

قال (عليه السلام): المخلص من لا يحب أن يحمده الناس في شيء من عمله.

وأحق من ينفق عليه صوته الممنون عليه بذلك هو الرسول (عليه السلام). لأن الصوت الحسن حلية القرآن.

قال (عليه السلام): لكل شيء حلية. وزينة وحلية القرآن الصوت الحسن[1].

والدليل أن أبا موسى (رضي الله عنه) كان من الأولياء أنه نزل قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه...** ﴾[2]

قال (عليه السلام): « نعم قوم هذا »[3]. وأشار إلى أبي موسى (رضي الله عنه). فما لبثوا إلا يسيراً حتى قدمت سفائن الأشعريين وقبائل اليمن من طريق البحر. وكان لهم بلاء في الإسلام في زمن

---

(١) الحديث أخرجه عبد الرزاق في الجامع، والضياء عن أنس، ورواه السيوطي في الجامع الصغير، وأشار على الحديث بالصحة، ورواه الدارمي في فضائل القرآن

(٢) سورة المائدة آية رقم ٥٤.

(٣) الأشعريون: ذكرهم الرسول — ﷺ — في اكثر من حديث ودعاهم عليه السلام الى تعليم جيرانهم ووعدوا رسول الله — ﷺ — أن يتم ذلك في خلال عام ولقد وفوا بما عاهدوا عليه رسول الله — ﷺ.

رسول الله ﷺ. وكانت عامة فتوح العراق على يدي قبائل اليمن في زمن عمر (رضي الله عنه).

وعن زيد بن أسلم (رضي الله عنه) أن الأشعريين أبا موسى وأبا مالك وأبا عامر في نفر منهم لما هاجروا، قدموا على رسول الله ﷺ في فلك وقد أرملوا من الزاد، فأرسلوا رجلاً منهم إلى رسول الله ﷺ يسأله، فلما انتهى إلى باب رسول الله ﷺ، سمعه يقرأ هذه الآية: ﴿ **وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها...** ﴾[1] فقال الرجل: « ما الأشعريون بأهون الدواب على الله ». فرجع ولم يدخل على رسول الله ﷺ. فقال لأصحابه: « أبشروا. أتاكم الغوث ». ولا يظنون إلا أنه قد كلم رسول الله ﷺ فوعده.

فبينا هم كذلك إذ أتاهم رجلان يحملان قصعة بينهما مملوءاً خبزاً ولحماً. فأكلوا منها ما شاءوا. ثم قال بعضهم لبعض : « لو انا رددنا هذا الطعام إلى رسول الله ﷺ ليقضي به حاجته ». فقالوا للرجلين : « اذهبا بهذا الطعام إلى رسول الله ﷺ وإنا قد قضينا منه حاجتنا ». ثم انهم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله: فما رأينا طعاماً أكثر ولا أطيب من طعام أرسلت به. فقال: « ما أرسلت إليكم شيئاً ». فأخبروه أنهم أرسلوا صاحبهم. فسأله رسول الله ﷺ، فأخبره ما صنع وما قال لهم. فقال ﷺ: ذلك شيء رزقكموه الله سبحانه.

وعن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: « يقدم عليكم قوم هم أرق أفئدة منكم »[2]. فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى

---

(١) سورة هود آية رقم ٦.

(٢) الحديث رواه البخاري في كتاب المغازي ٤٣٨٨ عن شعبة عن سليمان عن ذكوان عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ: وذكره وفيه زيادة [وألين قلوباً الإيمان يمان والحكمة يمانية والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل

(رضي الله عنه). فجعلوا يرتجزون، ويقولون: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه.

وقوله: « من مزامير آل داود » فإن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: كان داود (عليه السلام) يقرأ الزبور بسبعين صوتاً، يلون فيها. وكان يقرأ قراءة يطرب منها المحموم. وكان إذا أراد أن يبكي نفسه، لم تبق دابة في بر ولا بحر إلا سمعن لصوته.

وعن عبيد بن عمير (رضي الله عنه) قال: كان داود (عليه السلام) يأخذ المعزفة فيضرب بها، ثم يقرأ عليهم، يريد أن يبكي بذلك ويبكي. والمعزفة تهيج من معدن السرور ما فيه، لا من موضع الحزن فدل أن هذا بكاء الشوق، يبكي داود (عليه السلام) ويبكي المشتاقين. لأن المشتاق الهائم من طول الغيبة عمن اشتاق إليه يشتد حزنه. وفي باطن حزنه السرور؛ لأن الحب أصله. والسرور من الحب. والشوق من السرور. والحزن من أجل الشوق. فإذا لاقى قلبه أصوات السرور بكى.

= الغنم] ورواه الإمام مسلم في إيمان ٨٢، ٨٤، ٨٩، ٩٠ والترمذي في المناقب ٧١ والدارمي في المقدمة ١٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٣٥، ٢٥٣، ٢٥٨، ٢٦٧ (حلبي).

الأصل السادس عشر والمائتان

في بئس العبد من ثمانية أوجه. والتحذير منها

عن أسماء بنت عميس (رضي الله عنها) قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد سهى ولها ونسي المبدأ والمنتهى، بئس العبد عبد بغى وعتا ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد يحتال بالدين والدنيا، بئس العبد عبد يختل الدنيا بالشبهات، بئس العبد عبد يذله الرعب عن الحق، بئس العبد عبد طمع يقوده، بئس العبد عبد هوى يضله[1].

قوله : « تجبر واعتدي » احتشى من الشهوات، وعمل بهواه، وجبر الخلق على هواه، وصار ذلك له عادة، واعتدى في جبريته، ونسي

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقاق والورع ٢٤٤٨ ــ حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا هاشم وهو ابن سعيد الكوفي حدثني زيد الخثعمي عن أسماء بنت عميس الخثعمية قالت سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقول: وذكره قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وليس اسناده بالقوي، ورواه الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الايمان عن اسماء بنت عميس، والطبراني في الكبير والبيهقي أيضاً في شعب الايمان عن معاذ وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وأشار على الحديث بالضعف

الجبار الأعلى الذي له الجبر، وقد صغرت الدنيا بمن فيها والملكوت في ملك جبروته ودق.

وقوله: « سها ولها » سهوه بالأماني، ولهوه بالشهوات. ونسي المبدأ من أين خلق؟ ونسي المنتهى إلى أين يرد؟

وقوله: « بغى وعتا » أي طلب العلو. كلما رأى من الدنيا درجة، أحب أن ينال ذلك ويسلب غيره، ليتفرد بها دون نظرائه. « وعتا » يبس قلبه. فإن حرارة شهوته انتشفت رطوبة قلبه، وما ركب فيه من الرأفة والرحمة الخلقية، ونسي أن القبر متضمنه، ومحتوى على أركانه، ومبلي لحمه ودمه أكلاً.

وقوله: « يحتال الدنيا بالدين » فهو متصنع مداهن، همته فيما يعرض له في العاجل من النهمة، متى ينالها، لبعد قلبه عن الآخرة، مترصد للتوثب على الدنيا لينالها، وليظفر بها، منتهزاً لفرصتها، يتحلى بظاهر الإيمان ليطارد به الدنيا، وصير معالم الإيمان شبكة لحطامها وأوساخها، يظهر الخشوع بالتماوت ليحظى عند أهل الدنيا، فينال من عزها وجاهها، ويتحازن عند لقاء الخلق، ويتنفس الصعداء، يظهر الاهتمام لدينه والتحسر على إدبار أمره، وأسفه على ما يفوته من الدنيا، ويمتنع من قبول النزر اليسير من الدنيا؛ ليكون في هيئة الزاهدين، ولئلا ينكسر جاهه عند الخلق، ويصير عندهم في صورة الراغبين. ومع ذلك قد هيأ على كل باب من منالات الدنيا باباً من أبواب الدين ليختله من أيديهم، يظهر الزهادة ليمال عليهم الدنيا، ويظهر العبادة لتكفي مؤنه، ويظهر الورع ليؤتمن على الأموال، ويظهر الانقباض ليهاب، ويظهر الشره على أهل الريب ليشار إليه بالأصابع، ويطلب الرياسة ليحكم في الخلق في معاملته تحكم الملوك، ويطلب العز لنفاذ مشيآته فيهم.

قوله: « يختل الدنيا بالشبهات » فهو رجل فر من الحرام، ويغمص عند الشبهة، يخادع الله تعالى بذلك ويقول: أفر من الحرام.

وقوله: « يذله الرعب عن الحق » إذا استقبله حق من حقوق الله تعالى فأراد أن يقيمه، جاءت النفس بسوء ظنها فخوفته وجوه المهالك حتى ترعبه فتذله، قد علاه الرعب من سوء الظن، فانكسر قلبه، وانخلع جبناً.

قال (عليه السلام): شر ما في الإنسان حرص هالع، وجبن خالع[1].

وقوله: « طمع يقوده » هو أن يتمنى أمراً من شهوات الدنيا. فلا يزال يتمنى ويفكر حتى يجد طمعه في الفكر الذي جال في صدره. فإذا وجد القلب طمعه، قادته تلك الشهوة.

وقوله: « هوى يضله » هو ترك الحق في أموره وفي سيره إلى الله تعالى حتى يقع في الباطل والهوى والزيغ عن سواء السبيل.

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الجهاد ٢٥١١ ــ حدثنا عبدالله بن الجراح عن عبد الله ابن يزيد، عن موسى بن علي بن رباح عن أبيه، عن عبد العزيز بن مروان، قال : سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره، ورواه الإمام أحمد في المسند ٢ :٣٠٢، ٣٢٠ (حلبي).

الأصل السابع عشر والمائتان

(في سر دعوات أبي ذر (رضي الله عنه)

عن علي (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ أنه أتاه جبرئيل (عليه السلام)، فبينما هو عنده إذ أقبل أبو ذر[1] فنظر إليه جبرئيل فقال: هو أبو ذر. قلت: يا أمين الله، وتعرفون أنتم أبا ذر. فقال: نعم، والذي بعثك بالحق ان أبا ذر أعرف في أهل السماء منه في أهل الأرض، وإنما ذلك لدعاء يدعو به كل يوم مرتين، وقد تعجبت الملائكة منه، فادع به، فسل عن دعائه. فقال (عليه السلام): يا أبا ذر دعاء تدعو به كل يوم مرتين. قال: نعم، فداك أبي وأمي ما سمعته من بشر، وإنما هو عشرة أحرف ألهمني ربي إلهاماً، وأنا أدعو به كل يوم مرتين، أستقبل القبلة فأسبح الله ملياً، وأهلله ملياً، وأحمده ملياً، وأكبره ملياً، ثم أدعو بتلك العشر الكلمات:

اللهم إني أسألك إيماناً دائماً، وأسألك قلباً خاشعاً، وأسألك علماً نافعاً، وأسألك يقيناً صادقاً، وأسألك ديناً قيماً، وأسألك العافية من

(١) هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد توفي عام ٢ هـ.

راجع ترجمته في طبقات ابن سعد ٤: ١٦١ والاصابة ٧: ٦٠ وصفة الصفوة ١: ٢٣٨ وحلية الأولياء ١: ١٥٦

كل بلية، وأسألك تمام العافية، وأسألك دوام العافية، وأسألك الشكر على العافية، وأسألك الغنى عن الناس.

قال جبرئيل: يا محمد: والذي بعثك بالحق لا يدعو أحد من أمتك هذا الدعاء إلا غفرت له ذنوبه وإن كانت أكثر من زبد البحر وعدد تراب الأرض، ولا يلقاك أحد من أمتك وفي قلبه هذا الدعاء إلا إشتاقت إليه الجنان، واستغفر له المكان، وفتحت له أبواب الجنة، ونادت الملائكة: يا ولي الله ادخل من أي باب شئت[1].

« إيماناً دائماً »، أن يدوم له توحيده حتى يختم له بذلك، فلا يسلبه، فيلقى ربه بإيمانه. وأن يكون له يقين يصير أموره معاينة، ولا ينقطع ذكر الله تعالى عن قلبه على كل حال، ويصير قلبه خالياً عن ذكر كل شيء، وينفرد للفرد الواحد، فيأنس به ويطمئن إلى حكمه، وإذا غلبته شهوة أو رغبة أو رهبة أو غضبة فملكته نفسه، صار إيمانه في قلبه كشمس قد انكسفت فذهب ضوؤها. فسأل إيماناً دائماً، أي يدوم له شمسه، فلا تنكسف حتى يكون صدره مستنيراً بنور اليقين في كل أمر.

ومنه قول أبي الدرداء (رضي الله عنه) حين بلغه أن فلاناً أعتق مائة رقبة: إيمان ملزوم بالليل والنهار، ولسانك رطب بذكر الله تعالى أفضل من ذلك.

وقال ابن رواحة (رضي الله عنه): إذا دام الإيمان على القلب، دام الذكر.

ومن ههنا قال معاذ (رضي الله عنه): تعال نؤمن ساعة.

---

(١) الحديث رواه البزار والديلمي في مسند الفردوس ورواه السيوطي في الجامع الكبير وأشار الى رواية الحكيم الترمذي وأشار عليه بالصحة.

وقال (عليه السلام): أشد الأعمال ذكر الله تعالى على كل حال[1].

« وقلباً خاشعاً »، ماتت شهواته، فذلت النفس لله تعالى، وخشع القلب مما طالع من جلال الله تعالى وعظمته.

« وعلماً نافعاً »، هو الذي تمكن في الصدر، وتصور بالنور الذي أشرق في الصدر، فتصور الأمور حسنها وسيئها، فيأتي حسنها، ويجتنب سيئها. فذلك العلم النافع من نور القلب. والعلم الذي تعلمه فذلك علم اللسان. إنما هو شيء قد استودع الحفظ، والشهوة غالبة عليه، قد أحاطت وأذهبت بظلمتها ضوءه.

« ويقيناً صادقاً »، ينفي الشك ولا يغلب الشهوة، وهو يقين التوحيد. ويقين آخر نور مشرق للصدر، غالب للشهوات، صارت له أمور الدنيا والآخرة وأمر الملكوت معاينة، قد ورث قلبه الخشية، والمحبة، والهيبة، والتعظيم لله (عز وجل).

« وديناً قيماً »، أي الخضوع لله تعالى بأمره ونهيه، بأن يكون مسيره إليه في الشريعة على سبيل الاستقامة، لا زيغ فيه ولا بدعة، فيحل ما أحله، ويحرم ما حرمه، ويؤدي فرائضه، ويجتنب مساخطه. قال الله تعالى: ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين...** ﴾[2] الآية. وأعلاه أن يدين لله تعالى حتى لا يلتفت إلى أحد سواه، فيكون هو ملجأه ومفزعه.

« والعافية من كل بلية »، بلية تعجيل عقوبة العبد، مثل ما نزل بيوسف

(١) الحديث لم يذكر في الصحاح ولا في السنن ولعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر

(٢) سورة البينة آية رقم ٥.

(عليه السلام) من لبثه في السجن بالهم. وبلية امتحان، مثل ما نزل بأيوب (عليه السلام). قال الله تعالى: ﴿ **إنا وجدناه صابراً**... ﴾[1].

وبلية كرامة، مثل ما نزل بيحيى بن زكريا، الذي لم يعمل خطيئة قط، ولم يهم بها، فذبح ذبحاً، وأهدي رأسه إلى بغي من بغايا بني إسرائيل. فسأل العافية من ذلك كله.

والعافية أن لا يكله إلى نفسه، ولا يخذله، بل يكلؤه ويرعاه في كل هذه الوجوه.

« ودوام العافية »، أن تدوم له فلا تنقطع. وتمام العافية، أن تكون عافية لا شوب فيها. والشكر على العافية، فإن به ترتبط النعمة ويجلب المزيد. والغنى عن الناس، بالاستغناء بالله تعالى، وفيه الخروج من الرق إلى الحرية.

---

(١) سورة ص آية رقم ٤٤.

الأصل الثامن عشر والمائتان

في أن العين حق

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: العين حق. ولو كان شيء سابقاً القدر، لسبقته العين. وإذا استغسلتم فاغسلوا[1].

قال أبو عبدالله (رحمه الله): كان الله ولا شيء، ثم أبدا ملكه وربوبيته، ثم خلق الخلق لإظهار ملكه وربوبيته؛ ليدينوا له عبودة، ولا يشغلوا بالأشياء عن صانع الأشياء فيلهيهم عنه ويفتتنوا بهم. فإذا أعجب واحد بشيء من خلقه، غيَّر ذلك الحال ليفسد إعجابه. وكان هذا حق من فعله لأن شرطه حين خلق الخلق أن ينتظروا إلى صنعه ويرونه محموداً.

قوله: « لو كان شيء سابقاً القدر لسبقته العين »، فإن الله تعالى

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب السلام ١٦ باب الطب والمرض والرقي ٤٢ ــ (٢١٨٨) عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبي ﷺ: وذكره، ورواه أبو داود في كتاب الطب ١٩ وصاحب الموطأ في العين ١ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٢٧٤، ٢٩١، ٢ : ٢٢٢، ٢٨٩، ٣١٩، ٤٢٠، ٤٢٩، ٤٨٧ (حلبي).

قدر المقادير قبل الخلق بخمسين الف سنة. فليس شيء من الخلق سبق القدر؛ لأنهم خلقوا بعد القدر. وإنما قدر الخلق ليخلق ويظهر ملكه وربوبيته فيحمدوه ويعبدوه ويضيفوا الأشياء إلى وليها وصانعها، كما روي أن الله تعالى قال: « ما خلقت الجن والإنس لحاجة كانت بي إليه، ولكن لأبين به قدرتي ولأعرف به الناظرين نفسي، ولينظروا في ملكي وتدبير حكمتي، وليدين الخلائق كلها لعزتي ويسبح الخلق بحمدي، ولتعنو الوجوه كلها لوجهي »[1].

فمن غفل عن الله تعالى ونظر إلى الأشياء بعين الغفلة فيعجب بها وتصير فتنة عليه. ومن شرط الله تعالى عليهم أن يعتبروا وعبروا عن الأشياء إلى خالقها، فإذا لم يعتبروا وبقوا مع الأشياء عجباً وفتنة، فسد ذلك الشيء عليهم كي ينبئهم ويعير عليهم عجبهم. وقد تقدم شرط القدر على الخلق. فلو كان شيء سابق القدر لسبقته العين لقربه وجواره له، ولا يسبقه لأن القدر قبل أن يخلق الخلق.

وقوله: « فإذا استغسلتم فاغسلوا » هكذا جرت السنة أن العاين يتوضأ أو يغتسل، ليغسل بتلك الغسالة هذا المعان فيخف ما به وينحل من ثقله، كما ينحل صاحب الأخذة من سحره.

فإن أخذه المعان من قبل الحق، فإن الحق (عز وجل) يقتضي أن ينسبوا الأشياء إلى وليها ومالكها، ولا يرضى أن تضاف إلى غير خالقها. فإذا أخذت الأشياء عن الأسباب في حالة الغفلة عن الله تعالى، والشرط النظر إلى صنع الله تعالى ولطفه في صنعه، وبره بالعبد، وعطفه عليه، فاقتضى الحق تعالى شكره لولي الخلق. فإذا نظروا إلى الأشياء فأعجبوا بها ناشد الحق وليها في إفساد ما به، أعجبوا لأن تلك النعمة

---

(١) الحديث أخرجه الطبراني في الكبير والديلمي في مسند الفردوس ومثله الحديث القدسي: كنت كنزاً مخفياً فخلقت الخلق فبي عرفوني.

حدثت من الملك من خزائن المنة على أيدي لطفه، فغيرها العباد بعمى النفوس عن جهتها، فغير الله تعالى ما بهم. قال الله تعالى: ﴿ **ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم...** ﴾(١) الآية.

فغير الله تعالى الحال وأفسد عليها إعجابها رحمة للناظر والمنظور إليه ليكون للناظر عبرة وللمنظور إليه خروجاً من أن يكون سبباً لما كره الله تعالى من فتنة العباد من دونه. فأمر هذا العاين أن يغتسل. فإن الغسالة مرفوضة تعافها النفس، وجعل الله الشفاء فيما رفضت نفسها وعافته. إذ ليس شيء في الأرض مما يلائم النفس إلا ولها فيه شهوة وإليها نزوع. فإذا استشفي هذا المعان بما قد رفضت نفس العاين وليست لها فيه شهوة ولا إرادة تخلصت من آفة النفس تقرباً إلى الله تعالى بخلافها والرد عليها تأميلاً للشفاء وحسن ظنه به. فحقق الله تعالى أمله ويفي بالظن فيعافيه. وصارت النفس مزجورة مذمومة بفعلها.

وعن جابر (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: أكثر من يموت من أمتي بالنفس بعد كتابه وقضائه. يعني بالعين(٢).

وعن أنس (رضي الله عنه) قال: كان عند رسول الله ﷺ يتيم مريض، فسأل عنه يوماً. فقالوا: إنه لمثبت يا رسول الله. قال: أفلا استرقيتم، فإن ثلث منايا أمتي من العين. وإنما صار كذلك لأن هذه الأمة فضلت باليقين على سائر الأمم، فحجبوا يقينهم بالشهوات فعوقبوا

(١) سورة الأنفال آية رقم ٥٣.

(٢) الحديث رواه البخاري في التاريخ، والبزار والضياء عن جابر — رضي الله عنه — وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وقال رواه البخاري في التاريخ والحكيم والبزار والضياء عن جابر — وأشار الى الحديث بالصحة.

بآفة رحمة من الله لهم. فإنه لما فضلهم باليقين وهو التأييد الأعظم لم يرض منهم بأن ينظروا إلى الأشياء بعين الغفلة وتتعطل منة الله تعالى عليهم وتفضيله إياهم. والله أعلم.

الأصل التاسع عشر والمائتان

في الاستعاذة بالله تعالى

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فاعطوه، ومن استجاركم بالله فأجيروه، ومن أتى إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه[1].

الاستعاذة بالله تعالى دخول في مأمنه وحريمه. ومن التجأ إلى ملك في الدنيا هاب طالبه أن يتكلف عنه أذى، وكف عنه إعظاماً لمن التجأ إليه، ولم يرض الملك أن يتكلف الطالب منه بعد ذلك مكروهاً، وإن خذله عد ذلك منقصة، فكيف ممن دخل في عياذ الله وجواره.

وقوله: « من سألكم بالله فاعطوه »، فالسؤال بالله أن يسأل ربه أن يسأل هذه الحاجة له. فكأنه صير الرب (عز وجل) سائلاً بينه وبين صاحبه، إذا سأل بحق والله تعالى لا يرد، وإذا سأل بباطل فإنه لن يسأل بالله تعالى، وإنما يسأل بالشيطان.

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الأدب باب في الرجل يستعيذ من الرجل ٥١٠٩ — عن الأعمش عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره. وفي الزكاة ٣٨ ورواه النسائي في الزكاة ٧٢ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٦٨، ٩٦، ٩٩ (حلبي).

سأل رجل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) شيئاً فلم يعطه، فقال: أسألك بوجه الله تعالى، فقال له: كذبت، ليس بوجه الله سألتني، إنما وجه الله الحق، ولكن سألت بوجهك الخلق.

وقال ﷺ: من سألكم بالله فأعطوه، وإن شئتم فدعوه[1].

قال معاذ (رضي الله عنه): فإن سأل وهو مستحق فإن لم تعطوه فأنتم ظلمة. وإن عرفتم أنه غير مستحق أو اشتبه عليكم فلم تعرفوا أنه سأل بحق فيجوز أن لا تعطوه. وأما المعروف فإنه يكافئ. فإن لم يجد المكافأة فالدعاء أكبر من المكافأة بالشيء، لأن الذي أعطاه عوضاً من الدنيا، وهذا قد كافأه بالمسألة من الله تعالى نوالاً. ونوال العبد يدق في جنب نوال الله تعالى. والعبد إذا صنع إليه معروف فلم يجد ما يكافئ، اشتد عليه لكرم طبعه وكونه عارفاً بالصنائع شاكراً له، فأثقله معروفه، فأعوزته الحاجة من الخلائق من أثقال معروفه ففزع إلى الله تعالى وسأله أن يكافئه عنه، وهو يحب هذا الخلق من المؤمن، فإنه محض الشكر، فقمن أن يستجيب له.

---

(١) الحديث رواه أبو داود باب في الرجل يستعيذ من الرجل ٥١٠٨ ـــ حدثنا نصر بن علي وعبيدالله بن عمر الجشمي قالا: ثنا خالد بن الحرث، ثنا سعيد قال: نصر: ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي نهيك، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال : وذكره.

الأصل العشرون والمائتان

في أن القلب ملك والأركان عبيد

عن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب[1].

القلب ملك والأركان عبيد. وإنما يعمل كل ركن في معمله بمشيئة القلب وأمره، والقلب عن مشيئة الله تعالى. شاء لم يكله إلى أحد سواه، ولم يطلع عليه أحداً، يضع فيه ما يشاء ويرفع منه ما شاء. والنور والتوحيد فيه، والطاعات منه، وفكر ذلك كله في الصدر، وعنه تصدر الأمور، ولذلك سمي صدراً، والقلب لتقلبه. والقلب معدن النور ومستقر التوحيد ومنظر الرب (سبحانه وتعالى). والصدر موضع التدبير والفكر. والنفس معدن الشهوات. فإذا وجدت النفس طريقاً إلى القلب، مرت بشهواتها إليه فدنست الإيمان.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الفتن ١٤ باب الوقوف عند الشبهات ٣٩٨٤ ــ عن الشعبي قال: سمعت النعمان بن بشير يقول على المنبر وذكره. ورواه الإمام البخاري في إيمان ٣٩ ورواه الإمام مسلم في المساقاة ١٠٧ والدارمي في البيوع ١.

قال (عليه السلام): الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل[1].

وقال أيضاً (عليه السلام): الإيمان حلو نزه فنزهوه. ونزاهته أن تفطم نفسك عن الشهوات حتى لا يصل إلى قلبك منه بمنزله ماء صاف جرى إليه ماء كدر فذهب بصفائه أو عسل ماذي وصل إليه الصبر فغيره عن حالته، لأنه إذا استقر في قلب المؤمن توحيد رب كريم ودود، ظهر له وداده وكرمه وبره، فقد وجد حلاوة التوحيد ونزاهته، فإذا جاءت شهوات النفس فوجدت سبيلاً إلى القلب فخالطته وكدرته ومازجت حلاوته فدنست وكدرت. فأي خسران أعظم من هذا. ومن خلع عليه ملك خير خلعه في خزانته فدنسها بقلة التوقي لها عن مواضع الدنس، أو لم يكن محقوقاً أن يسلب فيهان أم ليس على حياء من فعله في اليوم الذي دخل على الملك بتلك الخلعة فما ظنك بمن خلع الله (تعالى) عليه التوحيد فدنسه! فانظر ماذا حل به إذا دخل عليه. والقلب مثله مثل ملك له عبيد لهم هيئة وشارة ومراكب وزي الأغنياء والملك فقير معدم ليس له مادة ولا كنز. فإذا نظر إليه العاقل يقول: ليس لهذا الأمر نظام، ولا له دوام. فإنه معدم.

فهذه الهيئآت التي أراها لا تدوم وسيحتاج إلى مثلها وليس له مدد. وان برز له مناوئ يكون زوال ملكه وضياع هؤلاء العبيد و[illegible]ر أحوالهم. وإن كان الملك ذا كنوز ومادة والعبيد في هيئة بذة يقول في نفسه: له بيوت أموال من الكنوز ففي ساعة واحدة يصيرهم فرساناً بجميع آلتهم، ويكسوهم من الكسوة، ويعطيهم من العدة ما يعرفهم لغناه. فكذلك من كان قلبه بين يدي الله تعالى في غناه وسلطانه، وقد احتظى

(١) لعل هذا الأثر من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر ولم يشر صاحب مجمع الزوائد إليه وكذلك السيوطي في جامعه

منه الحظ الأوفى من جلاله وعظمته وكبريائه ومجده، فهو في تلك الأنوار مشرق صدره بها.

فإذا رأى أركانه معطلة من أعمال البر لم يحيره ذلك لأن الملك غني، فعري الأرقام لا يضره، إذ لا يترك فرضاً وإنما يترك فضلاً، ولا تستبين الفضائل في جنب ما تفضل الله تعالى به عليه من معرفته التي برز بها على الخلق، وقد عرف الله تعالى معرفة وثق به في جميع أحواله، وفوض أموره إليه.

فانظر إلى تدبيره مراقباً له، قابلاً لأحكامه، قنعاً بالذي يؤتى من دنياه مؤتمراً بأمره، مطمئناً به، ليست له همة ولا نهمة ولا قرار إلا الخلاص من هذا السجن الذي أخذ بنفسه، قد ضاقت عليه الدنيا وصارت سجناً لطول احتباسه؛ لأنه ظمآن إلى لقاء مولاه.

وأي شيء ألذ من لقاء العبد سيده الذي كان أمله من الدنيا والآخرة! فأما الإباق من العبيد الذين جهلوا سيدهم لا يحب لقاء سيده. وهل شيء أثقل عليه من لقائه؟ لأنهم استطابوا الحرية وتعجلوها بتقلبهم في دنياهم وشهواتهم، وهربوا من العبودة. فهم وإن كانوا قد عرفوه ولم يشكوا فيه بعد أن أيقنوا وعلموه علم اللسان إلا أنهم جهال به، لم ينكروه لأنه لم يتراءَ على قلوبهم نور جلاله، ولا حل بقلوبهم عظمته، ولا تجلل عليها كبرياؤه، ولا طالعت مجده وسلطانه، ولا عاينت منته وإحسانه، ولا فهمت تدبيره ولطفه في الأمور، ولا انتبهت لربوبيته، ولا شربت بالكأس الأوفى من محبته، ولا ظمئت من الشوق إليه، ولا ولهت وله العكف ببابه، ولا تفسحت في ساحات توحيده متأنساً بجماله، ولا انفردت لأحديته، ولا حييت بحياته، ولا خلصت لوحدانيته، ولا طابت بنسيم قربه، ولا انشرحت صدورهم بذلك من قلوبهم، بل علموا علماً مجملاً اقتضاهم الإيمان الإقرار بذلك قولاً

والاعتقاد له قلباً، وصدورهم غير منشرحة بباطن علمه. فمن جهل هذا اكتفي بهيئة العبيد والملك فقير معدوم.

والعاقل ينظر إلى صلاته وصيامه وحجه وجهاده وأعمال بره وكأنه نظر إلى أركان وجوارح كهيئة العبيد، عليهم هيئة مرتفعة ومراكب سرية وأسلحة وافرة. وإذا نظر إلى باطن أحدهم وجد خوف الرزق على قلبه كالجبال، كاد يموت من همه، وخوف الخلق وسقوط منزلته عن قلوبهم، ووجد فيهم الفرح بمدح الخلق لهم والثناء عليهم وحب الرياسة وطلب العلو والتبصبص للأغنياء والاستحقار للفقراء، والأنفة منهم والاستكبار في موضع الحق، والحقد على أخيه المسلم والعداوة والبغضة، وترك الحق لمخافة ذل ينزل به، والقول بالهوى، والرغبة في الدنيا والحرص عليها، والشح والبخل وطول الأمل، والاشر والبطر والغل والغش، والمباهاة والرياء والسمعة، والاشتغال بعيوب الخلق، والمداهنة والإعجاب بالنفس، والتزين للمخلوقين، والصلف والتجبر، وغرة النفس والقسوة، والفظاظة وغلظ القلب والغفلة، وسوء الخلق وضيق الصدر، والفرح بالدنيا والحزن على فوتها، وترك القناعة، والمراء في الكلام، والجفاء والطيش والعجلة، والحدة وقلة الرحمة، وقلة الحياء، والاتكال على الطاعات، وفضول الكلام، والشهوة الخفية، وطلب العز، واتخاذ الأخوان في العلانية على عداوة في السر، والتماس المغالبة، والانتصار للنفس، والتعظيم للأغنياء من أجل غناهم، والاستهانة بالفقراء من أجل فقرهم، والغيبة والحسد والنميمة، والجور والعدوان.

فهذه كلها مزابل قد انضمت عليها طويات صدره، وظاهره العبادة وأنواع أعمال البر. فإذا انكشف الغطاء عن هذه الأشياء بين يدي الله تعالى، كان كمزبلة فيها أنواع الأقذار، غشيت بالديباج، فلما رفع عنه الغطاء أخذت بالأنف من نتنها، وأعرض الناظرون عن قبحها. فهذا المتصنع المرائي، عبد شهواته، لم يقدر أن يخلص من عمله ونفسه

متقدة بنار الشهوة، وقلبه مشحون بهوى نفسه. ولو اجتهد في إخلاص الصلاة والصوم، فهو محتاج إلى أن يخلص في مشيته وركوبه ونزوله وأكله وشربه ومنطقه وصمته وأخذه وإعطائه وجميع معاملاته. ولو أخلص هذا كله أليس هذه المزابل معه؟ فهذه كلها عيوب. والعبد إذا كثرت عيوبه انحطت قيمته.

والعاقل لا يغره ما رأى من ظاهر أحواله إذا اطلع على باطنه فوجده كما وصفنا. كمن رأى ملكاً له عبيد في زي وهيئة ومراكب. والملك بنفسه ليست له مادة من الأموال. وإذا رأى عبداً أركانه معطلة من أعمال البر وقلبه ملك من الملوك مملوءة خزائنه أموالاً وبيوته جواهر والأموال غناه بالله تعالى، وأي غني أغنى ممن استغنى بالله تعالى؟ إذ الغنى بالأموال منقطع، والغنى بالله تعالى دائم إذ هو حي لا يزول، وأما الجواهر فحكمة صفاته، وقد عجز عن دركها العامة، وإنما خص بها الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) أهل خدمة الله تعالى. فإنه قد إنفرد بالفرد الواحد، واحتظي من جلاله وعظمته وكبريائه ومجده وجماله، فتواضع له وخشعت جوارحه لخشوع قلبه، وعظم أمر الله، وحفظ حدوده، وراقب تدبيره إعظاماً لجلاله وهيبته، وتذللاً لربوبيته. فعنده الرأفة بالخلق، والرحمة لهم، واللين والرأفة، والحلم وسعة الصدر. وتعظيم أمر الله تعالى، والإخلاص له، وحراسة القلب، ودوام الفكر، والقناعة، والرضى، والانابة، والشوق إليه، والتبرم بالحياة، واليقظة في الأمور والمعاينة لها، والرزانة، والصيانة، والشفقة، والعطف، والتأني، والوقار، والسكون، والذكر الدائم، والرهبة والرغبة، والخوف والرجاء، والأنس بالله تعالى، والسرور به، والسخاء، والجود، والبشاشة، والنصيحة، وسلامة الصدر صار كمن رأى عبداً في هيئة رثة، والملك صاحب كنوز وجواهر، فعلم هذا العاقل أن هذه الهيئة لا تضر عبيده لأنه متى عرض لهم أمر، فتح لهم باباً من خزائنه فعرفهم. فكذا هذا القلب قد امتلأ خيراً

وامتلأ جوارحه من هذا الخير. فلساعة من عمره بهذه الصفة أفضل من أعمال الثقلين دهراً. وإذا تعطلت أركانه عن كثير من أعمال البر، فهو في الخير كله دائم عليه بدوام قلبه على ذلك. وقليل من عمله أزكي من عمل ذلك المخلط سنين كثيرة.

يروى أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، فلما رأى ما به من الضر، قال: ما بلغ بك ما أرى؟ قال: بأبي أنت وأمي السقم والحاجة. قال له: أفلا أعلمك كلمات إذا أنت قلتهن، أذهب الله (عز وجل) عنك ما بك؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحب ان لي مما ترى بي وقعة بدر وأحد. فقال (عليه السلام): يا أخا الأنصار وأين تقع وقعة بدر وأحد من موضع الفقير القانع؟ وشهد رسول الله ﷺ رجلاً بالجنة فلم ير له صوم ولا صلاة، فقيل له في ذلك، فقال: إني أبيت وليس لأحد في قلبي غل، ولو أعطيت الدنيا ما فرحت بها، ولو أخذت مني لم أحزن عليها[1].

وعن أبي بكر بن عبدالله المزني (رضي الله عنه) قال: إن أبا بكر (رضي الله عنه) لم يفضل الناس بكثرة صلاة ولا صوم، وإنما فضلهم بشيء كان في قلبه.

وعن الحسن (رضي الله عنه) قال: إن عمر لم يغلب الناس بالأعمال، إنما غلبهم بالصبر واليقين والزهد.

وقال عبدالله (رضي الله عنه): أنتم اليوم أكثر صلاة وصوماً وجهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا خيراً منكم. قالوا: مم ذاك؟ قال: كانوا أزهد في الدنيا، وأرغب في الآخرة.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

فيما يحكي عن ربه (عز وجل) أنه قال: يا موسى إنه لن يتصنع المتصنعون بمثل الزهد في الدنيا، ولن يتقرب المتقربون بمثل الورع عما حرمت عليهم، ولم يعبدني العابدون بمثل البكاء من خشيتي. فأما الزاهدون فابيحهم الجنة حتى يتبوؤا منها حيث شاءوا. وأما الورعون عما حرمت عليهم فانه ليس من عبد يلقاني يوم القيامة إلا ناقشته الحساب، وفتشته عما في يديه إلا ما كان من الورعين، فاني أجلهم وأكرمهم، وأدخلهم الجنة بغير حساب. وأما البكاءون من خشيتي فلهم الرفيق الأعلى لا يشركون فيه.

وقال (عليه السلام): الورع سيد العمل[1].

ومن لم يكن له ورع يرده عن معصية الله تعالى إذا خلا بها، لم يعبأ الله بسائر عمله شيئاً، فذلك مخافة الله في السر والعلانية، والاقتصاد في الفقر والغنى، والصدق عند الرضى والسخط. ألا وإن المؤمن حاكم لنفسه، يرضى للناس ما يرضى لنفسه. وهذه الخصال لا تكون إلا لأهل القلوب.

وقال أنس (رضي الله عنه): ما أعرف اليوم فيكم شيئاً كنت عهدته على عهد رسول الله ﷺ لبس قولكم لا إله إلا الله.

فصلاح القلب صلاح الجسد، وعمارته عمارة دينه.

قال (عليه السلام): من كان له قلب صالح تحنن الله عليه[2].

وقال (عليه السلام): بالقلوب الصالحة يعمر الله الأرض وبها يخرب الأرض إذا كانت على غير ذلك[3].

---

(١) لعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر وجعلها في نوادره. والله أعلم.

(٢) قال السيوطي في الجامع الصغير رواه الحكيم عن يزيد وأشار على الحديث بالضعف

(٣) لعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر

الأصل الحادي والعشرون والمائتان

في أن الوسوسة من برازخ الايمان

عن أنس (رضي الله عنه) أن بعض أصحاب رسول الله ﷺ شكا إلى رسول الله ﷺ ما يجدون في صدورهم من الوسوسة، فقال: كيف أنتم في ربكم؟ قالوا: لا نشك في ربنا، ولان يقع أحدنا من السماء فيتقطع أحب إليه من أن يتكلم بما يجد في صدره. فقال (عليه السلام): الله أكبر ذاك محض الإيمان[1].

وكان ثابت يقول: اللهم أكثر لنا منه.

قال أبو عبدالله: أحكم الله تعالى الإيمان في قلوب من اجتباهم وهداهم، وأبرز أسماءهم بالسعادة في اللوح المحفوظ، وأخرجهم يوم الميثاق في أصحاب اليمين، وفزع الشيطان من أن يوسوس إليهم في توحيدهم ما يبطله عنهم، وكيف يجوز ذلك وقد أخذ الله بقلبه وناصيته، وفي قلبه نوره، فكيف يقوم العدو لنوره حتى يطفئه، إذ ليس أحد ينشرح صدره بالله تعالى وبالنطق بلا إله إلا الله إلا بمنة الله عليه،

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم مختصراً ٢١١ (١٣٣) عن سعير بن الخميس عن مغيرة عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال: وذكره. ورواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٢ :٤٥٦ ثنا شعبة عن عاصم بن بهدلة عن ذكوان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكره.

فلن يسلط عليه العدو حتى يبطله، والله (عز وجل) أكرم من أن يرتجع في منته ويسلط عليه العدو. ألا ترى إلى قوله للعدو: ﴿ **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً** ﴾[1] أي مانعاً شيطانه من أن يدخل عليه في قلبه فيفسد توحيده؛ لأن التوحيد هو الإيمان، وذلك نور الله تعالى في قلبه. قال تعالى: ﴿ **حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم...** ﴾[2].

والقلب هو البضعة الباطنة. والبضعة الظاهرة يُقال لها : **فؤاد. وفيها** العينان والأذنان. والقلب يقلبه الله تعالى، ولم يكله إلى أحد، ولم يطلع عليها أحداً من خلقه، وإنما سلطان الشيطان في الصدر؛ لأنه بيت القلب، والنفس معدن الشهوات. قال تعالى: ﴿ **يوسوس في صدور الناس** ﴾[3]

فالشيطان يزين ويشير ويمني ويحدث في صدور الناس الشهوة التي في النفس حتى يضله ويفتنه. وليس يجد المؤمن في نفسه شهوة الكفر؛ لأن الله تعالى نزعها بايصال الإيمان إلى حبة قلبه، ثم بقي شهوة الأشياء في قلبه، ثم حرم وأحل ليبلغة بالمجاهدة في هذه الشهوات. فاذن المؤمن قد حلاه الله تعالى بالإيمان وطهره وطيبه وزين قلبه، وليس للكفر شهوة في النفس حتى يدخل الشيطان فيه بظلمته فيزين له الشرك حتى يفسد توحيده ولا له إليه سبيل. فإذا وسوس في صدره أنكر القلب بما فيه من النور، وإنكاره محض الإيمان، لأنه اهتاج فاستنار، وصار كجمرة قد علاها الرماد لخمودها، فلا تكاد تضيء مما علاها، فوصلت إليه نفخة فطار عنها رمادها فتوقدت وتلظت واستضاء البيت بتوقده، فازدادت تلك الجمرة فصارت محضة لما طار عنها الرماد.

(١) سورة الحجر آية رقم ٤٢.

(٢) سورة الحجرات آية رقم ٧.

(٣) سورة الناس آية رقم ٥.

فكذلك القلب فيه الإيمان، وقد سقم وعلاه رماد حريق الشهوات، فإذا جاءه الوسواس بكيده وحديثه يريد به نقض توحيده، كان ذلك كمن ينفخ في تلك الجمرة لتتقد ويطير عنه الغبار. وتلك النفخة هي أمر من الله تعالى خفي يلطف له من لطفه ليفي له بما توكل له من قوله: ﴿ **وكفى بربك وكيلاً** ﴾[1].

فلما صار إيمانه ذا غبار رحمه ولطف له من حيث خفي على العباد بالعصمة، فمنع كيده من أن يفسد عليه توحيده، واهتاج الإيمان منكراً لما جاء به، ونافراً عنه، فطار عنه رماد الشهوات ودخانه، واستوقدت جمرة الإيمان فأضاءت الصدر، فلذلك صار محض الإيمان؛ لأنه في ذلك بلا رماد ولا دخان.

ولهذا قال ثابت (رضي الله عنه): « اللهم زدنا منه ». سأل الزيادة من لطف الله تعالى لعبده.

وقال عبدالله (رضي الله عنه) — حيث سئل عن الوسوسة — فقال: « ذاك برازخ الإيمان ». والبرزخ الحاجز بين الشيئين.

ولهذا قال عليه السلام: مثل المؤمن مثل الفرس في آخيته يحول ويجول ثم يرجع إلى آخيته[2].

فيحق على المؤمن أن يقل عبؤه بوسوسته، فأخسأ ما يكون إذا استحقر له ولم يعبأ به. فمن اعتراه ضعف في قلبه حتى يخاف على نفسه، فذاك لضيق صدره وقلة انشراحه، وظلمة الشهوات والذنوب. فإن وسوس إليه في التشبيه، فالرد عليه أن يقول في نفسه: كل ما

(١) سورة الإسراء آية رقم ٦٥.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٥٥ ثنا عبدالله بن الوليد عن أبي سليمان الليثي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: وذكره وفيه زيادة [وأن المؤمن يسهو ثم يرجع الى الإيمان، فأطعموا طعامكم الأتقياء وولوا معروفكم المؤمنين].

تصور في صدري فالرب سبحانه وتعالى بخلافه، فإنه لا يتصور في صدري إلا مخلوق له كيفيه ومثل، وربي لا يدري كيف هو، ولا مثل له، ولا كيفية، فما تمثل في صدري فهو غير ربي. ثم جاء عن رسول الله ﷺ: «الله الله ربي، لا أشرك به شيئاً»[1]. لتطيب بها نفسه بما ضاق منه صدره ليخرج من ضيقه بها إلى السعة.

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الدعاء ١٧ باب الدعاء عند الكرب ٣٨٨٢ ــ عن عمر ابن عبد العزيز عن عبدالله بن جعفر عن أمه أسماء ابنة عميس قالت علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن عند الكرب وذكره.

الأصل الثاني والعشرون والمائتان

في أن النجوم أمان لأهل السماء والعلماء الصدِّيقين أهل بيت النبوة أمان للأمة

عن سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي[1].

فالنجوم هن الطوالع السوائر الغوارب عطارد، والمريخ، وزحل، والمشتري، والزهرة. وسميت نجوماً لأنها تنجم أي تطلع من مطالعها في أفلاكها.

قال تعالى: ﴿ **وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها...** ﴾[2] وما عدا ذلك كواكب.

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة ٢٠٧ (٢٥٣١) عن مجمع بن يحيى، عن سعيد بن أبي بردة عن أبي بردة عن أبيه قال صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: ما زلتم ههنا، قلنا يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلي معك العشاء: قال أحسنتم أو أصبتم قال : فرفع رأسه الى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه الى السماء فقال : وذكره. مع تغاير في الألفاظ وفي آخره [فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون].

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٩٧.

قال تعالى: ﴿ **إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب...** ﴾[1] فالكواكب معلقات من السماء كالقناديل. والنجوم لها مطالع ومغارب. فهن أمان لأهل السماء. فإذا ذهبت أتى أهل السماء ما يوعدون. وعلى هذا يأول قوله (عليه السلام): « مثل أصحابي مثل النجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم »[2].

وليس المراد به من لقي رسول الله ﷺ أو بايعه أو رآه رؤية واحدة. وإنما أراد من لازمه غدوة وعشية. وكان يتلقى الوحي منه طرياً، ويأخذ عنه الشريعة التي جعلت منهجاً للأمة، وينظر منه إلى آداب الإسلام وشمائله، فصاروا من بعده أئمة أدلة، فبهم الاقتداء، وعلى سيرتهم الاحتذاء، فكانوا يمسون عنده، ويصبحون عنده، ولازموه في السفر والحضر، وتفقهوا في دين الله، وعرفوا الناسخ والمنسوخ والسنن، وهم الذين أثنى الله عليهم، وأمر نبيه (عليه السلام) بالصبر معهم فقال: ﴿ **واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي...** ﴾[3]

فهؤلاء هم النجوم الأدلة. وشبههم (عليه السلام) بالنجوم لأن بهم الاقتداء. وهم من الأصحاب قليل. عددهم كالنجوم؛ لأنهم أهل بصائر ويقين، وجاز لهم اجتهاد الرأي بفضل اليقين والبصائر. فلما اختلفوا في اجتهادهم جاز لكل أحد لم يكن من أهل النظر والتمييز أن يأخذ بقول من أقوالهم تقليداً له. ومن كان من أهل النظر فاختار قولاً من أقوالهم مجتهداً مستنبطاً كان له ذلك. وأما غير هؤلاء فهم مثال الكواكب يضئن لأنفسهم وليسوا بأدلة ولا أئمة.

---

(١) سورة الصافات آية رقم ٦ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال: وزيناها.

(٢) الحديث رواه البيهقي، وأسنده الديلمي عن ابن عباس بلفظ [أصحابي بمنزلة النجوم في السماء بأيهم اقتديتم اهتديتم].

(٣) سورة الكهف آية رقم ٢٨.

وقوله: « أهل بيتي أمان لأمتي » فأهل بيته من خلفه من بعده على منهاجه وهم الصديقون. والأبدال الذين روى علي (كرم الله وجهه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« إن الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً، كلما مات منهم رجل، أبدل الله مكانه رجلاً، بهم يسقي الغيث، وينصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الأرض بهم البلاء »[1].

فهؤلاء أهل بيت رسول الله ﷺ، وأمان هذه الأمة. فإذا ماتوا، فسدت الأرض، وخربت الدنيا. قال الله تعالى: ﴿ **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض** ﴾[2]

وهذا لأن البيت من تبوئة الذكر. وكان رسول الله ﷺ بعث ليبوِّئ لذكره في الأرض فبدأ بمكة فطرد ونفى الذكر، ثم جعل الله تعالى له مهاجراً ومستقراً. فمن هاجروا إليه ولزموه فصاروا أهل الذكر فهم أهل بيته. ومن آووا إليه ولم يصيروا من أهل الذكر، فليسوا من أهل بيته، بل هم من أصحابه وأتباعه. قال تعالى: ﴿ **فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين** ﴾[3] وهم المهاجرون والأنصار، فتبوؤا الدار والإيمان، فصاروا أهل بيت رسول الله ﷺ لتبوئه الذكر.

---

(١) الحديث رواه الامام: أحمد في المسند ١: ١١٢ حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا أبو المغيرة ثنا صفوان، حدثني شريح معين بن عبيد قال: ذكر أهل الشام عند علي بن ابي طالب رضي الله عنه — وهو بالعراق فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين قال: لا. لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥١.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ٨٩.

وإنما يكون من أهل النبوئة من بوأ لذكره على طريقه صافياً غير مغشوش، صادر من إيمان غير مغشوش ولا سقيم. وسقمه أن يمازجه شهوة النفس حتى تميل به عن الله تعالى، وتثقله عن أمره، وتلهيه عن ذكره. قال تعالى: ﴿ **لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله** ﴾[1].

إذ الإيمان هو طمأنينة القلب إلى الله تعالى في كل أمر. فإذا آمن به على الجملة ثم مال يميناً وشمالاً ليطمئن إلى الخلق والأسباب فذلك غش الإيمان، إذ خلط به ما ليس منه. فأما الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) قد اطمأنوا إليه يراقبون ما يخرج من حجب الغيب من مشيئته وتدبيره فيقبلون منه اهتشاشاً وتسارعاً لمشيئآته وأحكامه، قد أخبتوا له، وانخشعت نفوسهم لأن شهواتهم قد ماتت من هيبة جلاله تعالى وتقدس. فالمستحقون للذكر هم أهل الذكر وهم الذي ذكرهم الله تعالى بحقيقة الذكر. وهو أن لا يبقى على قلبه مع ذكره في ذلك الوقت ذكر نفسه ولا ذكر مخلوق فذاك الذكر الصافي الذي لا غش فيه.

قال (عليه السلام): « يقول الله (عز وجل): من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين »[2]. هذا فيمن شغله ذكر الخالق، فكيف بمن شغله الخالق بأنسه؟ هذا فيمن شغله الخالق بأنسه، فكيف بمن شغله الخالق بجلاله وجماله؟ وكيف بمن شغله الخالق في فردانيته بنفسه في وحدانيته. وهم الذين أشار إليهم (عليه السلام) فقال: « سيروا فقد سبق المفردون ». قيل: يا رسول الله من المفردون؟

---

(١) سورة المنافقون آية رقم ٩.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب ٢٥، ٢٩٢٦ عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ وذكره بزيادة لفظ (القرآن) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب ورواه الدارمي في فضائل القرآن ٦.

قال: « الذين اهتروا في ذكر الله، يأتون يوم القيامة خفافاً يضع الذكر عنهم أثقالهم »[1].

فالمهتر إذا نطق يشبه كلامه كلام من لم يستعمله عقله. لأن العقل يخرج الكلام على اللسان بتدبير وتؤدة وتأني. وهذا المهتر إنما ينطق به. فكأنه الماء على لسانه يجري حتى يشبه الهذيان في بعض أحواله عند العامة، وهو في الباطن مع الله تعالى من أصفي الناطقين وأصدقهم. والمهتر في اللغة الشيخ الكبير الذي قد أفند عقله وهو يهتر في الكلام كالخرف. فهذا قد خمد نور عقله لنور وجهه الكريم، بمنزلة قمر طلع عليه شمس فخمد نور القمر بضوء الشمس. فلم يعمل عقله ذلك العمل. ومن خمد عقله للقرب والدنو فقد استوجب من الله تعالى كرامة أنطق لسانه وحفظ عليه شأنه وأيده وعصمه. فصار بيت رسول الله ﷺ لتبوئة الذكر على الوجه الذي بينا.

والأهل والآل بمنزلة واحدة. إذ الهاء والهمزة أختان تجزي أحديهما عن الآخرى. وإنما قيل أهل لأنه حيث ما ذهب به فهو راجع إلى ذلك المستقر. فكذا الآل حيث ما تفرق. والنسب يؤول إلى الأصل. فأهل البيت كل من رجع نسبه إلى ذلك الأصل. فكذا أهل بيت الرسول ﷺ فإن الله تعالى قد أخذ الرسول (عليه السلام) من خلقه، فاختصه لنفسه، واصطفاه لذكره، فكان في كل أمر قلبه راجعاً إلى الله تعالى، من عنده يصدر، ومعه يدور، وإليه يرجع. فكان هذا بيتاً أشرف وأعلى من البيت الذي هيأ له في أرضه، وهو النسب. فكان هذا البيت عالياً على ذلك البيت. ألا ترى أنه غلب على النسب نسبة ما أكرمه الله تعالى به من الأمانة. فكان يقال: محمد بن عبدالله. ثم يقال: محمد

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٣٢٣ — ثنا أبو عامر ثنا علي — يعني ابن المبارك عن يحيى يعني ابن أبي كثير عن ابن يعقوب قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ. القيامة. وذكره.

الأمين. لأنه أعلى منه. فلما جاءت الكرامة غلب على هذا الاسم، فقيل: نبي الله ورسوله.

فكذا كان له بيت النسبة وأهل بيت النسبة. فلما جاءه بيت الكرامة والنبوة فغلب على ذلك البيت كان كل من رجع قلبه إلى الله تعالى على طريقه من أهل ذلك البيت، وهم الأربعون الذي خلفوه من بعده حتى تقوم بهم الأرض، وبهم يمطرون ويرزقون. ولا يجوز أن يحمل على أهل بيت النسب لمعان: أحدها: أنه روي في الحديث « فإذا ذهب أهل بيتي أتى أمتي ما يوعدون »[1].

فكيف يتصور أن يذهب أهل بيته حتى لا يبقى منهم أحد وهم أكثر من أن يحصى، وبركة الله تعالى عليهم دائمة، ورحمته مظلة من فوقهم. وقد قال (عليه السلام): « كل سبب ينقطع إلا سببي ونسبي »[2].

والثاني: أن أهل بيته نسبة بنو هاشم وبنو عبد المطلب، ولم يكونوا أماناً لهذه الأمة حتى إذا ذهبوا ذهبت الدنيا.

والثالث: أنه قد يوجد منهم الفساد كما يوجد في غيرهم، ومنهم المحسن ومنهم المسيء.

فبأي شيء صاروا أماناً لأهل الأرض؟ فعلم أن المراد به من به

---

(١) سبق الحديث عن هذا الخبر.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٤ : ٣٢٣ ــ ثنا عبدالله بن جعفر حدثتنا أم بكر بنت المسور بن مخرمة عن عبيدالله بن أبي رافع عن المسور أنه بعث إليه حسن بن حسن يخطب ابنته فقال له قل له فليأتني في العتمة قال: فلقيه فحمد المسور الله وأثنى عليه وقال: أما بعد، والله ما من نسب ولا سبب ولا صهر أحب إليَّ من سببكم وصهركم ولكن رسول الله ﷺ قال: فاطمة مضغة منى يقبضني ما قبضها ويبسطني ما بسطها وأن الانساب يوم القيامة: ذكره.

تقوم الدنيا، وهم أعلامه وأدلة الهدى في كل وقت. فإذا تفانوا لم يبق للأرض حرمة. فعمهم بالبلاء.

فإن قال قائل: بحرمة رسول الله ﷺ وقربهم منه صاروا أماناً لأهل الأرض. قيل: حرمة رسول الله ﷺ عظيمة جليلة، وفي الأرض ما هو أعظم من حرمة ذريته وهو كتاب الله. فلا نجد ذكره في الحديث. ثم الحرمة لأهل التقوى. لأنه إنما عظمت حرمة رسول الله ﷺ لفضل النبوة ما أكرمه الله تعالى به.

والدليل على ذلك ما روى أبو هريرة (رضي الله عنه) قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة، وعندها صفية (عمة رسول الله ﷺ) فقال:

« يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد، يا صفية عمة رسول الله: اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم، واعلموا أن أولى الناس بي يوم القيامة المتقون. وان تكونوا أنتم مع قرابتكم فذلك لا يأتيني الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على أعناقكم، فتقولون: يا محمد! فأقول هكذا. ثم تقولون: يا محمد! فأقول هكذا. أعرض بوجهي عنكم. فتقولون: يا محمد، أنا فلان ابن فلان. فأقول: أما النسب فأعرف، وأما العمل فلا أعرف، نبذتم الكتاب فارجعوا إلى قرابة بيني وبينكم[1].

وروي أنه قال جهاراً غير سراً: ألا إن أوليائي منكم ليسوا بأبي فلان، لكن أوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم مختصراً في كتاب الإيمان ٣٥١ (٢٠٦) عن ابن شهاب قال أخبرني ابن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ وذكره، ورواه الإمام البخاري في كتاب التفسير ٢٦ والمناقب ١٣ والنسائي في الوصايا ٦ والدارمي في الرقاق ٢٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣٥٠، ٣٩٩، ٤٤٩ (حلبي).

وما زالت الطبقة الزائفة المفتونة بحب أهل بيت رسول الله ﷺ نسباً ما زالت بهم فتنتهم حتى عمدوا إلى كل شيء من هذه الأشياء فنسبوه إليهم؛ وحرموا غيرهم ذلك إعجاباً بهم وفتنة، وان الله فضلهم بأن طيب عنصرهم، وطهر أخلاقهم، واختار قبيلتهم على القبائل، فلهم حرمة التفضيل والاثرة، وحرمة الاتصال برسول الله ﷺ، فيحق علينا أن نحبهم حباً لا يرجع علينا بوبال وظلمة. وهؤلاء الغلاة جاءوا بأحاديث مختلفة، وأكاذيب منكرة، حتى أداهم ذلك إلى أن طعنوا في الشيخين المهديين المرضيين الذين كان علي (كرم الله وجهه) ينكل من فضله عليهما فقال: لا أجد أحداً يفضلني عليهما الا جلدته حد المفترين.

وبلغ من إفراط هؤلاء أن رووا أحاديث مختلقة يريدون أن يقيموا لعلي (رضي الله عنه) فضلاً. وقد فضل الله علياً (رضي الله عنه) بأشياء كثيرة وفضائل جمة قد أغناه عن مثل ذلك، لكنهم تركوا لظلمة قلوبهم وشقاء جدهم تلك الأشياء، وأقبلوا على الكذب، وتأولوا قوله تعالى: ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...** ﴾[1] انما هم علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، (رضوان الله عليهم) وهي لهم خاصة. وكيف يجوز هذا ومبتدأ هذا الخطاب قوله (عز وجل): ﴿ **يا أيها النبي قل لأزواجك...** ﴾ إلى قوله: ﴿ **... أجراً عظيماً** ﴾[2].

ثم قال: ﴿ **يا نساء النبي...** ﴾ إلى قوله: ﴿ **... إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...** ﴾[3].

ثم قال: ﴿ **واذكرن ما يتلى في بيوتكن...** ﴾[4].

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٢٣.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٢٨ — ٢٩.

(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٣٢ — ٣٣.

(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٣٤.

وهذا كلام منسوق بعضه على أثر بعض. فكيف صارت هذه المخاطبات كلها لنساء النبي (عليه السلام) قبلاً وبعداً، وينصرف ما في الوسط إلى غيرهن، وهو على نسق ونظام واحد، لأنه قال: ﴿ **ليذهب عنكم الرجس أهل البيت...** ﴾ ثم قال على أثره: ﴿ ... **في بيوتكن...** ﴾[1].

فكيف صار الكاف الثاني خطاباً للنساء، والأول لعلي وفاطمة (رضي الله عنهما)؟ وأين ذكرهما في هذه الآيات؟ فإن قال: إن كان الخطاب لنسائه. فكيف قال: ﴿ **ليذهب عنكم** ﴾ ولم يقل: ﴿ **عنكن** ﴾؟

قلنا: إنما ذكره لينصرف إلى الأهل، والأهل مذكر، فسماهن باسم التذكير، وإن كن إناثاً.

وقد يروى عن رسول الله ﷺ أنه لما نزلت هذه الآية دخل عليه علي، وفاطمة، والحسن، والحسين (رضوان الله عليهم) فعمد النبي (عليه السلام) إلى كساء فلفها عليهم، ثم ألوى بيده إلى السماء فقال: « هؤلاء أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً »[2].

فهذه دعوة منه لهم بعد نزول الآية، أحب أن يدخلهم في الآية التي خوطب بها الأزواج (رضوان الله عليهم أجمعين).

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٣٣ — ٣٤.

(٢) هذا جزء من حديث طويل رواه الترمذي في كتاب المناقب ٣٧٢٤ عن بكير بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما يمنعك أن تسب أبا تراب.. ؟ قال: أما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله ﷺ فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إليَّ من حمر النعم: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي وذكره، وعندما نزلت هذه الآية ﴿ **قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم** ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

الأصل الثالث والعشرون والمائتان

في أخلاق المسافرين

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا اجتمع القوم في سفر فليجمعوا نفقاتهم عند أحدهم فإنه أطيب لنفوسهم وأحسن لأخلاقهم »[1].

في النفوس ضيق وشح وللشيء عندهم قدر. وما أتى الشح والبخل وتعظيم الشيء إلا لضعف يقينهم وظلمة صدورهم. لأن اليقين نور في قلبك. فإذا تمكن صارت عين قلبك ذا بصيرة أبصر الغيب بذلك النور، فتريك ما في الملكوت فتصغر عندك الدنيا بما فيها، كما أن بصر عين الرأس يريك الأشياء في الدنيا. فإذا ضعف اليقين، يعجزك عن رؤية الآخرة، وعظيم ما في الملكوت، فتصغر عندك بما فيها، كما أن بصر عين الرأس يريك الأشياء في الدنيا. فإذا ضعف اليقين يعجزك عن رؤية الآخرة وعظيم ما في الملكوت. وبين اليقين تفاوت. فأوفرهم حظاً من اليقين أكثرهم معرفة، وأغزرهم علماً بما في الملكوت، وأخشاهم لله تعالى، وأعلمهم بتدبيره، وأغناهم بغناه. وهذا قليل في الناس.

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير والديلمي في مسند الفردوس

وقد عجزت العامة من هذا لما يرون الأشياء بالأسباب، وتعلقت بذلك قلوبهم، ومنها افتتنوا حتى عصوا الله في جنبه. فمحال أن لا يكون للشيء قدر عندهم، إلا أن الله تعالى عصم طائفة منهم لخوف العقاب عن تناول حرامها وأوساخها.

ثم هم مع ذلك لها يغضبون، ولها يرضون، وبها يفرحون، ومن أجلها يحزنون. وعظم قدر ما في أيديهم من الحطام حتى لا تسخوا نفس أحدهم أن يخرج من يده فلساً إلا على ذكر الخلف من الله تعالى في دنياه كما قال تعالى: ﴿ **وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه** ﴾[1]. أو على ذكر الثواب في الآخرة أن يعطيه قصوراً، وحوراً، وحبوراً، وسروراً. ولا تسخو نفوسهم على اتعاب جوارحهم وأعمالهم لله تعالى في شيء من أعمال البر إلا على نوال الثواب غداً، ولم ينتهوا عن محارم الله تعالى إلا على خوف العقاب ركضاً.

فهؤلاء عبيد عبدوا الله من أجل نفوسهم، لم تأخذهم هيبة عظمته وسلطان كبريائه، فيركض بهم في ميدان الطاعة ركضاً، وميدان الهرب عن مساخطه ركضاً إجلالاً لرؤية الله تعالى إياهم على الأحوال وتوخياً لمحابه، وتلذذاً لعبودته. فإذا اجتمعت هذه الطائفة التي للشيء عندهم قدر في السفر، وانفرد كل واحد منهم لطعامه كانت في ذلك وحشة، ونزعت البركة، وفيه ذهاب الألفة، وظهور الفرقة، والتصور بصورة أهل البخل والدناءة. وإذا أنفق أحدهم على الجماعة لم يقم بذلك وعجز عنه. فالسبيل في ذلك ما ندبهم (عليه السلام) إليه أن يجمعوا نفقاتهم إلى أحدهم حتى ينفقها عليهم، فيكون أطيب لنفوسهم، وأحسن لأخلاقهم. فكل واحد إنما خرج من يده مقدار كفايته، وهو طيب النفس بذلك، ولا يحتشم من الأكل. ولو أنفق واحد واحد يحتشم أحدهم من صاحبه ويستحيي ويثقل عليه حتى تجيء نوبته.

---

(١) سورة سبأ آية رقم ٣٩

وربما انقطع السفر وذهبت النوبة، ففيما دل (عليه السلام) تسكين النفوس من وجهي الحشمة والتثاقل. والنفوس ساكنة، والأيدي مجتمعة، والألفة باقية، والبركة نازلة، والبخل والشح زائل، وخلق الإسلام قائم. وسمي التناهد؛ لأن النفس تنهد، أي تسارع إليها.

وقد سبق ذكر النهد في التنزيل مما قص الله تعالى في شأن أهل الكهف من قوله: ﴿ **فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه...** ﴾[1].

وقد قال (عليه السلام): « إن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي »[2].

وقال (عليه السلام): « ألا أنبئكم بشراركم؟ » قالوا: بلى يا رسول الله. قال: « من أكل وحده، ومنع رفده، وجلد عبده »[3]. وقال أبو أمامة (رضي الله عنه) في قوله (عز وجل): ﴿ **إن الإنسان لربه لكنود** ﴾[4]: وهو الذي يأكل وحده.

فأرشد (عليه السلام) العامة إلى النهد. فأما الكرام ملوك الدين فهم أرفع شأناً من أن يتناهدوا لأن قدر الشيء عن قلبهم ساقط، ومن طبيعتهم السخاء والجود، وقل ما يجري فيما بينهم إذا انفردوا عن العامة وزن أو عدد. ومجرى أمورهم على صدق الأخوة، يأخذ أحدهم من مال أخيه عند الحاجة، فطابت بذلك نفوسهم لأنه لا يأخذ لرغبة فيه أو شهوة أو قضاء نهمة، بل يتناوله لله تعالى، وعرف أخوه ذلك

---

(١) سورة الكهف آية رقم ١٩

(٢) هذا جزء من حديث طويل رواه ابن عساكر عن معاذ وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالضعف

(٣) سورة العاديات آية رقم ٦

(٤) سورة العاديات آية رقم ٦

منه، وأمنه على نفسه وماله، وشهد له قلبه بالشفقة والعطف والرحمة، فلا يتهمه على نفقه ولا على إمساك.

قال الحسن (رضي الله عنه): ان كان الرجل ليدخل يده في كيس أخيه فما يسأله: كم أخذت؟.

وقال أبو جعفر (رضي الله عنه): يدخل أحدكم يده في كيس أخيه؟ قلنا: لا. قال: لستم باخوة.

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: ليس لي ثوب أتوارى به. قال: فما لك جيران. قال: بلى. قال: فهل منكم أحد له ثوبان؟ قال: نعم. قال: فيعلم أن لا ثوب لك؟ قال: نعم. قال: فيعود عليك بأحد ثوبيه؟ قال: لا. قال: ما ذاك بأخ[1].

ودخل عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) علي عمر (رضي الله عنه) وهو يصلي فعمد إلى مزوده، فأخذ منه سويقاً وتمراً فأكله. وفعل الحسن (رضي الله عنه) مثل ذلك.

ودخل أبو أيوب السختياني (رحمه الله) كرم صديق له، فأكل منه بغير إذن.

وإنما كف الناس عن ذلك بعد مضي السلف (رحمهم الله) لتغير القلوب. فلا يأمن بعضهم بعضاً، لفقد الرحمة والعطف، وذهاب الألفة، وظهور الحسد. فامتنعوا من أن يتناول أحدهم شيء صاحبه إلا بإذنه، ومن بعد الإذن تأنٍّ ونظر واحتياط وحذر، ولم يبق لأحد على غيره أمن وثقة، إلا أولئك الأربعون البدلاء، العارفون، الذين دقت الدنيا في أعينهم في جنب الآخرة، ودقت الآخرة في جنب ملك الله تعالى، وعظيم ما أبرز من غيبه. ودق ما أبرز من ملكه في جنب عظمته

(١) هذا الأثر من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر

وجلاله. فهم الذين لا قسمة بينهم ولا وزن ولا عدد. يتناول أحدهم ما شاء من مال أخيه من غير إذن. وكان (عليه السلام) يعمل في مال أبي بكر (رضي الله عنه) كما يعمل في مال نفسه، كما قد عرف منه. وهل كان يفعل في مال غيره مثل ذلك؟ فإن مخالطة المطبوع على السخاء أطيب، والتناول من ماله أشهى، والأكل من طعامه أطيب وأحلى؛ لأجل سقوط قدر ذلك عن قلبه.

ولهذا كان أبو بكر (رضي الله عنه) تصدق بماله كله. ولا يكاد أهل الانتباه واليقظة يدخلون بيوت البخلاء، ويتناولون من أطعمتهم إلا ويجدون ثقل ذلك على قلوبهم، ويفتقدون ذلك الطيب وتلك الحلاوة واللذة من طعامهم؛ لأنهم قد أحسوا بما في نفوسهم من قدر ذلك الشيء عندهم فيذهب طعمه وطيبه.

وروي أن رسول الله ﷺ لما أسري به نزل على القوم الذين ذكرهم الله تعالى في تنزيله: ﴿ **ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون** ﴾[1]. وعلمهم الشريعة، ومستقرهم بأرض الصين من وراء نهر الرمل. فسألهم عن معاشهم فقالوا: نزرع ونحصد ونجمعه في برية من الأرض، فيخرج كل من احتاج إلى شيء فيأخذ منه، وسائره متروك هناك.

فهذا صدق الأخوة في أهل الهداية بالحق والعدالة. فصار العدل مقومهم، والحق (عز وجل) هاديهم. وقد كانت أوائل هذه الأمة على هذا السبيل. وقد أثنى الله تعالى في تنزيله الكريم عليهم فقال (عز من قائل): ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾[2]. ﴿ **ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا...** ﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٥٩

(٢)و (٣)سورة الحشر آية رقم ٩

وذلك لأن رسول الله ﷺ لما افتتح خيبر قسم الغنائم بين المهاجرين دون الأنصار، فلم يجدوا في صدورهم ضيقاً ولا حسداً ولا شكاً ولا وجداً على رسول الله ﷺ في فعله حين ضربوا بالسيوف حتى غنموا. ثم أعطى الغنيمة للمهاجرين دونهم، فأثنى الله تعالى عليهم، وشهد لهم بالصدق وسقوط قدر الشيء عن قلوبهم. وقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ **ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم...** ﴾ إلى قوله: ﴿ ... **أو صديقكم...** ﴾[1] إذن بالغ.

لكن الصديق له حقيقة. فما لم يعرف حقيقة صداقته لم يغرر المتقي المتورع بنفسه في ذلك. وأول حقيقة الصداقة في سقوط قدر الشيء من قلبه. فإذا لم يُعرف بهذا، وإن صادقه بكل قلبه، فهو مجتهد في صداقته، ولا يخلو من كراهية وثقل أن تناولت من ملكه شيئاً. وقد أذن الله تعالى في الأموال عن طيب النفس. قال (عز من قائل): ﴿ **فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً** ﴾[2]. ولم يقل: « قلباً » لأن القلب ربما طاب ورضي بما فيه من الإيمان، والنفس تكره بما فيها من الشهوة.

وقال (عليه السلام): « لا يحل لامرئ من عطاء أخيه إلا بطيب نفسه »[3]. فالإقدام في هذا اليوم على مثل هذا جرأة عظيمة. إذ لا تعلم هذه الخصلة إلا لأولئك الذين خلت قلوبهم من نفوسهم وتعلقت بالخالق الكريم، فلا يبالون ما أقبل وما أدبر، ومن أخذ ومن أعطى، يتناولون من الدنيا لله تعالى، ويمسكونها لله على نوائب الحق، ويعطونها لله تعالى. فإن تناولت من أموالهم، لم يرجع عليك وبال منهم، إذ أخذتها لله تعالى. فإن تناولته بغير حق، يثقل فعله عليهم.

---

(١) سورة النور آية رقم ٦١

(٢) سورة النساء آية رقم ٤

(٣) لم نعثر على هذا الحديث على كثرة البحث والتقصي

ألا ترى أن رسول الله ﷺ كان أسخى البشر، والدنيا ساقطة عن قلبه، فقال: « إنما أنا خازن الله تعالى، يعطي وأنا أقسم. فمن أخذ مني شيئاً بطيب النفس، بورك له فيه. ومن أخذ مني شيئاً وأنا له كاره، فإنما يتأبطها ناراً »[1].

وحاشا أن يظن برسول الله ﷺ أنه كره من أجل قدر ذلك الشيء. فإن ذلك بخل. ولكن إنما كان تطيب نفسه بالإعطاء لمن سأل بحق، وأخذ بحق. فأما من أحس به أنه يأخذه اشراً وبطراً وحرصاً وجمعاً، فكان يعطيه على كراهة نفس، ويخبرهم أنه لا يبارك لهم فيه.

وروي في الحديث أنه قيل: يا رسول الله، فلم تعطيه؟ قال: يأبى الله لي البخل.

وكان (عليه السلام) لا يزن ولا يحصي. وقال لعائشة (رضي الله عنها): « لا توكي فيوكى عليك، ولا تحصي فيحصى عليك »[2].

وكان لا يدخر شيئاً لغد ليرى الخلق عنده قلة قدره. وقال جابر (رضي الله عنه): ما سئل شيئاً قط فقال: لا.

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير عن معاوية — رضي الله عنه — وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وأشار اليه بالصحة

(٢) الحديث رواه أبو داود في سننه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بلفظ (أعطي ولا توكي فيوكا عليك) ورواه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالصحة

الأصل الرابع والعشرون والمائتان

في قوة الإيمان ويسر العمل
وهو التأييد والصبر والاستعفاف والاستغناء

عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « من تصبر يصبره الله، ومن يستعف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، وما أعطي عبد عطاء هو خير وأوسع من الصبر »[1].

قال أبو عبدالله: أعطاهم الله تعالى العقول، ومَنَّ عليهم بالإيمان، والصبر، والعفة، والغنى إنما يخرج كله من الإيمان. فإذا أعطي الإيمان، فقد أعطي هذا كله. فبقوة الإيمان يصبر على طاعة الله، ويستعف عن محارمه، وتناول شبهات الدنيا، ويقوم في العبودة على سبيل الاستقامة، ثم لا يتم له ذلك إلا بعون من الله تعالى؛ لأن النفس تقوم بهدم ذلك، وتدعو إلى خلافه، ووقع العبد في المجاهدة معها. فلولا عون الله تعالى العبد لمالت النفس. ولكن سبيل العبد أن لا يتخير.

---

(١) الحديث أخرجه الامام البخاري في كتاب الزكاة ٥٠ والامام مسلم في كتاب الزكاة ١٣٤ وأبو داود في الزكاة ٢٨ والنسائي في الزكاة ٨٥ وصاحب الموطا في الصدقة ٧ والدارمي في الزكاة ١٨

فإذا جاء موضع الصبر، تصبر وعزم عليه، فوشيكاً يجيئه العون من الله تعالى، فوجد اليسر في أمره، فذاك عون الله تعالى. فإنه قبل ذلك يدخل في الأمور مع الجهد، لأن النفس تأبى ذلك، فدخلت فيه بإكراه صاحبها لها على ذلك، فجاءه العون من الله تعالى فيسر عليها. وعلى ذلك دل عباده: ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾[1].

أمره بالعبادة وسؤال العون؛ لأنه أعطي القوة على القيام بما أمره. إلا أن النفس تدعو إلى خلاف ذلك. فجاءت شهواتها تريد أن تغلب القلب على ما أمر، فاحتاج عند مجاهدة النفس إلى عون من الله تعالى، وهو نور على القلب يستنير الإيمان، ويمتزج به فيقوى القلب، وتذل النفس، وتخمد شهواتها فتذل النفس.

فينبغي للعبد أن يقوم على كل أمر أُمر به، وأن ينتهي عن كل نهي نُهي عنه بما أعطي من العلم والعقل والإيمان، وذلك مع جهد شديد، ينتظر العون من الله تعالى، ولا يلقي بيده للتهلكة، فإذا العون من الله تعالى يجيء، وييسر عليه كل ذلك. فإن الله تعالى لم يأمرنا بأن نقول: ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾[2] ثم يحبس عنا العون. وقال الله تعالى : ﴿ **فإن مع العسر يسراً ۝ إن مع العسر يسراً** ﴾[3]

وقال (عليه السلام): « لن يغلب عسر يسرين »[4].

فاليسر الأول هو ما أعطي العبد من الآلة والمعرفة والعلم والقوة. فلولا النفس التي يحارب صاحبها بدفع ما تريد لكان الأمر قد تم.

---

(١) سورة الفاتحة آية رقم ٥

(٢) سورة الفاتحة آية رقم ٥

(٣) سورة الشرح الآيتان ٥ و ٦.

(٤) الحديث رواه الحاكم في المستدرك عن الحسن مرسلًا وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالصحة

فإنه قد أعطي يسر به يقوم الأمر الذي أمر، ولكن جاءت النفس بشهوتها، فاحتاج العبد إلى يسر آخر، فوعده الله تعالى فقال: عسر عليك الأمر فأعطيتك مع العسر يسراً. وهو العقل الذي هو حجة الله تعالى على عباده. إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها. ويسراً بعد الأمر حين تأخذه فيه. وهو العون. فإذا جاء العون، انهزمت النفس، وخمدت الشهوة، وهرب العدو، وبطل كيده. فهما يسران، لم يغلبهما هذا العسر الذي بينهما من مجاهدة النفس حتى يأتيك بحربه وجهاده ليصدك ويقهرك بشهواته. وهو قوله (عليه السلام): « لن يغلب عسر يسرين »[1]. فبشرهم أن العبد إذا استعمل ما أعطي من اليسر في وقت هذا العسر الذي عارضته النفس به، جاء اليسر الثاني. فلن يغلب هذا العسر هذين اليسرين. واليسر الثاني هو عونه، وهو عطف الله على العباد ورحمته. وإذا عطف على عبده، لم يبق للنفس عليه سبيل، ولا للعدو مطمع.

وقوله: من تصبر يصبره الله تعالى[2]. أي من استعمل ما أعطي من الصبر الذي يخرج له من الإيمان، صبره الله، أي جاءه المدد والعون حتى يتم له صبره في يسر. وهكذا قال الله تعالى: ﴿ **واصبر وما صبرك إلا بالله** ﴾[3] أي لا يتم ذلك إلا بعون الله تعالى وغياث منه.

وهكذا قوله: « من يستعف يعفه الله ». فأما قوله: « فمن يستغن يغنه الله » أي من التجأ إليه في الحوائج صدقاً، فهو أكرم من أن يردك ويلجئك إلى عبيده.

روى ثابت (رضي الله عنه) قال: حبس ابن أخ لصفوان بن محرز فلم يبق بالبصرة رجل له وجه عند الأمير إلا تحمل به عليه، فلم يزده إلا شدة، فبات ليلة فقيل له في منامه: يا صفوان اطلب الأمر

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا

(٢) سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا

(٣) سورة النحل آية رقم ١٢٧.

من وجهه، فقام وتوضأ وصلى ركعتين، وسأل ربه، ثم عاد إلى مضجعه، فنودي بالباب: يا صفوان هذا ابن أخيك قد جئنا به، فصار إلى الباب، فإذا ابن أخيه. فقال: نبه الأمير في جوف الليل، فبعث إلى السجن، فنودي: أين ابن أخي صفوان؟ فطلب حتى جيء به، فإذا هو ذا.

وخرج ابن عمر (رضي الله عنهما) في سفر له، فإذا بجماعة على طريق فقال: ما هذه الجماعة. فقالوا: أسد قطع الطريق، فنزل فمشى إليه حتى قفده بيده ونحاه عن الطريق. فقال: ما كذب عليك رسول الله ﷺ قال: « إنما يسلط على ابن آدم من خافه ابن آدم. ولو أن ابن آدم لم يخف غير الله، لم يسلط الله عليه غيره. وإنما وكل ابن آدم لمن رجا ابن آدم. فلو أن ابن آدم لم يرج إلا الله، لم يكله الله إلى غيره »[1].

وقوله: « وما أعطي عبد عطاء هو أوسع من الصبر »[2] لأن الصدر قد اتسع وانشرح للنور الوارد على قلبه. وإذا اتسع الصدر، يسرت عليه الأمور كلها. وإذا استقر النور في القلب، انفسح الصدر وانشرح، وألقى بيديه سلماً لمولاه في أمره ونهيه، وجميع أحكامه عليه، وتدبيره له، ولم يبق للقلب منازع لأن النفس تذل وتموت شهوتها، وتلقى بيديها حين يشرق الصدر، فيحل بها من ذلك الإشراق خوف الله

---

(١) الحديث أخرجه السيوطي في الجامع الصغير: وقال رواه الحكيم الترمذي عن ابن عمر — رضي الله عنهما وأشار الى الحديث بالصحة.

(٢) الحديث أخرجه الامام مسلم في كتاب الزكاة ٤٢ باب التعفف والصبر ١٢٤ (١٠٥٣) عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليث عن أبي سعيد الخدري أن ناساً من الأنصار — سألوا رسول الله — ﷺ — فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى إذا نفذ ما عنده قال: وذكره. ورواه البخاري في الزكاة ٦٠ وأبو داود في الزكاة ٢٨ والنسائي في الزكاة ٨٥ وصاحب الموطأ في الصدقة ٧ والدارمي في الزكاة ١٨

تعالى وخوف عقابه، فتحل به الرهبة. ثم يزداد النور فتدخله العظمة، فتحل بها الهيبة والخوف الخالص منه فتيبس، وتذهب شهوتها، وتخشع لله تعالى، فتصير تابعة للقلب. فحين بدأ أول النور وجد العبد متسعاً في صدره فقيل: صابر. ثم زيد، فهو صابر قانع. ثم زيد، فهو صابر راض مراقب واله. ثم زيد، فهو منفرد لربه، ولها عن الصبر والرضى والمراقبة والوله، وهذا كله له، والانفراد غالب عليه، فهو في قبضته يستعمله، وهو قوله (عليه السلام):

« كنت سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه وفؤاده. فبي ينطق، وبي يعقل، وبي يمشي، وبي يبصر، وبي يبطش »[1].

وهو قول عمر (رضي الله عنه)، حين شج عليٌّ رجلاً، فقال لعمر (رضي الله عنه): مررت به، وأصغيت إليه سمعي، فإذا هو يكلم امرأة بكلام، فلم أملك حتى ضربته. فقال عمر (رضي الله عنه): أيها الرجل أصابتك عين من عيون الله، وإن لله في الأرض عيوناً.

والصبر ثبات النفس على حكم الله تعالى، وتدبيره، وأمره ونهيه، ورمي شهوته ومنيته. وإنما يصر ذلك بالنور الوارد على القلب، فيطيب ويستقر ويوقن. وأي شيء أوسع منه! وبذلك يثقل ميزانه، ويملأ ميزانه وسعة كفته سعة السموات والأرض.

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث وراجع صحيح البخاري ٣٨ الرقاق واحمد بن حنبل في المسند ٦: ٣٥٦

الأصل الخامس والعشرون والمائتان

في النهي عن إسكان النساء الغرف وتعليمهن الكتابة

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة »[1].

حذرهم ذلك لأن في إسكانهن الغرف تطلعاً إلى الرجال، وليس في ذلك تحصين لهن ولا ستر. فإنهن لا يملكن أنفسهن حتى يشرفن على الرجال، فيحدث البلاء والفتنة. فحذرهم أن يجعلوا لها ذريعة إلى الفتنة.

وهو كما قال (عليه السلام): « ليس للنساء شيء خير لهن من أن لا يراهن الرجال ولا يرين الرجال » . لأنها خلقت من الرجال، فهمتها فيه، وخلق في الرجل الشهوة، فجعلت سكناً له. فغير مأمون كل واحد منهما في صاحبه. وكذلك تعليم الكتابة، ربما كانت سبباً

(١) الحديث رواه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير النهي عن تعليم الكتابة للنساء ثنا عبد الوهاب بن الضحاك ثنا شعيب بن اسحاق عن هشام بن عروة عن ابنه من عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ـــ ﷺ وذكره. وقال: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه قال الذهبي: موضوع وآفته عبد الوهاب قال أبو حاتم: كذاب

للفتنة، وكتبت إلى من تهوى. وفي الكتابة عين من العيون به يبصر الشاهد الغائب. وفي ذلك تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان. فهو أبلغ من اللسان. فأحب (عليه السلام) أن يقطع عنهن أسباب الفتنة تحصيناً لهن وطهارة لقلوبهن.

الأصل السادس والعشرون والمائتان

في أن رأس الحكمة لِمَ صار مخافة الله؟

عن عبدالله (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « رأس الحكمة مخافة الله تعالى »[1].

فمخافة الله تعالى هي التي ألهت عن الأسباب، حتى صارت رأس الحكم. وهي تعلق القلب بمشيئة الله تعالى. ولما صار إلى المشيئة

---

(١) رواه البيهقي في الدلائل، والعسكري في الأمثال، والديلمي عن عقبة بن عامر، قال: خرجنا في غزوة تبوك، فذكر حديثاً طويلاً فيه قول النبي ﷺ أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله، والخمر جماع الاثم، ورواه العسكري أيضاً فقط من حديث عمرو بن ثابت عن أبيه أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: إن أشرف الحديث كتاب الله فذكر حديثاً وفيه: رأس الحكمة مخافة الله، والخمر جوامع الاثم وأخرج ابن لال عن أبي مسعود مرفوعاً الجملة الأخيرة فقط، ورواه القضاعي في مسنده عن زيد بن خالد الجهني، تلقفت هذه الخطبة من في رسول الله ﷺ فذكره، وفي الخمر جماع الاثم ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل، ورواه البيهقي في شعبه عن ابن عباس موقوفاً وضعفه بلفظ : كان يقول من خطبته : خير الزاد التقوى، ورأس الحكمة مخافة الله عز وجل، وللطبراني والقضاعي عن أنس رفعه خشية الله رأس كل حكمة، والورع سيد العمل وعند أحمد في الزهد عن خالد بن ثابت الزمعي قال: وجدت فاتحة زابور داود: أن رأس الحكمة خشية الله.

أبهـم عليه الأمور، فانه يعلم أنه شاء فخلقه، ولا يعلم أنه لماذا خلقه، فظهر له بعض المشيئة، وخفي عليه آخر شأنه من مشيئته، وأقلقه، وألهاه، وأذهله عن النفس وعن دنياه. فلما زايلته نفسه ودنياه، انشرح صدره واتسع في الحكمة. والله أحكم.

الأصل السابع والعشرون والمائتان

في حقيقة الفراسة ودواعيها

عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله تعالى »[1].

الفراسة مشتقة من الفروسية. فركضه بالجوارح على الفرس فروسية، وركضه ببصر قلبه بنور الله تعالى هي فراسة. فبالفرس يقطع مسافة

(١) قال في الدرر رواه الطبراني، والترمذي من حديث أبي سعيد وقال في التمييز تبعاً للأصل رواه الترمذي، وقال: غريب، وقال الحافظ ابن حجر في تخريج أحاديث الديلمي بعد أن عزاه للترمذي عن أبي سعيد قال: وزاد بعضهم: وينطق بتوفيق الله، قلت: لم أقف على الزيادة انتهى.

وقال في الأصل: ورواه الطبراني، وأبو نعيم والعسكري عن ثوبان رفعه بلفظ: احذروا دعوة المسلم وفراسته فإنه ينظر بنور الله وينظر بتوفيق الله، ورواه العسكري عن أبي الدرداء موقوفاً بلفظ اتقوا فراسة العلماء فإنهم ينظرون بنور الله، إنه شيء يقذفه الله في قلوبهم وعلى ألسنتهم، ورواه الديلمي عن أبي الدرداء بلفظ « اتقوا فراسة العلماء فوالله إنه لحق يقذفه الله في قلوبهم ويجعله على أبصارهم، وطرقه كلها ضعيفة. وحكم عليه الصنعاني بالوضع وقال النجم: ورواه البخاري في التاريخ والترمذي والعسكري والخطيب وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي سعيد، وزاد ثم قرأ ﴿ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** ﴾ إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم » انتهى.

الدنيا، وبنور الله تعالى يقطع مسافة القلب. وذلك ان على الأشياء دلائل وسمات. وقد وسم الله تعالى خلقه بذلك. فبنوره تدرك تلك السمات، حتى يدرك ما لم يأت بعد. وكان عمر (رضي الله عنه) تفرس. روى عبدالله بن سلمة (رضي الله عنه) قال: دخلنا على عمر معاشر وفد مذحج، وكنت من أقربهم منه مجلساً. فجعل ينظر عمر إلى الأشتر[1] ويصوب بصره. فقال لي: أمنكم هذا؟ قلت: نعم. فلأي باله تسأله؟ قال: ما له قاتله الله. كفى الله أمة محمد (عليه السلام) شره. والله اني لأحسب أن للمسلمين منه يوماً عصيباً.

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال: ما حذر عمر شيئاً قط فتكلم به إلا كان.

وقال النبي (عليه السلام): « إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم »[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿ **إن في ذلك لآيات للمتوسمين** ﴾[3]: قال: للمتفرسين.

فالتوسم مأخوذ من السمة. وهو أن يعرف سمات الله تعالى وعلائمه

---

(١) هو الأشتر بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بالأشتر أمير من كبار الشجعان كان رئيس قومه، أدرك الجاهلية وأول ما عرف عنه أنه حضر خطبة عمر في الجابية وسكن الكوفة وكان له نسل فيها وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها وكان ممن ألب على عثمان وشهد يوم الجمل وأيام صفين مع علي توفي عام ٣٧ هـ.
راجع الاصابة ت ٨٣٤٣ وتهذيب ١٠: ١١ والولاة والقضاة ٢٣ــ٢٦

(٢) الحديث رواه البزار عن أنس ــ رضي الله عنه ــ وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وقال: رواه الحكيم والبزار عن أنس وأشار الى الحديث بالصحة

(٣) سورة الحجر آية رقم ٧٥

في الأمور. والتفرس أن يركض قلبه فارساً بنور الله تعالى إلى أمر لم يكن بعد فيدركه مثل ما أدركه عمر (رضي الله عنه)، وما أدركه الحسن البصري (رضي الله عنه). فانه روي أنه قال لعمرو بن عبيد: هذا سيد فتيان أهل البصرة ان لم يحدث. وقال لأيوب: هذا سيد فتيان أهل البصرة. ولم يستثن.

وقال الشعبي (رحمه الله) لداود الأودي وهو يماريه: إنك لا تموت حتى تكوى في رأسك. فكان كما قال.

وإذا امتلأ القلب من نور الله تعالى، نظرت عينا قلبه بنوره فأبصر في صدره ما لا يحاط به وصفا. فالفراسة من الله تعالى لعبده كائنة.

الأصل الثامن والعشرون والمائتان

في تفسير الاستئناس

عن أبي أيوب (رضي الله عنه) قال: قلنا: يا رسول الله: هذا السلام، فما الاستئناس؟ قال: يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة، وأن ينحنح فيؤذن أهل البيت[1].

الاستئناس تنبيه. والاستئذان عهد. فندب إلى أن يبتدئ بالتنبيه، ثم بالعهد؛ ليكون أوكد للعهد، وأقوى للحجة. وأنه إذا فوجئ بالسلام والإنسان في غفلة، والعقل عازب عنه، كانت الحجة عليه أضعف. يقول: فوجئت بالسلام، وعوجلت به فلم أقبله بالتثبيت. ألا ترى أن الله تعالى خاطب الخلق فقدم على الدعوة تنبيهاً فقال: «يا» وهو كلمة تنبيه حروف ذات أصداء؛ لينبهك عما أنت به مشتغل؛ ليرجع إليك عقلك بصوته. كأنه يعني بهذا أن يقول: يا دعوة دعوة ثانية. ثم قال: «أي» وهي كلمة الفتش، مضمرة فيها «من»، كأنه قال: أيهم أريد بدعوتي. ثم قال: «ها» هو تنبيه آخر يشير إلى شيء معلوم عينه، معناه

---

(١) قصره السيوطي في الجامع الكبير على الحكيم الترمذي بسنده عن أبي أيوب الأنصاري ــ رضي الله عنه.

من أذكر اسمه أريد بدعوتي. ثم قال: «الناس». أو «الذين آمنوا». فهذه التنبيهات من إلقاء العذر وإتمام الحجة. قال الله تعالى: ﴿ **وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون** ﴾[1].

وقال (عليه السلام): لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى. ولذلك بعث الرسل (عليهم السلام)[2].

فقال تعالى: ﴿ **لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها** ﴾[3].

فالاستئناس التنبيه، ثم يكون بعده التسليم. وعندهم كان التسليم هو الاستئذان. فإذا ردوا، جاء الإذن بعد ذلك. وإن قيل: ارجعوا رجعوا. وأدنى الاستئذان النحنحة، لأن الحس حس المجيء. وقد يختلف. فإذا سمع لم يدر السامع أسبع أم بهيمة أم داهية من الدواهي؟ فإذا تنحنح، عرف أنه من جنسه فأنس به، لأن الآدمي يأنس بجنسه، ويستوحش من غير جنسه. وأعلا الاستئذان التسبيحة؛ ليعلم السامع أنه أخوه المسلم. وذلك أفضل لأن بالتنحنح لا يعرف السامع أمسلم هو أم كافر؟ ولي هو أم عدو؟ فتدخله روعة لمجيئه. فإذا ذكر الله كان أوفر للاستئناس.

وما رواه شعبة عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنهم) أن هذا خطأ من الكاتب، انما هو: «تستأذنوا وتسلموا

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١١٥.

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب التوحيد ٢٠ باب قول النبي ﷺ: لا شخص أغير من الله ٧٤١٦ ـــ حدثنا أبو عوانة حدثنا عبد الملك عن وراد كاتب المغيرة عن المغيرة قال: سعد بن عبادة لو رأيت رجلاً مع إمرأتي لقربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: تعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن: وذكره، ورواه الإمام مسلم في التوبة ٣٥ واللعان ١٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٢٤٨ (حلبي).

(٣) سورة النور آية رقم ٢٧

على أهلها». فهذا كلام جاهل أو ملحد يكيد الدين. أو ليس فيما روى أبو أيوب (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ في تفسير الاستئناس ما يبطل هذا. وكان كتاب الله تعالى بين ظهراني أصحاب رسول الله ﷺ في مضيعة حتى كتب الكاتب فيها ما شاءوا أو زادوا أو نقصوا. وكان الصحابة أهملوا أمر دينهم حتى فوضوا عهد ربهم إلى كاتب يخطئ فيه، ثم يقرؤه أبو بكر وعمر وأُبي (رضي الله عنهم) حيث جمعوه في خلافة أبي بكر (رضي الله عنه)، ثم من بعده مرة أخرى في زمن عثمان (رضي الله عنه) وهم على الخطأ. وشعبة وأبو بشر رواة لا يعرفون ما غور هذا؟ وإنما ينكر هذه الأشياء ويدفعها الرعاة الذين عقلوا عن الله تعالى، وعن تدبيره فهموا، وهم المقربون أهل اليقين الذين وصفهم رسول الله ﷺ في قوله: «كنت سمعه وبصره». فهو الذي ينفي هذه الأشياء ويدفعه. فإذا نفاه ودفعه فبه ينفي وبه يدفع؛ لأنه به يعقل، وبه ينطق، وهو حجة الله تعالى على خلقه، وراعي غنمه، وطبيب عباده. فمن عارضه هلك، وهو لا يشعر.

ولهذا حذر (عليه السلام) فقال عن ربه (عز وجل): «من آذى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة. وإني لأسرع شيء في نصرة أوليائي. أفيظن أن يفوتني. كيف وأنا الثائر لهم؟»[1].

(١) سبق الحديث عن هذا الأثر فيما سبق.

الأصل التاسع والعشرون والمائتان

في أن أهل الغرف في الجنة ومراتب الدرجات

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغائر في الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء، فلا يبلغها إلا هم. قال: بلى. والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين[1].

فأهل الغرف أهل العليين الذين قد ارتفعت درجاتهم إلى قرب العرش. والإغتراف الإرتفاع. وسميت الغرفة لارتفاعها. والجنة ثلاثة أثلاث: أعلاها للسابقين. وأوسطها للمقتصدين. وأدانيها وما فيها دني للمخلطين. وعدن مقصورة الرحمن. وجنات عدن محل الأنبياء (عليهم السلام). والفردوس محل الأولياء. وهي الغرف. وهي سرة الجنة بحيال باب

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ١٠ (٢٨٣٠) عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. وأيضاً ١١ (٢٨٣١) بسنده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: وذكره ورواه الإمام البخاري في كتاب بدء الخلق ٨ والرقاق ٥١ والإمام الترمذي في الجنة ١٩ والدارمي في الرقاق ١٠٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣٣٥، ٣٣٩، ٥ : ٣٤٠ (حلبي).

العرش. فتوهموا أن تلك منازل الأنبياء (عليهم السلام) لا يبلغها غيرهم. فأعلمهم أن ذلك ليست بمنازل الأنبياء (عليهم السلام). وإنما هو منازل الأولياء. والأنبياء فوقهم، لأن درجة النبوة أعلى. الأنبياء (عليهم السلام) فوق الغرف في جنات عدن. وعدن كالمدينة. وجنات عدن كالقرى حولها. والفردوس حول جنات عدن، مضموم إليها، منسوب منها، كعوالي القرى. وما دونها من الجنان كالخيام والمراعي حول عوالي القرى. فأعلم (عليه السلام) أن الغرف منازل رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين. أراد به إيمان الصديقين، لا إيمان المخلطين من الموحدين. لأن أهل الغرف أهل الدرجات العلى.

قال تعالى: ﴿ **ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى** ﴾(١). ثم قال: ﴿ **وذلك جزاء من تزكى** ﴾(٢). أي تطهر من مساخط الله قلباً وقولاً وفعلاً.

وهذا شأن الصديقين لأن إيمانهم إيمان طمأنينة به وبجميع أحكامه. وتصديقهم المرسلين تصديق لله تعالى وسكون.

وقال (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿ **أولئك يجزون الغرفة بما صبروا** ﴾(٣). قال: الغرفة من ياقوتة حمراء، أو زبرجد خضراء، أو درة بيضاء، ليس فيها فصم ولا وصم. وان أهل الجنة ليتراءون الغرفة فيها كما يتراءون الكوكب الدري الشرقي أو الغربي في أفق السماء. وان أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) منهم وانعما.

وقال (عليه السلام): فيما رواه ابن مسعود (رضي الله عنه): إن المتحابين في الله لعلى عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود

---

(١) سورة طه آية رقم ٧٥.

(٢) سورة طه آية رقم ٧٦.

(٣) سورة الفرقان آية رقم ٧٥.

سبعون ألف غرفة، يضيء حسنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل الدنيا. يقول أهل الجنة بعضهم لبعض: انطلقوا بنا حتى ننظر إلى المتحابين في الله. فإذا أشرفوا عليهم، أضاء حسنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل الدنيا. عليهم ثياب خضر من سندس، مكتوب على جباههم: هؤلاء المتحابون في الله .

فهؤلاء أهل الغرف، وهم أهل محبة الله في الله تعالى. وإنما تحابوا في الله لمحبة الله تعالى. وهو قوله تعالى: « حقت محبتي للمتحابين بجلالي ».

وقد وصف الله تعالى أهل الغرفة فقال: ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً...** ﴾ إلى قوله: ﴿ ... **واجعلنا للمتقين إماماً** ﴾[1].

وصف مشيهم، وخطابهم، وانتصابهم له، ودعاءهم، ونفقاتهم، ونزاهتهم، وانتباههم، وصدقهم، ومحبتهم، ونصحهم ثم قال: ﴿ **أولئك يجزون الغرفة بما صبروا...** ﴾[2].

والصبر بذل النفس، والثبات له وقوفاً بين يديه بالقلوب عبادة. وقال تعالى: ﴿ **وما أموالكم ولا أولادكم...** ﴾ إلى قوله: ﴿ ... **وهم في الغرفات آمنون** ﴾[3].

ذكر أن القربة لا تنال بالأموال والأولاد، وإنما تنال بالعمل الصالح. يعلمك أن هذا إيمان طمأنينة، وتعلق قلب به في كل ما نابه، وبجميع أموره وأحكامه، والعمل الصالح الذي لا يخلطه بضده.

---

(١) سورة الفرقان الآيتان رقم ٦٣ — ٧٤.

(٢) سورة الفرقان آية رقم ٧٥.

(٣) سورة سبأ آية رقم ٣٧.

فأما المخلط فغير مطمئن بأموره وأحكامه. بل هو تابع لهوى نفسه، يعمل على شهوته وقضاء منيته.

وهذان وإن كان إيمانهما برب واحد، إلا ان ذلك قد جثمت على قلبه شهوات نفسه فأظلمت صدره، وانكمن نوره، فلا يعمل شيئاً من الإشراق والإنارة. وهذا البالغ من الله تعالى بنوره وهتك هذه الحجب من الظلمات، وأمات منه الشهوات، وولج قلبه من عظمة الله تعالى وجلاله، فأذهل نفسه، واستقام القلب لله تعالى.

فعنى رسول الله ﷺ بأهل الغرف هؤلاء. إذ لو جاز أن تنال الغرف بالإيمان والتصديق الذي للعامة، لكان جميع الموحدين في أعالي الدرجات.

الأصل الثلاثون والمائتان

في مراتب أهل الجنة

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: من ترك الكذب وهو باطل، بني له في ربض الجنة. ومن ترك المراء وهو محق، بني له في وسطها. ومن حسن خلقه، بني له في أعلاها[1].

ترك الكذب هو ترك الشرك. ولا كذب بأعظم من الشرك. فمحل تاركه في ربض الجنة، وهو أدانيها. فهذا الصنف هو الظالم.

وترك المراء إذا اقتضاه الحق أمر الله من آداء فرائضه، واجتناب محارمه أن يخضع للحق ولا يماريه، فيذهب برقبته من حق الله تعالى في أمره ونهيه. فهذا مقتصد، فمحله في وسط الجنة.

وأما حسن الخلق، فان الله تعالى دبر لعبده قبل أن يخلقه شأنه من الرزق والأحوال والآثار. كل ذلك موقت مقدر، يبرز له في وقته،

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ٥٨ ما جاء في المراء ١٩٩٣ حدثني سلمة بن وردان الليثي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: وذكره، ورواه أبو داود في الأدب ٧ وابن ماجة في المقدمة باب ٧ اجتناب البدع والجدل ٥١ عن سلمة بن وردان عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

كما قدره ودبره مرة سقم ومرة صحة، ومرة غنى ومرة فقر، ومرة عز ومرة ذل، ومرة محبوب ومرة مكروه. فأحوال الدنيا تتداوله، لا ينفك من تدبيره وقضائه. والعبد يريد ما وافقه واشتهاه، وتدبير الله تعالى فيه غير ذلك. فإذا راض نفسه وقمعها وخشعت لله تعالى بما أريده من نور اليقين، حسن خلقه، واستقام قلبه، وترك جميع مشيئآته لمشيئته، ينتظر ما يبرز له من تدبيره في جميع أحواله، فيتلقاه بهشاشة قلب وطيب نفس. فهذا حسن الخلق. فمحله في أعالي الدرجات. وسوء الخلق حجاب بين العبد وبين ربه، لأنه من نفس شهوانية. والنفس ما لم تمت شهوتها لا تنقاد للحق، ولا يتخلص القلب من مخاليبها، ولا يبرأ الإيمان من سقمه.

قال (عليه السلام) في حديث الرؤيا: «رأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله تعالى حجاب. فجاءه حسن خلقه فأدخله على الله تعالى».

وقال (عليه السلام): «أوحى الله إلى إبراهيم (عليه السلام): يا إبراهيم حَسِّنْ خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار. فان كلمتي سبقت لمن حَسَّنَ خلقه أن أظله في عرشي، وأن أسكنه في حظيرة قدسي، وأن أدنيه من جواري».

وحسن الخلق على ثلاث منازل:

أولها: أن يحسن خلقه مع أمره ونهيه.

الثانية: أن يحسن خلقه مع جميع خلقه.

الثالثة: أن يحسن خلقه مع تدبير ربه. فلا يشاء إلا ما يشاء له ربه.

ومن أسوء خلقاً ممن دبر الله المطر من بركات السماء سقيا لعباده وبلاده، يجعل فيه أرزاقهم، ومعاشاً لهم، ويحيي بذلك أمة من الأمم، والعبد يكرهه ويأباه، لأجل انه يبتل ثيابه أو يتأخر عن سفر يريده،

فثقل عليه تدبير الله تعالى لهذه الأمة؛ لشهوته لذلك العمل الذي هو فيه. ومن كان ميت الشهوة فأعماله كلها عبودة لله تعالى. ومن كان يثقل عليه تدبيره وحسن خلقه في جميع أموره واحكامه. وان محاسن الأخلاق جاءت من الله تعالى. وقد خزنه الله تعالى عن خلقه. فلا يعطيه إلا من أحبه وسعد جده. فمن منحه خلقاً من تلك الأخلاق وتخلق بها، يرى بهجة ذلك في شمائله، وفي منطقه ومعاشرته، حتى في سيماء وجهه. والله أعلم.

الأصل الحادي والثلاثون والمائتان

في ظن العبد بربه
إن كان حسناً حقق له ذلك. وإن كان سيئاً وكله إليه

عن واثلة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: « أنا عند ظن عبدي بي. فليظن بي ما يشاء »[1].

فالظن ما تردد في الصدر. وإنما يحدث من الوهم. وهو هاجسة النفس. وأيد الله تعالى المؤمن بنور التوحيد في القلب، ونور في الصدر، ويطوف حول القلب حجاباً لذلك النور الأعظم. فإذا هجست النفس بعارض أمر ونور الصدر بمكانه يضيء، استقرت النفس، فاطمأن القلب وحسن الظن. لأن النور الذي في قلبه يؤدي إليه أن الله تعالى كافيه وحسبه في كل أموره. وأنه كريم رؤوف رحيم عطوف. وإذا كانت

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب التوحيد ٧٤٠٥ عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال رسول الله ﷺ وذكره. وفيه زيادة وليس فيه (فليظن بي ما شاء) ورواه الإمام مسلم في كتاب التوبة بلفظ البخاري عن أبي هريرة. ورواه الترمذي في كتاب الزهد ٥١ ما جاء في حسن الظن بالله ٢٣٨٨ عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره وقال: هذا حديث حسن صحيح.

النفس ذات شهوة غالبة، فارت بدخان شهوتها فأظلمت الصدر، فصار الصدر مظلماً، وجاءت النفس بهواجسها فاضطربت، فذلك سوء ظنها بالله تعالى. والظن ظنان: ظن عطاء. فذاك الذي تستقر عليه النفس، ويطمئن القلب، ويوفي له بذلك ولا يخيبه.

قال ابن مسعود (رضي الله عنه): «والله الذي لا إله غيره ما أعطي عبد عطاء خيراً من حسن الظن بالله».

والظن الآخر: ظن خالطه تهمة، فلم يطمئن القلب. فإن خيب فغير مستنكر.

وقوله: «أنا عند ظن عبدي بي» أي أن القلب بيدي، لم أكلها إلى أحد. فإذا ظن عبدي بي حسناً، حققت له ذلك، ولم أخيبه. وإذا ظن بي سيئاً، وكلته إلى سيِّئ ما ظن، وتخليت عنه. لأني أعطيته من النور في القلب ما يؤدي إلى الصدر، وفي الصدر ما يضيء، فيتصور له ما يؤدي القلب إليه، وضاع ذلك الضوء لقوة ما أتت به النفس من دخان شهواتها، وتقوية الشهوات من العبد، فعوقب عليه، ونسب إليه بتركه تعاهد القلب حتى استولت النفس عليه فألهته عن ذكر الله.

وقوله: «فليظن بي ما شاء» أي يجدني قريباً وفياً بما أمل ورجا. وإنما يحسن ظنه من انفرد له بين يديه وأعرض عن نفسه ورفع عنه بالها، فانكشف له الغطاء عن رأفته ورحمته فاستقر قلبه. ومن كان صاحب شهوات واشتغال بنفسه. فلو انكشف له الغطاء عن رأفته ورحمته، لأفسد أمره وضيع حدوده، وركب شهواته واجترأ. فستر عنه حتى يكون في مخافة وحذر. ولهذا كانت الأنبياء (عليهم السلام) لما سكنت شهواتهم وماتت نفوسهم، وحييت بالله تعالى قلوبهم، بشروا بالنجاة، فلم تضرهم البشرى، بل زادهم ألهاً أي شكراً.

---

(١) أله يأله: أي كثرت عبادته.

الأصل الثاني والثلاثون والمائتان

في حكمة دعاء الرمد

عن أنس (رضي الله عنه) قال: كان رسول الله ﷺ إذا أصابه الرمد أو أحداً من أهله وأصحابه، دعا هؤلاء الدعوات: اللهم أمتعني ببصري، واجعله الوارث مني وأرني ثأري فيه، وانصرني على من ظلمني[1].

جعل الله للبصر في الجسد محلاً رفيعاً ومكاناً عالياً. وفي الخبر أن العبد يؤخذ يوم القيامة بنعمة البصر، فيوجد قد استفرغ جميع حسنات العبد، وبقي سائر النعم عليه مع التبعة.

ومن رفيع درجته على سائر الجوارح أنه ينظر به إلى الله تعالى يوم الزيادة، وبه يلذ تنعماً برؤيته، وبه ينظر إلى العبر في الدنيا. فالعين قالب البصر. والبصر من نور الروح. ولكل ذي جسم لطافة. فالروح مسكنه في الدماغ، ومعلقة في الوتين، وهو نياط القلب، ثم هو منفش

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ٦٧، ٣٤٨٠ عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول: وذكره، ورواه أبو داود في الأدب ١٠١.

في سائر الجسد من الظفر إلى شعر الرأس. نفخ فيه الروح من طرف إبهامه في المبتدأ، ثم يخرج منه عند القبض من طرف لسانه، لأن الله تعالى رفع درجة اللسان على سائر الجوارح بالتوحيد، وبه يظهر ما في القلب.

قال (عليه السلام): «ما من شيء أحب إلى الله من بضعة لحم، وذلك لسان المؤمن. وما من شيء أبغض إلى الله من بضعة لحم، وذلك لسان الكافر»[1].

فجعل سبيل الروح عند خروجه من طرف لسانه ليكون آخر الجوارح موتاً. وتكون حركة لسانه عند خروج الروح منه بالتوحيد. والحياة مع الروح والعقل والمعرفة. فالروح نور، والعقل نور، والمعرفة نور. ولكل نور بصر. فبصر العقل متصل ببصر الروح ولطافة الروح. فما رَقَّ منها وصفا فهو في العين. وإذا أبصر الناظر إلى حدقة، رأى الرقة واللطافة في الحدقة في ذلك السواد. فتلك لطافة الروح كالماء. وبصر الروح في تلك الإنسانة في الحدقة. فذلك النور المشرق فيه هو بصر الروح. والضوء من خارج. وإدراك الألوان من بين هذا النور الذي في الإنسانة وبين الضوء الذي هو خارج. وحتى لا يجتمعان لا يدرك الناظر بعينه الألوان. فهذا لعامة الآدميين.

ثم خص الموحدين بأن أرواحهم من النور، وأرواح الكافرين من النار. وليس للكافر عقل. فخص الموحد بالعقل، فاجتمع نور التوحيد ونور العقل ونور المعرفة ونور الروح في تلك الإنسانة. فبها تبصر العين في الدنيا، وتتمثل له أمور الآخرة.

---

(١) الحديث لم نعثر عليه في كتب الصحاح والمسانيد ولم يشر اليه في مجمع الزوائد، ولم يذكره السيوطي في الجامع الصغير ولا الكبير والله أعلم.

ثم خص الأولياء منهم بنور القربة. ولذلك النور أيضاً بصر. فالنور في القلب، وبصره في بصر العين، فبقوة ذلك يتفرس. والفراسة أمر جليل من أمور الغيب خص بها الأولياء (عليهم السلام). ينظرون بنور الله تعالى إلى سمات القدرة على عبيد الله تعالى في الغيب. فتوسمهم نظرهم ببصر ذلك العين الذي اتصلت الأبصار فيها بعضها ببعض، وغشيها بصر القدرة فيدركون سمات القدرة والتدبير، فيخبرون بالعجائب. فهذا بصر الأولياء. ثم للأنبياء (عليهم السلام) زيادة نور في أبصارهم. وهو بصر النبوة. ثم للرسل (عليهم السلام) بصر الرسالة. ثم لرسولنا (عليه السلام) بصر سيادة الرسل (صلوات الله عليهم أجمعين). فاجتمعت هذه الأبصار كلها في إنسانة تلك الحدقة من عينه ﷺ.

وقال (عليه السلام): «رأيت ليلة أسري بي من العلى الذرة تدب على وجه الأرض من السدرة المنتهى» .

قوله: «أمتعني ببصري» والإمتاع بالبصر أن يرى هذه العجائب من تدبير الله تعالى من أمور الدنيا والآخرة، ويرى كل شيء كما خلقه الله تعالى بما ينظر إليه من العبر. قال تعالى: ﴿ **وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب** ﴾[1].

والمنيب الذي قد أناب بقلبه، فأقبل على الله تعالى، وفرغ قلبه له من حشو الدنيا، وطهره من أدناس المعاصي، وكدورة الأخلاق، وفضول الدنيا. فقربه ربه وأدناه، ونقى قلبه بنوره، واحتد بصره في خلقه وصنعه وتدبيره. فلو نظر إلى ورقة لحار عقله فيها من العجائب التي فيها من رطوبتها، ولونها، وطعمها، وريحها، ولينها، ومقدارها، وتقطيعها، وهيئتها، ونقوشها، وتخطيطها، واللطف الذي حواها على

---

(١) سورة ق آية رقم ٧.

هذه الصفة. ثم كل شجرة لها ورق لا يشبه الأخرى. فللمؤمن المنيب في هذا البصر بهجة.

فأما المكب على نفسه في خلو من لطائف الله تعالى فيه، التي هي عند العارف أحلى من القطايف، وبره وتدبيره ورحمته. وإنما به شغل نفسه ماذا ينال منها من عاجل النفع أكلاً وتمتعاً، واعتقاداً لما فضل منه حرصاً على الدنيا وجمعاً لها، قد اتخذه عدة لنوائبه دون الله تعالى، واعتمد عليه، فاستولت بهجة النفس عليهم لينالوا بها عزاً، ويتمتعوا لهواً وسهواً، فوقعوا في الخسران، وحرموا رؤية البهجة، وصار عاقبة أمرهم إلى الكفران قال الله تعالى: ﴿ **لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون** ﴾[1].

فسأل (عليه السلام) أن يمتعه ببصره الذي ينال به هذه الأشياء، حتى يتوسم به آيات الله، وينظر به إلى سمات القدرة، ويكون ممن يعبد الله بكل نظرة. فانما أعطي العباد ليعبدوا الله تعالى بها، لا ليتمتعوا بها تمتع الكفار. قال تعالى: ﴿ **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم** ﴾[2].

فالمؤمن يتزود في جميع نظره وسعيه وعمله، ينظر بعين العبرة والفكرة في أمر الله تعالى، ويتقرب إلى الله تعالى به، ويتزود لآخرته. والكافر يتمتع. وإذا نظر المؤمن بعين الغفلة والشهوة، كان تمتعاً. فالمتنبه كلما نظر إلى شيء، ازداد علماً، وكان بصره رأس ماله، والمزيد من العلم ربحه. ولهذا جاءت به الأخبار أن النظر إلى البحر عبادة، وإلى العالم عبادة، وإلى وجه الأبوين عبادة؛ لأنه عبد الله بتلك النظرة.

---

(١) سورة المنافقون آية رقم ٩.

(٢) سورة محمد آية رقم ١٢.

وقوله: «واجعله الوارث مني» أي اجعل بصري آخر ما يخرج مني، فيكون قد ختمت لي بالنبوة والتوحيد والعقل. فيكون بصري هو الوارث لجوارحي. فإن هذه الأبصار قد اجتمعت في هذا البصر. فكان آخر ما يخرج مني لطافة الروح، وهو بصر العين فقط. فالسعيد من قبض روحه وكان آخر ما يخرج منه بصر توحيده وعقله. والشقي من سلب ذلك، ثم قبض روحه فكان آخر ما يخرج منه بصر روحه فقط.

قال (عليه السلام): إن الروح إذا فارق الجسد، تبعه البصر. ألا ترى إلى شخوص عينه[1].

فسأل (عليه السلام) الإمتاع ببصره أن يديم له ذلك إلى أن تفارقه روحه، وكان آخر ما يخرج عنه بصره، لأنه كان متصلاً ببصر العقل، والتوحيد، والولاية، والنبوة، والرسالة، والقيادة، والسيادة حتى يكون ذلك ختاماً لأمره.

وقوله: «وأرني ثأري» معناه أرني ببصري هذا ما يكون في أمتي إلى آخر الدهر من النصرة لما جئت به. فاستجيب له، فأُرِيَ ملك فارس والروم في أمته، ومنازل الحكماء والعلماء والأئمة الهادية بالحق، والقائمة بالعدل، والفتن التي هي كائنة في أمته والرحمة التي عمتهم.

وقوله: «وانصرني على من ظلمني» ظلم الرسول (عليه السلام) أن يُكَذَّبَ وتنفى عنه منة الله تعالى عليه في شأن النبوة. فسأل إظهار حقه الذي جاء به. فكانت تلك نصرة النبوة. فكان المستعدي عليه على أحد أمرين: إما أن يهديه الله تعالى، وإما أن يقتله.

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الجنائز ٥ باب في شخوص بصر الميت يتبع نفسه ٩ (٩٢١) عن العلاء بن يعقوب قال: أخبرني أبي أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ.

الأصل الثالث والثلاثون والمائتان

في حقيقة الخوف وحقيقة المعرفة

عن معاذ (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: لو خفتم الله تعالى حق خيفته، لعلمتم العلم الذي لا جهل معه. ولو عرفتم الله تعالى حق معرفته، لزالت بدعائكم الجبال[1].

حقيقة الخوف لمن وصل قلبه إلى فردانيته، فامتلأ من عظمة الفردية، باهت في جلاله، فأينما وقع بصره على شيء، وأينما دارت فكره واطلعت نفسه تلك المطالع، علم العلم الصافي الذي لا يمازجه شبهة ولا جهل. بمنزلة الشمس إذا أشرقت على أهل الدنيا. بضوئه يريك الأشياء كلها، حتى لا يخفى عليك منه شيء لعموم إشراقه على الأشياء كلها. فكذا شأن القلب إذا كمل علمه وأشرق نور الله تعالى في صدره، فذلك الضوء يريك أمر الملكوت، وأمور الدنيا والآخرة. وإنما ينال هذا العلم بنور الخوف. ونور الخوف ما أشرق في صدره من نور العظمة الفردية فخافه حق خيفته، وعلم العلم الذي لا جهل معه.

---

(١) الحديث أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وقال: رواه الحكيم الترمذي وأشار على الحديث بالضعف.

لأنه يريك ذلك النور باطن الأمور والأسرار التي في الغيوب التي خص الله تعالى بالكشف عنها الأنبياء والأولياء (عليهم السلام).

وقوله: «حق معرفته» أن تعرفه بصفاته العلى وأسمائه الحسنى معرفه يستنير قلبك بها. فإذا عرفته بذلك، كان دعاؤك عن معرفةً. وحسن الظن به. وقال (عز من قائل): أنا عند ظن عبدي بي. والكريم يستحيي أن يعرف بشيء ثم لا يكون له من ذلك الشيء منه نوال. فما ظنك بعبد يعرف ربه بالكرم، ثم يدعوه فيقول: يا كريم. هل يخيب العارف له بذلك؟ وقد عرفه بالكرم معرفة يقين.

وقد عرف الموحدون كلهم أنه كريم. ولكن تلك معرفة التوحيد، لا معرفة اليقين. ولهذا يعاملونه معاملة اللئام، ولا يأتمنونه على أحوالهم. إذ لو ائتمنه، لم يتخير الأحوال وألقى مفاتيح الأمور إليه حتى يكون هو الذي يختار له. وإذا اختار له ما تكره نفسه ويثقل عليها، راض نفسه وأدبها. حتى إذا اختار الله تعالى له ذلك، اهتش إلى المكروه كما يهتش إلى المحبوب ثقة به وتفويضاً إليه. فهؤلاء الراضون عن الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه. فهم أهل الخشية. والذين عرفوه بالكرم معرفة التوحيد يتخيرون له الأحوال فيهربون من الفقر والذل، ويحتالون لأنفسهم الأحوال المحبوبة، ويطلبونها، ويدبرون لأنفسهم أموراً. وإذا جاءهم المكروه من الأمور. وذلك له صنع من الله جميل، رأيت له نفساً دنية، وخلقاً شكساً. فلا يزال ذلك السوء يتردد في صدره حتى يتكدر عليه عيشه. فإن كان صاحب تقوى، اتقى الله بجوارحه، وصدره بهذه الصفة. وان خذل فترك تقواه، خرج ذلك من صدره إلى الجوارح فافتضح عند الملائكة وعقلاء خلقه في الأرض.

الأصل الرابع والثلاثون والمائتان

في أن الطاعم الشاكر لِمَ صار بمنزلة الصائم الصابر؟ وأن الصبر أفضل

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر»[1].

الصوم هو أن يعزم على أن يكف عن الطعام والشراب ومباشرة النساء طول النهار. والصائم كل ساعة تتردد فيه شهوة الطعام والشراب وغير ذلك مما هو ممنوع منه. فرد شهوته، وتجرعت نفسه مرارة الرد. فهو صابر يتجدد عليه الصبر ساعة بعد ساعة عند تحرك كل شهوة في نفسه ومنعه منها. فهو يردها ويثبت على الوفاء بنذره. فسمِّي

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الصيام ٥٥ باب فيمن قال الطاعم الشاكر كالصائم الصابر ١٧٦٥ ـــ عن محمد بن عبدالله بن أبي حرة عن عمه عن حكيم بن أبي حرة عن سنان بن سنة الأسلمي صاحب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ وذكره: في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات وليس لسنان بن سنة عند ابن ماجة سوى هذا الحديث وليس له شيء في الكتب الخمسة الأصولية. ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٣٦٣ (حلبي).

الصائم الصابر. ولذلك قال الله تعالى: الصوم لي وأنا أجزي به[1]. إنما صار مختصاً من بين الأعمال بأن نسبه إلى نفسه الكريمة. وان كان الأعمال كلها لله تعالى. لأن الصوم ليس بعمل الأركان، ويقع سراً فيما بينه وبين ربه (سبحانه وتعالى) والحفظة لا تعلم ذلك ولا تطلع عليه، وخفي عليه جزاؤه ومقدار ثوابه. فولي الله تعالى ذلك لعبده؛ لأنه كلما ترددت شهوة، تجددت للعبد عزمة على الثبات. فله بكل عزمة ثواب جديد.

ولهذا قال (عليه السلام): «ما من نعمة وإن تقادم عهدها فذكرها العبد فحمد الله عليها إلا جدد الله تعالى له ثواب شكرها كيوم شكره. وما من مصيبة وإن تقادم عهدها فذكرها العبد فاسترجع إلا جدد الله له ثوابها كهيئته يوم أصيب»[2].

فللصائم بكل عزمة استئناف صبر. قال الله تعالى: ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾[3].فقد خرج هذا من عمل الحفظة وإدراكهم.

قال (عليه السلام): «الأعمال كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة، إلا الصوم فانه لا يعلم ثواب عامله إلا الله تعالى »[4].

وقال (عليه السلام): «الأعمال عند الله سبعة: عملان موجبان،

---

(١) متفق عليه

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد مختصراً في المسند ١ : ٢٠١ ثنا يزيد وعباد بن عباد قالا أنبأنا هشام بن هشام قال عباد بن زياد عن أمه عن فاطمة ابنة الحسين عن أبيها الحسين بن علي عن النبي ﷺ قال: وذكره.

(٣) سورة الزمر آية رقم ١٠.

(٤) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الأدب ٣٨٢٣ عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٨٨، ٢١٤، ٥ : ١٥٣ (حلبي) والنسائي في الصيام ٤٢، ٨٢.

وعملان بأمثالهما، وعمل بعشر أمثاله وعمل بسبعمائة ضعف، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله تعالى. فأما الموجبان: فمن لقي الله يعبده مخلصاً لا يشرك به شيئاً، وجبت له الجنة، ومن لقي الله قد أشرك به، وجبت له النار. ومن عمل سيئة جزي بمثلها. ومن عمل حسنة جزي عشراً. ومن أنفق ماله في سبيل الله ضعفت بسبعمائة. والصيام الذي لا يعلم ثواب عامله إلا الله تعالى».

وقوله: «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر» فالإيمان منقسم على الشكر والصبر.

قال (عليه السلام): «الإيمان نصفان: نصف للشكر ونصف للصبر»[1].

لأن العبد في جميع عمره بين محبوب ومكروه. فالإيمان يقتضي الشكر عند المحبوب، والصبر عند المكروه. فإذا وفى لهما وفر إيمانه. فإذا طعم وهو محبوب النفس فشكر، فقد أتى بنصف وفاء الإيمان. وإذا جاع وهو مكروه النفس فصبر، فقد أتى بنصف وفاء الإيمان. وهكذا في جميع الأعمال. وهذا لأن العبد لما آمن بقلبه واعترف بلسانه، امتحن صدق ما في قلبه، وطمأنينة نفسه بالإيمان بالمحبوب والمكروه. فإن أبرز عند المحبوب شكراً، وعند المكروه صبراً، فقد أتى بوفاء الإيمان.

قال تعالى: ﴿ **الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾[2].

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في شعب الايمان عن أنس — رضي الله عنه — ورواه السيوطي في الجامع الصغير، وأشار على الحديث بالضعف.
(٢) سورة العنكبوت آية رقم ١ — ٣.

لأن الشهوة التي في ابن آدم من المحفوف بباب النار. فإذا أثارها محبوب من الأمور، فهي حرفة يقتضي عليها الشكر. وهو رؤيتها من خالقها والمقدر له. وإذا آثرها بمكروه فهي حرفة يقتضي عليها الصبر للمقدر الحاكم عليه بذلك، لتظهر صحة إيمانه فيباهي الله تعالى به يوم الموقف ملائكته (عليهم السلام) إذا أتى الله تعالى بالصبر والشكر.

الأصل الخامس والثلاثون والمائتان

في أدب شرب الماء. وفوائد كل شربة. وحكمة الشكر، والشفاء، والوترية.

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا شربتم فاشربوا بثلاثة أنفاس. فالأول شكر لشرابه. والثاني شفاء في جوفه. والثالث مطردة للشيطان. وإذا شربتم فمصوه مصاً، فإنه أجدر أن يجري مجراه، وأنه أهنا وأمرأ»[1].

النفس الأول صار شكراً للمنتهين لما خلص إليه عذوبة الماء ورطوبته وبرودته تراءى لقلبه لطف الله تعالى في ذلك الماء، كيف جرت ربوبيته فيه حتى رطبه وأعذبه وبرده. فكانت رؤيته لذلك شكراً. وإذا كان النفس الأول بهذه الهيئة، ذهب بالداء. وإذا ذهب الداء، جاءت نوبة الشفاء. فلما شكر هذا العبد في النفس الأول، استوجب من الله تعالى المزيد. قال تعالى: ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم...** ﴾[2].

---

(١) الحديث رواه ابن السنى وأبو نعيم في الطب، والبيهقي في شعب الايمان عن ابن أبي حسين مرسلًا مع اختلاف في بعض الألفاظ وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير، وأشار عليه بالضعف

(٢) سورة إبراهيم آية رقم ٧.

فاجتلب في النفس الثاني المزيد، فصار شفاء. لأن البركة قد اشتملت على المزيد.

وأما النفس الثالث، صار مطردة للشيطان للوترية التي فيه. فإن الله تعالى وتر يحب الوتر. فالنفس الأول رحمته. والنفس الثاني شكره لعبده وهو مزيده. والنفس الثالث محبوبه لسمة الوترية. فوتريته تعالى نفت كل خلط في الأعمال مما يريد الشيطان أن يزاوجه، لأنه مستعد لأن يزاوج بما يورد على القلوب في ملك الصدور. والموحد ينفي مزاوجته بحظه من وترية الله تعالى، حتى يبطل كيده ويصفو عمله لله تعالى الوتر. ولذلك كانت العلماء يتوخون الوتر في كل شيء. فكان رسول الله ﷺ يتوضأ وتراً. وإذا تكلم فأعاد الحديث، أعاد وتراً. وكان يتوخى الوترية في كل شيء. وكان أبو هريرة (رضي الله عنه) يتوخى الوترية في كل شيء، حتى أنه كان يقرأ في صلاته بأم القرآن بثلاثة أنفاس. وكان ابن سيرين (رضي الله عنه) يتفقد بطلب ذلك حتى يأمر الخادم أن يضع على مائدته من كل شيء وتراً. يتوخون بذلك محبوب الله تعالى، والتماس البركة وانطراد الشيطان ونفوره. وإذا انطرد الشيطان، بقي الشفاء على هيئته، وثبت الشكر لصاحبه. قال (عليه السلام): «إن الله ليرضى على العبد بالشربة الواحدة، والأكلة الواحدة، يشربها أو يأكلها، فيحمد الله عليها»[1].

وقال (عليه السلام): «ما أنعم الله على عبد من نعمة صغيرة ولا

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ٢٤ باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ٨٩ ــ (٢٧٣٤) عن زكريا بن أبي زائدة عن سعيد ابن أبي بردة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه الترمذي في كتاب الأطعمة ١٨ وقال: هذا حديث حسن ولا نعرفه إلا من حديث زكريا بن أبي زائدة، وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ١٠٠، ١١٧ (حلبي).

كبيرة فحمد الله عليها، إلا كان قد أعطى خيراً مما أخذ»[١].

فالنفس الأول للشكر. وإنما يثبت الشكر للوترية في النفس الثالث لانطراد الشيطان؛ لأنه إذا لم يكن مطروداً، دخل عليه بوسوسة ما يبطل شكره، بأن يوسوس إليه في عذوبته، أو في صفائه، أو في برده خللاً ينغص عليه النعمة، حتى يغيب عن قلبه لطف ربوبية الله تعالى في ذلك الماء في وقت الشرب.

وقد استوجب العبد رضاء الله تعالى في شربة واحدة لهذه الآداب التي دأب عليها مطيعاً لله تعالى، طالباً فيها حسن العمل. وهذه الشربة الواحدة إنما رضي الله بها عن العبد لأنه سمى في أولها، وتنفس حين قطع الشكر للمزيد ليجتلبه. فإن المزيد أكثر من الشكر. ثم تنفس فقطع ليجتلب الوترية، فينفي العدو الحاسد الذي قد أعد له في كل شيء حسداً. فيثبت له الشكر فيدوم. فإذا حمد الله فقد ختمه بكلمة الصدق فرضي عنه بتلك الكلمة الصادقة. وإذا حمد حمداً مع ترك الأدب، كانت كلمته مدخولة، فلا يستوجب الرضى. لأنه مع استيلاء الغفلة كحمد السكارى. وإذا رضي الله تعالى عن عبده، أثنى عليه وأحبه ملائكته.

قال (عليه السلام): «من شرب الماء بثلاثة أنفاس بدأ فسمى في كل مرة، وحمد كل مرة، سبح الماء في جوفه حتى يشرب ماء غيره»[٢].

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الأدب ٣٨٠٥ ـــ عن شبيب بن بشر عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

(٢) الحديث أخره الديلمي في مسند الفردوس ـــ عن علي ـــ رضي الله عنه، ورواه السيوطي في الجامع الصغير بلفظ (اذا شربتم الماء فاشربوه معاً ولا تشربوه عباً فان العب يورث الكباد) وأشار السيوطي عليه بالضعف

وقوله : « إذا شربتم فمصوا »، لأن اللهاة تيبس من حرارة الجوف ولهبان الكبد، فتعطش اللهاة. فإذا مص الماء كان كثير البرودة على اللهاة، فيسكن العطش. فاستغنى عن كثرته، إذ كثرة الماء تتخم وتحدث داء كثيرة. فاذا مص أسرع إلى تسكين العطش، فاستغنى عن الازدياد، ولأنه أرفق لمجراه في العروق.

قال (عليه السلام): «لا تعبه عباً فإن الكباد من العب ».

فإنه إذا عب أضر بالكبد؛ لأنه مجمع العروق، ومنه تنقسم في العروق. فإذا عبه في دفعة واحدة، كان بمنزلة نهر فتحت مفتحه دفعة واحدة فدخل الماء جملة، لم يؤمن البثق والفساد. فكذا إذا شربه عباً لا مصاً لم تحتمل العروق وفاضت من المعدة إلى العروق. فربما كان على الطريق سدة في العروق فاحتبس الماء هناك، فدوي فصار خاماً، وقوي البلغم، فحدثت منه أدواء في النفس، وأورثت كسلاً عن عبادة الله تعالى وفتوراً. فمن لها عن تفقد ذلك يوشك أن يؤديه إلى ما هو أكبر منه. فكان عليه السلام شفيقاً على الأمة، رؤوفاً رحيماً، أن يؤديهم إلى الله تعالى مع زينة الإسلام، وبهاء الإيمان، فعلمهم تناول الطعام والشراب وكل شيء للنفس فيه حق. وقد طهره الله تعالى وأدبه، وأحيا قلبه ونفسه، فقبل أدبه، وصار مهذباً، وأمرنا بالاتساء به، فقال تعالى: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾[1] وجعل الإتباع له علامة محبته في قلوب العباد فقال: ﴿ **إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** ﴾[2]. فأوجب محبته لمن اتبعه.

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٢١.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٣١.

الأصل السادس والثلاثون والمائتان

في أن النوم مع الطهر كالصوم مع القيام

عن عمرو بن حريث[1] (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «النائم الطاهر كالصائم القائم».

الصائم بترك الشهوات يطهر، وبقيامه بالليل يحيا. والنائم نوم العدة محتسباً إذا نام على طهارة بمنزلته فإن نفسه تعرج إلى الله تعالى. فإذا كان طاهراً، قرب فسجد تحت العرش.

قال عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما): تعرج الأرواح إلى الله تعالى في منامها، فما كان طاهراً سجد تحت العرش، وما كان غير طاهر سجد قاصياً. فلذلك يستحب أن لا ينام الرجل إلا وهو طاهر.

وقال أبو الدرداء (رضي الله عنه) إذا نام الإنسان عرج بنفسه

---

(١) هو عمر بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبدالله. له صحبة، روي عن النبي ﷺ، وعن أخيه سعيد بن حريث وأبي بكر وعمر وعلي وابن مسعود، وسعيد بن زيد، وعنه ابنه جعفر وابن أخيه عمرو بن عبد الملك بن حريث ومولياه أصبغ وهارون. قال الواقدي: توفي النبي ﷺ وعمرو بن حريث ابن ثنتي عشرة سنة.وقال البخاري وغيره مات سنة خمس وثمانين، وقال ابن حبان في الصحابة ولد يوم بدر ومات سنة ٨٥.

حتى يؤتى بها إلى العرش. فإذا كان طاهراً، أذن لها في السجود. وإن كان جنباً، لم يؤذن لها في السجود.

وما قال أبو الدرداء (رضي الله عنه): «إن النفس تعرج» أصوب. فإنه يروى عن النبي ﷺ أنه قال: وكل بالنفوس شيطان يقال له الهوّ فهو يخيل إليها ويتراءى إلى أن ينتهي إذا عرج بها. فإذا انتهت إلى السماء فما رأت فهو الرؤيا التي تصدق. إلا أن عبدالله بن عمرو استجاز أن يسمي الروح باسم قرينها كالقلب والفؤاد، والنفس والروح قرينان. إلا ان الروح سماوي يدعو إلى الطاعة، ومسكنه في الرأس. والنفس أرضية تدعو إلى الشهوات. وقد وضع في كل واحد منهما شيء من الحياة، فيعمل بتلك الحياة. فبالنفس يأكل ويشرب، ويسمع ويبصر. وبالروح يعف ويستحيي، ويتكرم ويتلطف، ويعبد ربه ويطيع. والنفس هي الأمارة بالسوء، وهي حارة. والروح بارد. فإذا نام العبد، خرجت النفس بحرارتها، فعرج بها إلى الملكوت. والروح باق معلق بنياط القلب، يحرس القلب بما فيه من التوحيد. وأصل النفس باق، يتقيد بالروح وقد خرج شعاعها. قال الله تعالى: ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى** ﴾[1].

ولذلك تجد النائم استيقظ في أعضائه برداً في أيام الصيف؛ لخروج حرارة النفس.

والنفوس تشترك بين الآدمي والبهائم، وفضل الآدمي بالروح السماوي ليكون داعياً لنفسه إلى الطاعة. وإذا نام العبد، خرجت النفس، فلقيت من أمور الملكوت وأخبار الغيب ما يرجع إلى صاحبها بالعلم الشافي.

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٤٢.

قال (عليه السلام): رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة(١).

وقال أيضاً (عليه السلام): «لم يبق بعدي من النبوة شيء إلا المبشرات، رؤيا المؤمن»(٢).

فإذا عرجت النفس، صارت إلى فناء العرش، فطهرت بقرب الله تعالى، وبالسجود الذي أذن لها، فرجعت إلى صاحبها طاهرة بالقرب، محبوة بكرامة السجود، فصارت بمنزلة الصائم الذي طهر بترك الشهوات وحيى بقيام الليل. فهذه منزلة الصادقين، استوى نومه على طهارة بصيامه وقيامه.

ولهذا قال معاذ (رضي الله عنه) لأبي موسى: إني أنام نصف الليل وأقوم نصفه فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي.

فأما منزلة الصديقين خاصة الله تعالى، فهي أرفع من هذا، فإن النوم

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب التعبير ٢ باب رؤيا الصالحين ٦٩٨٣ ــ عن مالك عن اسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

ورواه الإمام مسلم في الرؤيا ٦، ٧، ٨، ٩ وأبو داود في الأدب ٨٨ والترمذي في الرؤيا ١، ٢، ٦، ١٠ وابن ماجة في الرؤيا ١، ٣، ٦، ٩، والدارمي في الرؤيا ٢ وصاحب الموطأ في الرؤيا ١،٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٨، ٥٠، ٢١٩، ٢٣٢ (حلبي).

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب التعبير ٥ باب المبشرات ٦٩٩٠ عن الزهري حدثني سعيد بن المسيب أن أبا هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: سمعت رسول الله ﷺ وذكره، ورواه الإمام مسلم في الصلاة ٢٠٧، ٢٠٨ وأبو داود في الصلاة ١٤٣ والترمذي في الرؤيا ٢ والنسائي في التطبيق ٩، ٦٢ وابن ماجة في الرؤيا ١ وصاحب الموطأ في الرؤيا ٣ والدارمي في الرؤيا ٣ والصلاة ٧٧ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٢١٩، ٣ :٢٦٧ (حلبي).

عندهم أثر من القيام، لأن نفوسهم قد قلقت بين الأحشاء. فهي تطلب الانفلات إلى فسحة التوحيد إلى فحص العرش، وطلبت العقول الوصول إلى الله تعالى، فاغتنم ما تطلب النفس، فاقترنا فخرج العقل بحظه من القلب اشتياقاً إلى الله تعالى، وخرجت النفس اشتياقاً إلى فسحة العرش والروح الذي هناك. فإذا رجعا إلى البدن أوردا على الروح من الطهارات والكرامات ما لا يخطر على قلب بشر حتى يرتاح ويطهر. ولذلك كان رسول الله ﷺ يتوخى نوم السحر.

قالت عائشة (رضي الله عنها): ما ألقاه السحر عندي إلا نائماً.

فالسحر ساعة نزول الرب (سبحانه وتعالى) إلى السماء الدنيا واطلاعه على الخلق، والعطف عليهم، والنداء: ألا هل من داع فأستجيب له، ألا هل من تائب فأتوب عليه، ألا هل من سائل فأعطيه، ألا هل من مستغفر فأغفر له. وهو باسط يده لمسيء النهار أن يتوب بالليل. ثم يقول: من يقرض غير معدوم ولا مطول.

فكان (عليه السلام) يتوخى النوم في ذلك الوقت لعروج نفسه إلى الله تعالى فتلقاه في سمائه. وهذا أفضل عنده من قيامه. لأنه في حال القيام إنما يعرج إليه قلبه بعقله. وفي حالة النوم تعرج النفس والعقل والقلب. فاجتماع الثلاثة أفضل عنده. فخاصة الله تعالى نالوا هذا الحظ وتوخوا بنومهم ذلك، فصاروا أفضل من الصائمين القائمين. وأما الصادق فقد اعتدل نومه بصومه، ومكثه في نومه بقومته. وإليهم أشار ﷺ في الحديث. وهذا مثل قوله ﷺ: الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر.

فهذا شكر الصادقين، عدل شكره على طعامه بصبره في صيامه. فأما شكر الصديقين فقد فاق وبرز على صبر الصائمين. لأن الصبر ثبات العبد في مركزه عن الشهوات برد ما يهتاج منه من الشهوات

في وجه النفس. والشاكر من الصديقين يطعم ويفتتح طعامه ببسم الله الذي يملأ تسميته ما بين السماء والأرض، ويطفئ حرارة شهوته، ويرى لطف الله تعالى في ذلك الطعام، ورأفته به في سياقته إليه، ويحمد الله تعالى على ما يرى من صنعة الله تعالى في ذلك الطعام حمداً لا ينتهي، فقد بان تفاوت ما بين هذين الحالين.

وعند معاذ بن جبل (رضي الله عنه) قال: أبطأ عنا رسول الله ﷺ بصلاة الفجر حتى كادت الشمس تدركنا، ثم خرج فصلى بنا، فخفف في صلاته، ثم إنصرف، فأقبل علينا بوجهه فقال: على مكانكم أخبركم بإبطائي عنكم اليوم في هذه الصلاة إني صليت في ليلتي هذه ما شاء الله تعالى، ثم ملكتني عيني فرأيت ربي في أحسن صورة وأجملها، فقال: يا محمد. قلت: لبيك يا رب. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب. ثم قال: يا محمد. قلت: لبيك يا رب. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب. قال: فوضع كفه بين كتفي، فوجدت برد أنامله بين ثديي، فعلمت من كل شيء وبصرته. ثم قال: يا محمد. قلت: لبيك يا رب. قال: فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفارات. قال: وما هن؟ قلت: في المشي على الأقدام إلى الجماعات، وفي إسباغ الوضوء في السبرات، وفي القعود في المساجد بعد الصلوات. قال: ثم فيم؟ قال: قلت: وفي إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام. قال: سل. قلت: اللهم إني أسألك حب الحسنات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في خلقك فنجني إليك منها غير مفتون، اللهم وأسألك حبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقرب إلى حبك. ثم أقبل علينا فقال: تعلموهن وادرسوهن، فانهن حق[1].

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ١ : ٣٦٨ ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: وذكره. ورواه أيضاً في ٤ : ٦٦، ٥ : ٢٤٣، =

فانظر كم بين النومة والقومة. فهو قصد المشتاقين إلى الله تعالى في المنام، يتوخون بها تجدد أحوال النفوس، ويتوقعون من الله تعالى المنن. وكان أبو بكر (رضي الله عنه) يقول: لأن أسمع برؤيا صالحة أحب إلي من كذا وكذا.

= ٣٧٨ (حلبي) ورواه الدارمي في الرؤيا ١٢ ورواه الطبراني في الكبير وفيه عبدالله بن ابراهيم بن الحسين عن أبيه، ورواه أيضاً الطبراني في الأوسط والكبير وفيه أبو سعد البقال وهو مدلس وقد وثقه وكيع.

الأصل السابع والثلاثون والمائتان

في التعوذ بالله من الرغب

عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «تعوذوا بالله من الرغب»[1]. قال: وكانت له ابنة رغيبة فدعا الله عليها فماتت.

الرغب كثرة الأكل والشبع مفقود حتى يحتاج صاحبه أن يثابر عليه في اليوم مرات، وذلك من غلبة الحرص ولهبان ناره، يهضم ذلك الطعام وينشف رطوبته حتى يسرع في يبسه، فيصير تفلاً يحتاج إلى أن ينفضه نفضاً.

وقال (عليه السلام): الرغب شؤم. لأن ذلك من جعامة النفس. وإذا كانت النفس جعمة، فصاحبها مفتون. وجعامة النفس من قلة حظه من الله تعالى، وبعد قلبه منه، وربة نفس مالت جعامتها إلى بطنه، فيكون مفتوناً ببطنه، ولذة حلقه، هالعاً لا يدع رطباً ولا يابساً. وربة نفس مالت جعامتها بها إلى فرجه، فكان منهوماً بذلك. وإذا عجز عنه فعلاً لكبر أو ضعف فقلبه منهوم، ولسانه رافث، وعينه طماحة

(١) قال السيوطي في الجامع الصغير: رواه الحكيم الترمذي من ابي سعيد ـــ رضي الله عنه ـــ وأشار على الحديث بالضعف

خائنة. قال (عليه السلام): أكثر ما يدخل الناس الجنة حسن الخلق، وأكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان، البطن والفرج.

وقال (عليه السلام): أشر ما في الإنسان شح هالع وجبن خالع[1].

والشح الهالع هو الحرص الذي له حريق في الجوف، وصاحبه لا يشبع. والجبن الخالع هو الذي إذا وقع الخوف في الرئة، انتفخ من الجبن وسوء الظن حتى يرحل القلب من مكانه، فيبقى معلقاً كالمتخلع. والرغب مشتق من الرغبة. والرغبة خلقت من أخلاق الكفر.

قال وهب (رضي الله عنه) : وجدت في الحكمة مكتوباً : بني الكفر على أربعة أركان: على الرغبة، والرهبة، والشهوة والغضب.

فالرغبة ربع الكفر. والمؤمن لا يرغب، بل يتناول على الحاجة، ولا يستمتع، بل يتزود لأنه مسافر، قد أيقن بالبعث، فهو في السير إلى ربه، فما أخذه من الدنيا أخذه تزوداً ليقطع مسافة أيام الدنيا إلى يوم مقدمه عليه بالموت الذي حل به. والكافر قد ركن إلى الدنيا ونعيمها، ولم يقر بالبعث، ولا اطمأن إلى أنه صائر إلى الله تعالى، وإلى ما يأمله المؤمن من الرجاء العظيم، والأمل الفسيح، فيأخذ من الدنيا أخذ متمتع، ويأكل أكل متشبع.

قال (عليه السلام): ما ملأ آدمي وعاء شراً له من بطن. بحسب

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الجهاد باب في الجرأة والجبن ٢٥١١ — حدثنا عبد الله عن الجراح عن عبد الله بن يزيد عن موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عبد العزيز بن مروان قال: سمعت رسول الله ﷺ — يقول: وذكره ورواه الامام أحمد في المسند ٢: ٣٠٢، ٣٢٠ (حلبي)

ابن آدم لقمات يقمن صلبه. فإن كان لا بد فثلث طعام، وثلث شراب، وثلث نفس(١).

وقال (عليه السلام) لأبي جحيفة (رضي الله عنه) حيث تجشأ: يا أبا جحيفة أقصر من جشائك، فإن أطول الناس جوعاً يوم القيامة أكثرهم شبعاً في الدنيا.

ويقال: الشبع أب الكفر، لأنه يحدث منه الأشر والبطر، ومنهما يتكبر ويتجبر.

وقال (عليه السلام): إن الله تعالى يحب القتير من أمتي. قيل: يا رسول الله وما القتير؟ قال: قليل الطعم.

وروي عن يحيى بن زكريا (عليهما الصلاة السلام) أنه قال لإبليس: هل وجدت مني شيئاً قط؟ قال: لا. إلا انك ربما شبعت فثقلت عن الصلاة. فعاهد الله تعالى أن لا يشبع حتى يخرج من الدنيا. فأمر (عليه السلام) بالتعوذ منه ليعافى من هذه الآفات إن شاء الله تعالى.

---

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب الزهد باب ٤٧ ما جاء في كراهية كثرة الأكل ٢٣٨٠ حدثني أبو سلمة الحمصي وحبيب بن صالح عن يحيى بن جابر الطائي عن مقدام ابن معدي كرب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : وذكره. وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، ورواه الإمام أحمد في المسند ٤ : ١٣٢ (حلبي).

الأصل الثامن والثلاثون والمائتان

في سبب زيادة العمر

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بني أسبغ الوضوء يزد في عمرك»[1].

فزيادة العمر على وجهين: **أحدهما** أن العبد إذا عمر بالإيمان وبحياة القلب به فذاك كثير وإن قل مدته. لأن القصير من العمر إذا احتشى من الإيمان، أربى على الكثير. لأن المبتغي من العمر العبودة لله تعالى كي يصير عند الله تعالى وجيهاً. ألا ترى أن المعمرين من الرسل (عليهم السلام) كلهم عمروا ما بين المائتين إلى الألف، ومحمد ﷺ لبث في النبوة نيفاً وعشرين سنة، فأربى على الجميع وتقدمهم؛ لعظيم حشوه، ووفور حظه، ودنو قربه، حتى قال: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وان الله تعالى أعطاني خصالاً لم يعط أحداً قبلي، سميت

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة ٤٩ باب ما جاء في إسباغ الوضوء ٤٢٦ بسنده عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال: وذكره ورواه صاحب الموطأ عن عائشة ــ رضي الله عنها في كتاب الطهارة بزيادة [ويل للاعقاب من النار] وليس فيه [يزد في عمرك].

أحمد، ونصرت بالرعب، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأحلت لي الغنائم[1].

الوجه الثاني، أن الله تعالى قدر الآجال والأرزاق والحظوظ من أهلها، فجعل بعضها واجبة وبعضها هدية، ثم أثبت ذلك في الكتاب الذي عنده، لا يطلع عليه أحد، ومنه نسخ إلى اللوح، فيمحو من ذلك الأم ما شاء ويثبت ما شاء. وإنما يمحو من الهدايا بالأحداث التي تكون من أهلها في الأرض. فأما الواجبات فقد وجبت لأهلها. فإذا حافظ المؤمن على الوضوء وأسبغه، فإنما يدوم هذا الفعل لوفارة إيمانه واتساع صدره شرحاً للإسلام. فهداياه في أم الكتاب مثبتة. تربو بحفظه وصونه للهدايا. فإذا استخف بها، دخل التخليط في إيمانه، وذهبت الوفارة، وانتقص من كل شيء، بمنزلة الشمس التي ينكسف طرف منها. فبقدر ما انكسف ولو مقدار رأس إبرة، انتقص من شعاعها وإشراقها. فكذلك نور المعرفة بقدر ما ينكسف من شمسها ينتقص من جميع أعماله وأخلاقه وسيرته في الدين بين يدي الله تعالى، لأن القلب صار محجوباً. ومن حجب عن الله تعالى بمقدار رأس إبرة فزوال الدنيا بكليتها أهون من ذلك. فلا يزال العبد ينتقص ويدوم ويتراكم نقصانه وهو أبله لا ينتبه بذلك حتى يستوجب الحرمان، فتمحى الهدية ويبقى العبد خالياً. ولو قد عقل لما حل به وانتبه له، لم يزل صارخاً إلى الله تعالى حتى تثبت له الهدية ويزاد في العمر، فيؤخر أجله، ويزاد في رزقه وقوته في أعمال الدين والدنيا، ويزاد في البركة في كل شيء منه.

وقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: إن الرجل ليبقى من أجله ثلاثة أيام فيصل رحمه، فيزيد الله تعالى في عمره ثلاثين سنة[2].

---

(١) سيأتي تخريج هذا الحديث قريباً من هذا.

(٢) لم نعثر على هذا الأثر على كثرة البحث والتقصي، ولعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر

وكيف لا يزاد في عمره وقد تعلق بقميص الرحمة. والأخبار مستفيضة في نسأ من أعمال البر أنه يزاد في عمره ثواباً لتلك الأعمال. فذلك عاجل الثواب، بشرى لما أعد له في الآخرة من الثواب.

وعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال: تذاكرنا زيادة العمر عند رسول الله ﷺ فقال: لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها، زيادة العمر ذرية صالحة يرزقها الله تعالى العبد، يدعون له بعد موته، يلحقه دعاؤهم فذلك الزيادة في العمر.

وعن أنس (رضي الله عنه) قال رسول الله ﷺ: من كان يريد أن يبسط عليه في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه(1).

(1) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٢٠ (٢٥٥٧) عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره، ورواه البخاري في كتاب الأدب ١٢ والبيوع ١٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ١٥٦، ٢٤٧، ٢٦٦، ٥ : ٢٧٩ (حلبي).

الأصل التاسع والثلاثون والمائتان

في خصائص النبي الأمي. وفي سر قوله: أعطيت خمساً... إلخ

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: أعطيت خمساً لم يعطهن نبي من قبلي، ولا أفخر. بعثت إلى الأسود والأحمر، وكان النبي قبلي يبعث إلى قومه. وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً. ونصرت بالرعب أمامي مسيرة شهر. وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي. وأعطيت الشفاعة فدخرتها لأمتي، فهي نائلة إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئاً[1].

الرسول ﷺ مبعوث إلى الخلق بمنزلة الأمير المؤمر، يعطي الإمارة والولاية والرعاية. فهو بمنزلة الراعي يرعى غنمه في مراعي تسمن عليها، ويوردهم صفو الماء، ويرتاد لهم في الصيف مشتاهم، وفي الشتاء

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب التيمم ٣٣٥ بسنده عن جابر بن عبدالله أن النبي ﷺ: قال: وذكره وهذا يختلف عن رواية مسلم: فضلت على الأنبياء بست فذكر أربعاً من هذه الخمس وزاد ثنتين. ورواه أيضاً في كتاب الصلاة ٥٦ والغسل ٢٦ والدارمي في السير ٢٨.

مصيفهم، ويعدُّ لهم لكل ليلة مأوى قبل هجومه، ويفر بها عن مراتع الهلكة، ويجنبها الأرضين الوبئة، ويحرسها من السباع، ويحوطها عن الشذوذ، ويلحق شذاذها، ويجبر كسيرها، ويداوي مريضها، ويجمع رسلها من الألبان والصوف لرب الغنم. فهذا راع ناصح لمولاه، وأجره موفور عليه يوم الجزاء ومتوقع من رب الغنم أفضل هدية على قدر ملكه.

فالرسول (عليه السلام) هو راعي الخلق. والخلق غنمه بعث ليرعاهم، فشرع لكل خارجة في واديها ماذا تباشر وماذا تجتنب. فأحل من كل خارجة بعضاً وحرم بعضاً، وأوردهم من المياه أصفاها، وهو العلم الصافي. وهيأ لهم المشتى والمصيف، وهو الاستعداد في الحياة وأيام الصحة والقوة قبل الهرم، والمرض قبل الموت. وأعد لهم المأوى، فبين لهم عند حدوث الفتن، كالليل المظلم إلى أين يأوون، وبمن يعتصمون، ويعزلهم عن مراتع الهلكة، وهي الشهوات الدنيوية المشوبة بالحرص، ويجنبهم الأرض الوبئة، وهي الأفراح التي تحل بالقلب منها فيوباً، ويمرض منها القلب، ويحرسهم عن الشذوذ مخافة الذئاب، وهو العدو، ويجبر كسيرهم إذا وقعوا في المعاصي، ويدعوهم إلى التوبة ويعينهم عليها، حتى يجبر كسيرهم، ويداوي مريضهم، وهو أن يعظ مفتونهم حتى يخلصهم بالمواعظ من فتن النفوس، ويحمل بهماتهم، وهو أن يدعو لهم ويستغفر لهم، ويسأل الله تعالى قبول أعمالهم. فهذا راع.

وهو مع ذلك أمير يؤدبهم ويحملهم على المكاره ويسوقهم، ويسير بهم بسوط الأدب على مشارع الاستقامة، ليوافي بهم الموقف بين يدي الله (عز وجل). فكل راع إلا ومعه عصا يهش بها على الغنم ويؤدبهم بها. وقد ذكر سبحانه عصا موسى (عليه السلام) في تنزيله. فكل راع مؤنته على قدر غنمه، وكل أمير مؤنته على قدر رعيته. فالأمير المبعوث إلى كورة محتاج على قدر ولايته إلى آلة الولاية من

الخدم والدواب والمراكب والكنوز على قدر ولايته لينفق في إمارته. فمن أمر على مجارستان، فهو أقل حظاً من هذه الأشياء التي وصفنا. ومن أمر على خراسان، كانت حاجته إلى ما ذكرنا أكثر. ومن كان أمير المؤمنين، يحتاج إلى كنز عظيم. ومن ملك المشرق والمغرب احتاج إلى خزائن الأموال حتى يضبط بها ذلك الملك. فكذلك كل رسول بعث إلى قوم أعطي من كنز التوحيد وجواهر المعرفة على قدر ما حمل من الرسالة. فالمرسل إلى قومه في ناحية من الأرض إنما يعطى من النبوة والكنوز على قدر ما يقوم به في شأن نبوته ورعاية قومه. والمرسل إلى جميع أهل الأرض كافة إنسها وجنها (عليه السلام) أعطي من المعرفة بقدر ما يقوم بها في شأن النبوة إلى جميع أهل الأرض كافة. فحظنا من قوله (عليه السلام): بعثت إلى الأحمر والأسود. وقوله تعالى له: ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس** ﴾[1] كحظه من ولاية ملك يملك الدنيا وجواهر شرقها وغربها وما بينهما. ومن ملك الأرض كلها ملك جواهرها ومعادنها. ومن ملك ناحية من الأرض ليس له إلا معدن ناحيته وجوهر ذلك المعدن. فلذلك قال (عليه السلام): «اختصر لي الكلام وأوتيت جوامع الكلم»[2].

ولذلك صار كتابه مهيمناً على الكتب، وصار القرآن الكريم مشتملاً على التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وبقي المفصل نافلة لهذه الأمة خاصة، وأوحى إليه بالعربية التي برزت على سائر اللغات بالاتساع، وهي لسان أهل الجنة. ولما أُعطي الرسالة إلى الكافة أعطي من الكنوز

---

(١) سورة سبأ آية رقم ٢٨.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب المساجد ٥ (٥٢٣) عن العلاء عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره ورواه البخاري في كتاب التعبير ١١ باب رؤيا الليل ٦٩٩٨ عن محمد عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ وذكره ورواه الترمذي في السير ٥ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٧٢، ٢١٢، ٢٥٠، ٢٦٤ (حلبي).

مقدار الكفاية للجميع، وأوتي من الحكمة وجواهرها كلها، وأوتي ختم الرسالة والرعب. فبجواهر الرسالة قوي على علم مختصر الحديث وجوامع الكلم.

وكان التوراة يحملها سبعون جملاً موقرة، والزبور من بعدها، والإنجيل من بعده، فجمع له ذلك كله في القرآن الكريم، والفرقان في فاتحة الكتاب. ولذلك سمي أم الكتاب. قال تعالى: ﴿ **ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم** ﴾[1]. وهي سبع آيات، سميت مثاني لأن الله تعالى جمع الكتب كلها في اللوح المحفوظ، ثم أنزل منها على كل رسول ما علم أنه محتاج إليه هو وأمته، واستثنى فاتحة الكتاب من جميع ذلك، وخزنها لهذه الأمة. فجميع علم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان مستخرج من أم القرآن والقرآن مستخرج من أمه وسائر الكتب في القرآن.

قال (عليه السلام): «أوتيت السبع (يعني الطول) مكان التوراة، وأعطيت المثاني مكان الإنجيل، وأعطيت المتين مكان الزبور، وفضلت بالمفصل»[2].

فمن عمي قلبه عن الله، ولم يكن في قلبه نور الهداية، لم يبصر آثار النبوة على محمد ﷺ، وإنما يبصر منه شخصه وجثته. قال تعالى: ﴿ **وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون** ﴾[3].

ومن هداه الله تعالى لنوره فانفتح عين قلبه بذلك، واستقرت المعرفة

---

(١) سورة الحجر آية رقم ٨٧.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٤ : ١٠٧ ـــ ثنا سليمان بن داود أبو داود الطيالسي قال أنا عمران القطان عن قتادة عن أبي المليح الهذلي عن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: وذكره.

(٣) سورة الأعراف آية رقم ١٩٨.

في قلبه، أبصر منه شخص النبوة بارزاً من الحياة، والذكاء، واليقظة، والانقياد، والسرعة، والبراز، والسبق، والسماحة، والكرم، والسعة، والجود، والحياء، والسكينة، والوقار، والحلم. ومن الأفعال السواك، والحجامة، والتعطر، والجماع، ويرى على شخص النبوة شخص الرسالة فائقاً من الجلال، والبهاء، والنزاهة، والحلاوة، والطلاوة، والملاحة، والمهابة، والسلطان. وأصل هذا كله من اليقين والحب والحياة. وإنما نال المؤمنون من معرفة محمد ﷺ على قدر معرفتهم بالله وعلمهم به. فمن صدق محمداً ﷺ في الصحبة، كان صدق صحبته على قدر معرفته إياه وعلمه به. وعلى حسب ذلك كان يتراآى لبصر عينه في الظاهر ما عددنا من الخلال. فأوفرهم حظاً من نور الله أوفرهم علماً به وقدره وجلاله، وخطير منزلته. وأوفرهم علماً به أسرعهم إجابةً لدعوته، وأبذلهم نفساً ومالاً.

ألا ترى أن أبا بكر (رضي الله عنه) لما أفشى إليه رسول الله ﷺ أنه مبعوث صدقه على المكان، ولم يتردد ولم يضطرب. وقال علي (كرم الله وجهه) حتى أسأل أبي، ثم رجع عن الطريق وصدقه. وصدقه عمر بعد مدة وبعدما أسلم تسع وثلاثون نفساً، فتم بإسلامه عدد الأربعين بعد دعوة رسول الله ﷺ ليلة أسلم من الغد: «اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام». (يعني أبا جهل)[1]. فجرت الدعوة من عدو الله عمرو إلى محق الله عمر

---

(١) الحديث رواه الترمذي في المناقب باب ١٨ في مناقب عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ ٣٦٨١ عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. ورواه ابن ماجة في المقدمة ١٠٥ عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ وذكره.

في الزوائد: حديث عائشة ضعيف، فيه عبد الملك بن الماجشون ضعفه بعض، وذكره ابن حبان في الثقات، وفيه مسلم بن خالد الزنجي. قال البخاري: منكر الحديث، وضعفه أبو حاتم والنسائي وغيرهم ووثقه ابن معين وابن حبان.

(رضي الله عنه)، فسعد عمر (رضي الله عنه) وشقي عمرو، ودل اسماهما على حظيهما من الله تعالى، ومقدار الكائن من أمريهما لأن عمر (رضي الله عنه) أول اسمه مضموم مثقل. والمضموم الذي قد آواه الله وضمه إلى باله. وعمرو أول اسمه مفتوح مخفف. والمفتوح هو الذي أهمله الله تعالى وأخرجه من باله. فضمة أول اسم عمر (رضي الله عنه) دليل على أنه كان مضموماً إلى بال الله تعالى، فأعز الله تعالى به الإسلام عزاً حتى صار بمحل أن جاء جبريل (عليه السلام) فقال: يا محمد أقرئ عمر السلام، وأخبره أن غضبه عز، ورضاه حكم.

وفتحة أول الاسم في عمرو تدل على أنه خرج من بال الله تعالى، وقد انكشف الغطاء عن شأنه، فكانت كنيته في قريش أبا الحكم، فجرت كنيته في أهل الإسلام بأبي جهل، وعلى حسب خروجه من بال الله تعالى عظمت آفته على رسول الله ﷺ وعلى الإسلام، حتى قتله الله تعالى أذل قتلة، وقد أكرم الله رسوله (عليه السلام) وأبرز فضيلته وكرامته بأن جعل لكل نبي وزيراً، وجعل لمحمد ﷺ أربعة من الوزراء. فأبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) وزيرا الرسالة، وعثمان وعلي (رضي الله عنهما) وزيرا النبوة. ثم نحلهم من الحظوظ من عنده، فحظ أبي بكر (رضي الله عنه) منه العصمة والحياء، وحظ عمر (رضي الله عنه) الحق والوكالة، وحظ عثمان (رضي الله عنه) النور والحياء، وحظ علي (رضي الله عنه) الحرمة والخلة. فتفاوت أعمالهم في صحبتهم الرسول (عليه السلام) أيام الحياة، وفي سيرتهم في الأمة بعده على قدر حظوظهم. فلما أحس رسول الله ﷺ بالإرتحال إلى الله تعالى من الدنيا، وابتدئ له في وجعه، وعجز عن الخروج إلى الصلاة بالأمة، أمر أبا بكر (رضي الله عنه) بالصلاة، فاتفقت الأمة على أنه هو الذي ولي الصلاة.

وكان من صنع الله تعالى للأمة أن خفف الله عنه يوم قبض، فخرج

والمسلمون في صلاة الغداة ورجلاه يخطان الأرض، حتى جلس إلى جنب أبي بكر (رضي الله عنه) فصلى؛ ليعلم الجميع أنه رضي بذلك من فعله؛ لئلا يبقى لمعاند أو طاعن مقال أنه لم يأمر بذلك، أو أمره وهو مغلوب على عقله لشدة علته. فأظهر الله ذلك بما خفف عنه حتى خرج وقعد إلى جنبه، فصلى من حيث انتهى أبو بكر (رضي الله عنه). ثم صار المتأولون لذلك على صنفين: منهم من يقول: أبو بكر هو الإمام، وصلى رسول الله ﷺ بصلاته. ومنهم من قال: بل رسول الله ﷺ الإمام وأبو بكر المقتدي.

قال أنس (رضي الله عنه): آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ خلف أبي بكر.

وقال أبو بكر (رضي الله عنه): آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ خلفي في ثوب واحد.

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه. جاءه بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس. قلت: إن أبا بكر رجل أسيف، ومتى ما يقوم مقامك يبكي فلا يستطيع، فلو أمرت عمر يصلي بالناس. قال: مروا أبا بكر يصلي بالناس فانكن صواحبات يوسف[1]. قالت: فأرسلنا إلى أبي بكر، فخرج يصلي بالناس، فوجد النبي ﷺ من نفسه خفة فخرج وهو يهادي بين رجلين ورجلاه يخطان بالأرض، فلما أحس به أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه أن مكانك، فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب المناقب ٣٦٧٢ حدثنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ قال: وذكره، ورواه البخاري في كتاب الأنبياء ١٩ وصاحب الموطأ سفر ٨٣ والدارمي في المقدمة ١٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٦ : ٩٦، ١٠٩، ٢٠٢، ٢١٠ (حلبي).

إلى جنبه، فكان أبو بكر يأتم بالنبي (عليه السلام) والناس يأتمون بأبي بكر.

وروى عبدالله بن زمعة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: مروا مَنْ يصلي بالناس، فخرجت فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائباً، فقلت: يا عمر صل بالناس، فقام، فلما كبر، سمع صوته رسول الله ﷺ وكان رجلاً مجهراً، فقال: هذا صوت ابن الخطاب، فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون. فقال عمر: ويحك يا ابن زمعة ماذا صنعت بي؟ ما ظننت إذ قلت لي إلا ان رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليت بالناس. فقال: والله ما أمرني، ولكن لم أر أبا بكر فرأيتك أحق من حضر بالصلاة(١).

وحديث عائشة (رضي الله عنها) حيث قالت: إن أبا بكر (رضي الله عنه) يصلي. فصلاة رسول الله ﷺ محسبة منها. هكذا حسبت وهي في البيت.

وحديث أنس (رضي الله عنه) أصح؛ لأنه خارج مع رسول الله ﷺ على رأي العين، ولأنه روى أن أبا بكر (رضي الله عنه) ذهب ليتأخر، ولو كان رسول الله ﷺ هو الإمام، لكان لا يحبسه عن التأخر، وكان يقوم مقام الأئمة، ولأن أبا بكر (رضي الله عنه) قال: آخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ خلفي. وأبو بكر (رضي الله عنه) أعلم بهذه القصة من جميع الناس. فثبت أن أبا بكر (رضي الله عنه) هو الذي ولي الصلاة. والصلاة عماد الدين، وأول شيء فرضه الله تعالى يوم أوحى إليه. والصلاة إقبال الله تعالى على العبيد ليقبلوا إليه

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب السنة ٤٦٦٠ ــ عن محمد بن اسحاق قال: حدثني الزهري، حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام عن أبيه عن عبدالله بن زمعة قال: وذكره.

في صورة العبيد تذللاً بالوقوف، وتسلماً بالتكبير، وتبذلاً بالثناء والتلاوة، وتخضعاً بالركوع، وتخشعاً بالسجود، وترغبا بالجلوس، وتملقاً بالتشهد.

وقال (عليه السلام): الصلاة عماد الدين[1]. وقال (عليه السلام): الصلاة نور[2]. وقال (عليه السلام): إن الله تعالى جعل قرة عيني في الصلاة[3].

فأبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) لهما وزارة الرسالة، وحاجة الخلق إلى الرسالة أمسُّ. ولذلك قال رسول الله ﷺ: اقتدوا بالذين من بعدي أبو بكر وعمر[4].

فالحاجة إلى الاقتداء بالرسالة آكد. ولذلك أمر رسول الله ﷺ بما عليه مدار الدين أبا بكر (رضي الله عنه) أن يتقدم ليتبعه الأمة ويقتدي. فلما رأى أبو بكر (رضي الله عنه) قوة ما أعطي من تقلده لضمان الصلاة عن الله تعالى لعبيده وعن العبيد لله تعالى، ثم عن الله

---

(١) الحديث أخرجه الامام الترمذي في كتاب الايمان ٨ بلفظ (رأس الأمر كله الاسلام وعموده الصلاة) وأحمد بن حنبل في المسند ٥: ٢٣١، ٢٣٧ (حلبي)

(٢) الحديث أخرجه الامام مسلم بسنده في كتاب الطهارة ١ — ٢٢٣ — بسنده عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله — ﷺ وذكره.

ورواه الترمذي في الدعوات ٨٥ والنسائي في الزكاة ١ وابن ماجة في الطهارة ٥ والزهد ٢٢ والدارمي في الوضوء ٢ واحمد بن حنبل في المسند ٥: ٣٤٢ — ٣٤٤ (حلبي).

(٣) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٣: ١٢٨ — ثنا أبو عبيدة عن سلام أبي المنذر عن ثابت عن أنس ان النبي — ﷺ قال: وذكره.

(٤) الحديث أخرجه الامام الترمذي في كتاب المناقب باب ١٦ حدثنا سفيان بن عيينه عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة قال: قال رسول الله — ﷺ — وذكره قال الترمذي: هذا حديث حسن.

ورواه ابن ماجة.

تعالى للعبيد في مرض الرسول ﷺ أحس بالتأييد من الله تعالى بعد وفاته (عليه السلام) أن الله تعالى مؤيده فيما دون الصلاة من أمور الشريعة، وتقلد خلافة رسول الله ﷺ لأمته. ولذلك قالت المهاجرون والأنصار (رضي الله عنهم) في وقت المشورة: قدمك رسول الله ﷺ فمن يؤخرك؟ فبايعوه.

ومما يحقق أنهما وزيرا الرسالة ما روى أبو أمامة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: إني رأيتني أدخلت الجنة، فلما خرجت منها أتيت بكفة فوضعت، ووضعت أمتي في الكفة الأخرى، فرجحت بأمتي، ثم رفعت، ثم جيء بأبي بكر فوضع في كفة الميزان، وجيء بأمتي فوضعت في الكفة الأخرى، فرجح بها. ثم رفع أبو بكر وجيء بعمر، فوضع في كفة الميزان، ثم جيء بأمتي فوضعت في الكفة الأخرى، فرجح بها، ثم رفع الميزان إلى السماء(١).

وفي رواية سفينة مولى أم سلمة (رضي الله عنهما): خلافة النبوة ثلاثون عاماً، ثم يكون ملكاً(٢). فقال سفينة: أمسك سنتي أبي بكر، وعشر عمر، وثنتي عشر عثمان، وست علي.

---

(١) الحديث أخرجه الامام أحمد في المسند: ثنا الهذيل بن ميمون الكوفي الجعفي كان يجلس في مسجد المدينة يعني مدينة أبي جعفر قال عبد الله هنا شيخ قديم كوفي عن مطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره في المقدمة ١١ وأحمد بن حنبل في المسند ٥: ٣٨٢ (حلبي)

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الفتن ٢٢٢٦ بسنده عن سعيد ابن جهمان قال: حدثني سفينة قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ وذكره. قال الترمذي: وهذا حديث حسن قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان ولا نعرفه إلا منه ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٤: ٢٧٣ وأبو داود في السنن ٨.

فمضى أبو بكر محموداً بنعمة الله تعالى عليه في الخلافة. ثم نظر بحظه من الله تعالى، وبما وجد من تأييد الله تعالى بعد الرسول (عليه السلام) نظراً شافياً لحق الله ثم لنفسه، فلم ير أحداً أحق بأن يخلف خلافة رسول الله ﷺ من عمر (رضي الله عنه). وقد كان المهاجرون والأنصار حوله، فاختار منهم عمر (رضي الله عنه)، ورأى الحق له حتى جادلوه، فقالوا له: استخلفت علينا فظاً غليظاً فماذا تقول لربك؟ قال: أتهددوني وتخوفوني بربي، أقول استخلفت عليهم يا رب خير أهلك فمضى بسبيله وولي الأمر عمر من بعده، فحقق فراسة أبي بكر (رضي الله عنه) وإلهامه، ووطأ الإسلام ومهده وزينه وأعزه.

وقال فيه النبي ﷺ: ما من أمة إلا ولها محدث، فإن يك في أمتي فعمر منهم[1]. وقال (عليه السلام): إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه[2].

وقال أيضاً (عليه السلام): الحق بعدي مع عمر حيث كان.

وقال (عليه السلام): لو كان بعدي نبي لكان عمر .

قد امتثل أبو بكر (رضي الله عنه) هذه الأشياء مع إلهامه وفراسته فاستخلفه، ففتح الله الفتوح على يده، ومصر الأمصار، ودرَّ الأرزاق، وبث السرايا وجنود الله في نواحي أقطار الأرض، حتى تمهد الإسلام

---

(١) الحديث أخرجه الامام مسلم في فضائل الصحابة ٢٣ (٢٣٩٨) عن ابراهيم بن سعد عن أبيه سعد بن ابراهيم عن أبي سلمة عن عائشة عن النبي — ﷺ — أنه كان يقول وذكره.
ورواه الامام البخاري في فضائل الصحابة ٦ وفي الأنبياء ٤٥ والترمذي في المناقب ١٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٦: ٥٥ (حلبي).

(٢) الحديث رواه أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار رجال الصحيح غير الجهم بن أبي الجهم وهو ثقة ذكره صاحب مجمع الزوائد في باب: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه

في الوطن الذي منه بدا، ثم أكرمه الله تعالى بالشهادة، ففوض ذلك إلى ستة نفر أزكن فيهم الخير وأحسن بهم الظن، ولو وجد فيهم مساغاً للفراسة أو حظاً من الإلهام لنصه باسمه، ولكنه انسد عليه باب الفراسة وانقطع حظ الإلهام، فرأى التفويض إلى هؤلاء خيراً من إهمال أمر الأمة، فقبض إلى الله، وترك الأمر شورى بينهم، فاختاروا من بينهم واحداً بعد الاحتياط والتأني والتشاور، وافتقدت الأمة وزارة الرسالة، وحضرت نوبة وزارة النبوة، فاتفق أمر الستة على أحد وزيري النبوة، إذ لم يبق منهم من الأربعة إلا هذين عثمان وعلي (رضي الله عنهما)، فلم يزالوا يستخيرون الله تعالى حتى اتفقوا على عثمان (رضي الله عنه)، ثم أقبلت الدنيا وجاء كفران النعمة، وهاجت الفتنة، وعز اليقين، وأدبر الحق راجعاً إلى الله تعالى عند إقبال الدنيا، وذهبت حياة القلوب لكفران النعمة وتبديل الأمور وغلبة الهوى، حتى قتل عثمان (رضي الله عنه)، وجاءت نوبة علي (كرم الله وجهه)، والزمان بتلك الحال. فلم يبق لوزارة النبوة من القوة ما يقوم مقام أبي بكر ولا عمر (رضي الله عنهما). بايعوا أبا بكر (رضي الله عنه)، وسلوا على أهل الردة سيوفهم فلم يغمدوها، ولم يخذلوه، ولم ينكثوا البيعة، وبقي السيف مسلولاً إلى انقضاء وزارة الرسالة بموت عمر (رضي الله عنه)، وبايعوا علياً (كرم الله وجهه) في وقته، ثم نكثوا بيعته وسلوا السيوف عليه، وآخرون بايعوه وسلوا السيوف له، ثم خرجوا عليه مارقين، وآخرون بايعوه وسلوا السيوف له وهم أهل الكوفة، ثم خذلوه، وآخرون امتنعوا من بيعته وأبوا خلافته وحاربوه. ولو كانت له وزارة الرسالة لصارت القلوب كلها له كقلب واحد، وكانت الفئة القليلة المستضعفة يغلبون الفئة الكثيرة كما كان في زمن أبي بكر (رضي الله عنه). ومن لحظ إلى علي (رضي الله عنه) بالقرابة والختونة ومعاني ليس في هذا الأمر من شيء، إنما هذا أمر الرسالة، وإنما يقوم بها القائم، ويقوى بها بحظه من الله الذي ضمن حشو الرسالة.

وأما القرابة والميراث ومقالات جاءت عن رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»(1). فلعلي (رضي الله عنه) من الفضائل والمناقب ما يستحق أن يوالي من والاه، ويعادي من عاداه، وليس في ذلك ما يثبت له الخلافة ويقدم على أبي بكر (رضي الله عنه).

قال فضيل بن مرزوق: سألت عمران بن علي: هل فيكم إنسان مفترض طاعته تعرفون له ذلك، ومن لم يعرفه فمات مات ميتة جاهلية؟ قال: لا والله، ما هذا فينا، فهو كذاب. قلت له: إن ناساً يقولون: ان رسول الله ﷺ أوصى إلى علي (رضي الله عنه)، وان علياً (رضي الله عنه) أوصى إلى الحسن (رضي الله عنه)، وأن الحسن أوصى إلى الحسين (رضي الله عنهما)، وأن الحسين أوصى إلى علي ابن الحسين. فقال: والله لما مات أبي وما أوصى بحرفين، وان هؤلاء لمتأكلون بنا.

قال: وسمعت الحسن بن الحسين أخا عبدالله بن الحسين (رضي الله عنهم) وهو يقول لرجل ممن يغلوا فيهم: ويحكم أحبونا في الله. فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فابغضونا. فقال الرجل: إنكم لذو قرابة من رسول الله ﷺ. فقال: والله لو كان الله نافعاً بقرابة منه لنفع بذلك أقرب منه أباه وأمه، والله إني لأخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين كما يؤتي المحسن منا أجره مرتين.

ولو كان الأمر على ما يقولون أن رسول الله ﷺ أوصى إلى علي وأمره بالقيام بالأمر بعده ثم ترك على ما أمره رسول الله ﷺ، لكان علي في ذلك أعظم الناس خطيئة وجرماً، إذ ترك ما أمره رسول الله

---

(1) رواه الطبراني، وأحمد والضياء في المختارة عن زيد بن أرقم وعلي وثلاثين من الصحابة بلفظ: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه فالحديث متواتر أو مشهور.

ﷺ. فقال له الرافضي(١): ألم يقل رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»؟ فقال: والله لوعنى به الامرة والسلطان لأفصح لهم كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة، فقال: هذا ولي أمركم من بعدي. فما كان وراء هذا فإن أنصح الناس للناس كان رسول الله ﷺ.

وعن زيد بن علي قال لبعضهم: ويلك من يخاف رسول الله ﷺ حتى تعرض بالخلافة.

فهؤلاء الغلاة قد تعلقوا بمثل هذه الأشياء حتى خرجوا إلى شتم وزيري رسول الله ﷺ ونسبوهما إلى الاغتصاب لحق الله تعالى.

قال ﷺ: «إن لي وزيرين من أهل السماء، ووزيرين من أهل الأرض. فوزيريَّ من أهل السماء جبرئيل وميكائيل (عليهما السلام)، ووزيريَّ من أهل الأرض أبو بكر وعمر»(٢).

وخرج (عليه السلام) ويمينه على أبي بكر وشماله على عمر، فقال: هكذا نبعث يوم القيامة(٣).

---

(١) الروافض الذين كانوا مع زيد بن علي ثم رفضوه لأنهم طلبوا اليه أن يتبرأ من الشيخين فقال: لقد كانا وزيري جدي فلا اتبرأ منهما فرفضوه وتفرقوا عنه. وقد يطلق اسم الرفض على كل من يتولى أهل البيت وعلى هذا قال الشاعر:

إن كان رفضاً حب آل محمد   فليشهد الثقلان اني رافض

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب المناقب ٣٦٨٠ عن أبي الجحاف عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ وذكره. قال الترمذي: هذا حديث غريب وأبو الجحاف اسمه داود بن أبي عوف.

(٣) الحديث رواه الترمذي في كتاب المناقب ٣٦٦٩ حدثنا سعيد بن مسلمة عن اسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر ان رسول الله ــ ﷺ ــ خرج ذات يوم ودخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله. وذكره.

وقال (عليه السلام): أحشر أنا وأبو بكر وعمر ونحن مشرفون على الناس هكذا. وأشار بأصابعه الثلاث. وكان سبابته أطول من الوسطى[1].

وعن أسيد بن صفوان (رضي الله عنه) قال: لما قبض أبو بكر ارتجت المدينة بالبكاء كيوم قبض رسول الله ﷺ فسجوه، وجاء علي (رضي الله عنه) باكياً مسرعاً مسترجعاً، وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة. حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر مسجى فقال:

رحمك الله يا أبا بكر، كنت إلف رسول الله وأنيسه، وثقته وموضع سره ومشاورته، كنت أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأخوفهم لله، وأعظمهم عناء في دين الله، وأحوطهم على رسول الله ﷺ، وأجدّ بهم على الإسلام، وأيمنهم على أصحابه، وأحسنهم صحبة، وأكثرهم مناقب، وأفضلهم سوالف، وأرفعهم درجة، وأقربهم وسيلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هدياً وسمتاً ورحمة وفضلاً وخلقاً، وأشرفهم منزلة، وأكرمهم عليه، وأوثقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله ﷺ والمسلمين خيراً.

كنت عنده بمنزلة السمع والبصر، صدقت رسول الله حين كذبه الناس، فسماك الله في التنزيل صديقاً، فقال: ﴿ **والذي جاء بالصدق وصدق به..** ﴾[2] وآسيته حين بخلوا، وقمت معه عند المكاره حين قعدوا، وصحبته في الشدة أحسن الصحبة ثاني اثنين وصاحبه في الغار، والمنزل عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة، خلفته في دين الله، وأمته أحسن الخلافة حين ارتد الناس.

وقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، نهضت حين وهن أصحابك،

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

(٢) سورة الزمر آية رقم ٣٣.

وبرزت حين استكانوا، وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسوله إذ وهنوا.

كنت خليفته حقاً، لم تنازع ولم تصدع برغم المنافقين، وكبت الكافرين، وكره الكارهين، وصغر الفاسقين، وغيظ الباغين.

قمت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تتعتعوا، مضيت بنور إذ وقفوا، فاتبعوك فهدوا.

كنت أخضعهم صوتاً، وأعلاهم فوقاً، أقلهم كلاماً وأصوبهم منطقاً، أطولهم صمتاً وأبلغهم قولاً، أكبرهم رأياً وأشجعهم نفساً، وأعرفهم بالأمور، وأشرفهم عملاً.

كنت والله في الدين يعسوباً[1] أولاً حين نفر الناس عنه وآخراً حين قفلوا، كنت للمؤمنين أباً رحيماً إذ صاروا عليك عيالاً، فحملت أثقال ما ضعفوا، ورعيت ما أهملوا، وحفظت ما أضاعوا، لعلمك ما جهلوا، فشمرت إذ خنعوا، وعلوت إذ هلعوا، وصبرت إذ جزعوا، فأدركت أوتار ما طلبوا، وراجعوا رشدهم برأيك، فظفروا ونالوا بك ما لم يحتسبوا.

كنت على الكافرين عذاباً صبيباً ونهباً، وللمؤمنين رحمة وإنساً وحصناً، فطرت والله بفنائها، وفزت بحبائها، وذهبت بفضائلها، وأدركت سوابقها، لم تغلل حجتك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك، ولم يزغ قلبك ولم يخف.

كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزيله القواصف، وكنت كما قال رسول الله ﷺ أأمنّ الناس عليه في صحبتك وذات يدك، وكما

---

(١) العسب: بوزن العَذْب كراء ضراب الفحل، وعسْب الفحل أيضاً ضرابه وقيل ماؤه، واليعسوب بوزن اليعقوب ملك النحل.

قال ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، جليلاً في أعين المؤمنين، كبيراً في أنفسهم، لم يكن لأحد فيك مغمز، ولا لقائل مهمز، ولا لأحد مطمع، ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ له بحقه، والقوي العزيز عندك ضعيف حتى تأخذ منه الحق، القريب والبعيد عندك في ذلك سواء، أقرب الناس إليك أطوعهم لله وأتقاهم له، شأنك الحق والرفق والصدق، قولك حكم وحتم، وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، فأقلعت وقد نهج السبيل، وسهل العسير، وأطفئت النيران، واعتدل بك الدين، وقوي الإيمان، وثبت الإسلام والمسلمون، وظهر أمر الله ولو كره الكافرون، فجليت عنهم فأبصروا، وسبقت والله سبقاً بعيداً، واتعبت من بعدك اتعاباً شديداً، وفزت بالخير فوزاً مبيناً، فجللت عن البكاء، وعظمت رزيتك في السماء، وهدت مصيبتك الأنام، فانا لله وإنا إليه راجعون.

رضينا بقضاء الله، وسلمنا له أمره، فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله بمثلك أبداً، كنت للدين عزاً وحرزاً وكهفاً، فالحقك الله بنبيه، وجمع بينه وبينك، ولا حرمنا الله أجرك، ولا أضلنا بعدك، فانا لله وإنا إليه راجعون.

قال: وسكت القوم حتى انقضى كلامه، فبكى أصحاب رسول الله ﷺ حتى علت أصواتهم، فقالوا: صدقت يا ختن رسول الله ﷺ.

قوله: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» وفر الله تعالى حظ الرسول (عليه السلام) وأمته على الرسل كلهم وعلى سائر الأمم. فحيث ما انتصبوا لله قياماً كان لهم من النور ما يتهيأ لهم الإقبال على الله، وأقبل الله عليهم، فطهرت لهم بقاع الأرضين.

وقوله: «وطهوراً» إذا لم يجدوا الماء الذي جعله الله طهوراً للخلق،

وتعذر عليهم وجوده أمرهم أن يتطهروا من أحداثهم بالصعيد الطيب، وهو التراب الذي يصعدونها ويمشون عليها، فجعل ما تحت أقدامهم طهوراً لهم إذا لم يجدوا ما فوق رؤوسهم من الماء، وهو ماء الحياة الراكد تحت العرش الذي خلقه الله حياة لكل شيء. قال تعالى: ﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حيّ** ﴾[1].

فمنه حياة القلوب والأرواح، ومنه يحيون في قبورهم يوم النشور، وإذا دخلوا الجنة يغتسلون به حتى يكون ذلك لهم طهوراً من الذنوب والأدران. ومن شرب منه زايلهم كل أذى في أجوافهم، وصفت ألوانهم، وجرت النضرة في أجسادهم ووجوههم، وأمنوا الموت لقوة الحياة التي في ذلك الماء. وقد جعل الله تعالى أرزاق الخلق من ذلك الماء يقدر في ليلة القدر، وهي ليلة يحكم أرزاق جميع المرتزقة من خلقه في تلك الليلة إلى مثلها من قابل. فاذا نفذ ذلك البحر نفخ في الصور، وذلك قوله تعالى: ﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون** ﴾[2].

وأنزل الله تعالى هذا الماء وسماه طهوراً، فإن الشيطان بنجاسته ورجاسته قد وجد السبيل إلى الولوج في جوف ابن آدم، وبدء ذلك كان حين أكل آدم (عليه السلام) من الشجرة التي أشار العدو إليه بأكله، فجعل العدو السبيل إلى المعدة، فجعل له هناك موطناً، فلذلك نتن ما في جوفه حين أخرج من الجنة لرجاسة العدو ونجاسته، ثم ورث ذلك ولده، فأمر آدم وولده بالوضوء لذلك، وأعلمهم أن هذا الماء طهور لهم، يطهرهم من الآفات الظاهرة والباطنة. فالظاهرة ما يخرج من الآدمي من البول والغائط. فانه بلغ من عداوته أن جُعِلَ في ذلك الموطن الذي صير له منك معدناً وهو مجمع الطعام. فإذا انطبخ صار روثاً ودماً، والدم غذاؤه، وموضع الروث منك مجلسه.

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ٣٠.

(٢) سورة الذاريات آية رقم ٢٢.

وبلغ من عداوته أنه ينفخ عليك. فإذا خرج منك الصوت، هيج الضحك من الطحال. فإن الطحال بيته، ومنه يتسخط الآدمي في أموره، وفيه مجمع نفاية البدن من كدورة الدم وغيره. وذاك الضحك الذي يهيج منك وممن سمعه من الناس، وهو سخرية منه وشماته، يريد أن يعلمك أني ههنا ليصغرك عند نفسك، ويريك في باطنك ما يستر عنك ليفسد منن الله تعالى عليك في جسدك الذي خلقه لك. وقال تعالى: ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾[1].

فهذا العدو يحسدك في كل شيء، ويصيبك منه آفاته ساعة فساعة من همزه ونفخه ونفثه ونزغته. ولذلك أمر النبي ﷺ بالتعوذ منه فقال تعالى: ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين**[2] **وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾.

وقال تعالى: ﴿ **فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ **قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس...** ﴾[4].

فهل أمر أن يتعوذ منه إلا من تتابع الآفات وتواليها، فجعل هذا الماء طهوراً من هذه الآفات التي تعتوره من هذا العدو الذي لا يفارقه. وذلك قوله (عليه السلام): «ما من أحد من الآدميين إلا وله قرين من الشيطان موكل به» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»[5].

---

(١) سورة التين آية رقم ٤.

(٢) سورة المؤمنون آية رقم ٩٧.

(٣) سورة الأعراف آية رقم ٢٠٠.

(٤) سورة الناس آية رقم ١ ـــ ٥.

(٥) الحديث أخرجه الامام مسلم في كتاب صفات المنافقين ٦٩ـ(٢٨١٤) =

ووسواس هذا العدو ونزغاته وهمزاته ونفثاته تطمس وجه القلب وتذهب بحياته. وذهاب حياة القلب يوهن عقد الإيمان، ويرخي عراه، ويخمد توقده، فيجد العدو سبيلاً إلى إهاجة النفس شهواتها وخدايعها وأمانيها واغترارها. فإذا هاجت النفس، هاجت رياح الهوى فنسفت النفس والقلب والأركان فرمته في أبآر المعاصي إلا فيمن دخل في مأمن الله وحرزه ووكالته ومعاقله. فجعل الله تعالى هذا الماء طهوراً للمؤمنين من آفاته الظاهرة والباطنة. فأما في الظاهرة فليطهر جوارحه من تلك الأحداث التي جرت عليها، وفي الباطن يرد عليه ما ذهب من حياة القلب. قال تعالى: ﴿ **لنحيي به بلدة ميتا...** ﴾[١].

فالبلدة في الظاهر هي الأرض التي إذا وصل إليها ذلك الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. والبلدة في الباطن القلوب تخلص إليها آفات العدو فتموت عن الله فيحييها الله بذلك الوضوء.

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى: ﴿ **إعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها** ﴾[٢] يلين القلوب من بعد قسوتها.

وقوله (عليه السلام): «لن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[٣]،

= عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ وذكره. ورواه الامام أحمد في المسند ١: ٣٨٥ (حلبي)

(١) سورة الفرقان آية رقم ٤٩.

(٢) سورة الحديد آية رقم ١٧.

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب الطهارة ٤ باب المحافظة على الوضوء ٢٧٧ عن سفيان عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة وذكره.

في الزوائد: رجال اسناده ثقات اثبات إلا ان فيه انقطاعاً بين سالم وثوبان ولكن أخرجه الدارمي في الوضوء ٢ وابن حبان في صحيحة من طريق ثوبان متصلاً.

وقوله (عليه السلام) لأنس (رضي الله عنه): «يا بني إن استطعت أن لا تزال على وضوء فافعل. فانه من أتاه الموت وهو على وضوء أعطي الشهادة ».

والمؤمن البالغ إيمانه إذا أحدث لم يقدر أن يدوم على حدثه ولا يطمئن حتى يتوضأ، فيكون أبداً على الوضوء، لأن قلبه في وقت الحدث يفتقد نزاهة الإيمان وطيبه ووسواسه، يصير عامله على القلب، فانطفأ بعض توقد ناره. فإذا توضأ، عاد إلى الحالة الأولى. فإذا لم يجد الماء، صار الصعيد لهم طهوراً بدل الماء لهذه الأمة خاصة، لأن الأرض لما أحست بمولود محمد ﷺ وبظهوره من بطن أمه، انبسطت وتمددت وتطاولت، ولبست ثياب الدالة، وافتخرت على السموات وسائر الخلق بأنه مني خلق، وعلى ظهري تأتيه كرامات الله تعالى، وعلى متني يتقلب نبياً يعبد ربه، وعلى بقاعي تسجد جبهته، وفي خلال أوديتي يتنزل كلام الله ووحيه البارز على الكتب كلها، وفي بطني مدفنه، وأنا الذي أتضمن جسده، وعلى ظهري يكون خاصة الله من أمته وورثة ميراثه، فجرت الأرض رداء فخرها، فجعل ترابها طهوراً لأمته. فبالأرض يتطهرون، وينتصبون بها بين يدي الله تعالى. فحيثما ضربوا بأقدامهم بين يدي الله تعالى صارت الأرض من تحت أقدامهم مسجداً.

قالت عائشة (رضي الله عنها): يا رسول الله إنك إذا دخلت، صليت في مواضع من البيت، أفلا نهيِّئ لك موضعاً تصلي فيه؟ فقال: يا عائشة أما علمت أن المؤمن إذا وضع جبينه لله، طهرت تلك البقعة إلى سبع أرضين.

وإنما صار التيمم لهذه الأمة عوضاً عن الوضوء بالماء دون سائر الأمم، لأنه بمجيء محمد ﷺ طهرت الأرض. فلما جاء بالتيمم إلى الأمة قبلوه. فحيثما مدوا أيديهم إلى بقعة صار ذلك التراب طاهراً

بمد أيديهم، وزايلته أنجاس الشرك والمعاصي التي عليها. وإنما صارت طاهرة بمد أيديهم على ذلك القبول الذي قبلوه عن الله تعالى، قاصداً بالقلب التطهر، قابلاً لما جاء به الهدية وهو محمد (عليه السلام) من المهدي هذه العطية. والتيمم كالطرفة والتحفة يتحف بها الملك عبده، يريد به لطفه وبره، فيطهر ذلك التراب بمد اليد إليه وقبوله للهدية وهو محمد ﷺ صار يطهر ما جاء به تراب الأرض طهوراً كطهور الماء الذي أنزله الله من بحر الحياة. قال تعالى: ﴿ **وإن كنتم جنباً فاطهروا** ﴾[1]. ثم قال: ﴿ **فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون** ﴾[2].

وقولنا: إن رسول الله ﷺ هو الهدية صحيح. فإنه قال (عليه السلام): «بعثت إليكم وإنما أنا رحمة مهداة»[3].

فهو من الله لنا هدية. والرسل قبله بعثوا على الأمم حجة وعطية. والهدية ليست كالعطية. فمن قبل العطية بورك له. ومن لم يقبل تأكدت الحجة عليه وعوجل بالعقوبة. ورسولنا ﷺ كان عطية وهدية. فمن قبل محمداً ﷺ عطية وهدية، سعد ورشد وصار سابقاً ومقرباً. ومن قبل عطية ولم يفطن للهدية، سعد ولم يصب ثمرة الرشد، ونجا بالسعادة. ومن أباه وكفر النعمة وجحدها كان حظه من السعادة النجاة من عقوبات الأمم التي عوجلوا بها في الدنيا، فسعدوا بهذا القدر وتأخر عنهم العذاب إلى يوم القيامة. والأولون عوجلوا بالعقوبة في الدنيا إلى أن ألحقوا بعذاب الآخرة. فمن قبل محمد عطية وهديه، إجتباه الله. ومن قبله

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٦.

(٢) سورة المائدة آية رقم ٦.

(٣) رواه البخاري في التاريخ عن أبي هريرة، وكذا في الأدب المفرد عنه بلفظ: إني لم أبعث لعان، وإنما بعثت رحمة.

عطية هداه الله إليه بالإنابة. وذلك قوله تعالى: ﴿ **الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب** ﴾[1].

والعطية من الرحمة، والهدية من المحبة. فمن رق لعبده ورحمه إذا رآه في بؤس أو ضعف، قواه وجبره بما يذهب ضعفه وبؤسه. فهذه عطية من الرحمة. ومن أحب عبده، أهدى إليه خلعاً وحملاناً يريد بذلك أن يختصه ويستميل قلبه، ولذلك سميت هدية لاستمالة القلب به. فالرسل إلى الخلق عطايا من ربنا سبحانه وتعالى، رحمهم فبعثهم إليهم ليهديهم، ويذهب عنهم بؤس فقر الكفر، ويجبر كسيرهم، وربنا (عز وجل) قد رحمنا فبعث إلينا محمداً ﷺ عطية وهدية، فجعل الإيمان والإسلام في العطية، وحكمة الإيمان والإسلام في الهدية. وذلك قوله تعالى: ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم...** ﴾[2] إلى أن قال: ﴿ **ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة** ﴾[3].

فحكمة الإيمان والإسلام هدية لهذه الأمة بمبعث محمد ﷺ خاصة فضلاً على الأمم. والهدية كنوز المعرفة من خزائن السموات احتظى بها هذه الأمة حتى صاروا موصوفين في التوراة صفوة الرحمن، وفي الإنجيل حكماء علماء أبراراً أتقياء، كأنهم من الفقه أنبياء. وقال تعالى: ﴿ **قل إن الهدى هدى الله...** ﴾ الآية[4].

وقال ﷺ: «ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت أمتي»[5].

فإنما صير محمداً ﷺ لنا ليهدينا إلى أعالي درجات الدنيا عبودة،

---

(١) سورة الشورى آية رقم ١٣.

(٢)، (٣) سورة الجمعة آية رقم ٢.

(٤) سورة آل عمران آية رقم ٧٣.

(٥) سبق تخريج هذا الحديث في الجزء الثاني ورواه السيوطي في الجامع الصغير وأشار على الحديث بالضعف

لنكون غداً في أعالي درجات الجنة بالقرب من رسولنا، لتقر عينه ﷺ بنا.

وقوله: «نصرت بالرعب» أصله من فورة سلطان الله تعالى من باب النار. فإذا جعل نصرته من الرعب، فقد أعطي جنداً لا يقاومه أحد. ولم يعط أحد من الرسل ذلك. فكان أين ما ذكر من مسيرة شهر وقع ذلك الرعب في قلب عدوه فذل بمكانه.

وقوله: «أحلت لي الغنائم» كانت الغنائم نجسة لأنها أخذت من العدو، وملك العدو كله نجس. ألا يرى أن الله ذكر حلي آل فرعون فقال: ﴿ **أوزاراً من زينة القوم** ﴾[1].

فكانت لا تحل لهم لنجاستها، فكانوا يضعونها، فتجيء نار من السماء فتأكلها. وكان هارون (عليه السلام) أمرهم أن يقذفوا ما في أيديهم من تلك الحلى التي استعاروها من آل فرعون، وقال لهم: تطهروا. فرموا بها، فجمعها السامري، فاتخذها عجلاً، وقذف فيها التراب الذي كان رفعه من حافر فرس جبرئيل، فرس الحياة للفتنة التي كتب الله عليهم بلوى بها. فذلك قوله تعالى: ﴿ **ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم** ﴾[2] تسمى أوزاراً لنجاستها. وأحلت لي الغنائم لهذه الأمة. قال تعالى: ﴿ **فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً** ﴾[3] لمحمد وأمته لأنهم ضربوا السيوف بحرارة حمية حب الله وزايلها رجاسة الكفر وأهله، لأن حرارة الحب تقطع علائق النفس وتحرق أسبابها.

وعلائق النفس من أسباب الشرك. وسائر الأمم لم يعطوا هذا، فلم تطب لهم الغنائم، ولم تزل رجاسة أهل الكفر منها، فلم تحل لهم،

---

(١) سورة طه آية رقم ٨٧.

(٢) سورة طه آية رقم ٨٧.

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٦٩.

لأن بني إسرائيل قاتلوا على الديار والأرضين التي كانت لآبائهم. قاتلوا عليها ليردوها إلى ملكهم. وأنبياؤهم بعثوا للدعوة إلى الله تعالى. ونبينا ﷺ بعث للتوبة والملحمة، يعني إن لم يتوبوا لحموا بالسيوف. قال ﷺ: «أنا نبي التوبة وأنا نبي الملحمة»[1].

ومعنى ذلك أني بعثت إلى الأمة بأن أدعو إلى لا إله إلا الله. فان أجابت وإلا أمهلهم حتى يتوبوا. وللتوبة انتظار ومدة. والعذاب مأمون فيهم يتقلبون في الشرك مع المدة. فإن تابوا، قبل الله ذلك منهم بأن جعلني نبي التوبة. ومن تمادى في ذلك، لحمت أجسادهم بالسيوف. فكما صارت الغنائم طيبة من رجاسة الكفر، فكذلك طابت الأرض من رجاسة الكفر والمعاصي بما جاء به محمد ﷺ من الأنوار القدسية فصارت لهم مسجداً وطهوراً، وطابت أيضاً بليلة القدر ومشاهدة الرب أهل الأرض بالقربة. وكانت المشاهدة للنبيين على أجسادهم، وأعطيت هذه الأمة على أرضها حتى يراها من سبقت له الحسنى من الله بعينه أشواق المشاهدة.

وقال (عليه السلام): «هذه ليلة كشف غطاؤها» .

وقال علي (رضي الله عنه): استأذنت ملائكة الروح في النزول إلى الأرض طمعاً أن ينالوا ما لم يكن عندهم في مقاومهم.

قال الله تعالى: ﴿**تنزل الملائكة والروح...**﴾[2]

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٤: ٣٩٥ ثنا وكيع عن المسعودي ويزيد قال أنبأنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن ابي عبيدة عن أبي موسى الأشعري قال: سمى لنا رسول الله ــ ﷺ ــ نفسه أسماء منها ما حفظنا فقال: وذكره وفيه زيادة [انا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبي الرحمة قال يزيد: ونبي التوبة ونبي الملحمة].

(٢) سورة القدر آية رقم ٤.

وقال ﷺ: «لا يرمي في تلك الليلة بنجم ولا يحدث فيها داء»[1] لأن الشياطين قد اختنست من أجل المشاهدة، والخلق في مأمن من مشاهدة السلام. فهذا كله لهذه الأمة.

وقوله: «أعطيت الشفاعة» فإن تلك دعوة كانت لكل نبي، فتعجلتها الأنبياء في الدنيا، وأخرها محمد ﷺ ذخراً لأمته، ونصيحة لله في عباده، فاستوجب بنصيحة الله وبرأفته على عبيده أن وضع دعوته في محل التربية حتى تربو وتتضاعف حتى تخرج له يوم القيامة تلك الدعوة بهيجة، يحتاج الخلق كلهم إليها، حتى إبراهيم خليل الله (عليه السلام).

قال ﷺ: لما أتاني جبرئيل بهذه الدعوة، قلت: إني ادخرتها لأمتي. فيحتاج الخلق كلهم إليّ في هذه. حتى إبراهيم خليل الله (عليه السلام).

(١) لعل الأثر من الآثار التي تفرد بها صاحب النوادر في نوادره

الأصل المائتان والأربعون

في فضل الأمانة

عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له. ولا دين لمن لا عهد له»(١).

الإيمان عش الأمانة. والأمانة في جوفه كالفرخ الذي يتفقأ عن البيضة. ووكل العباد بتربيتها كما يربي الطير فرخه في عشه ويزقه ويغدو في طلب تربيته حتى ينقل إليه من أقطار الأرضين ويكتنفه، ويذب عنه ويقاتل من يرومه في عشه تحنناً عليه وشفقة وصيانة، حتى ينبت له جناح، ويطير معه. فكذا المؤمن موكل بحفظ الأمانة وقد قبلها مع قبول الإيمان، ولم يتم له الإيمان إلا بقبول الأمانة، وكانت مستورة فأحب الله أن يبرزها حتى يقبلها آدم (عليه السلام) ظاهراً، فمثلها له درة بيضاء، وجعلها مستورة في جوفه، فعرضت على السموات والأرض والجبال فهبنها وأشفقن منها لأنه انكشف الغطاء عن ذلك لهن، وستر عن آدم (عليه السلام) لطفاً من الله حتى قبلها لتحرك ما في قلبه من الإيمان، فلم يملك أن أسرع إلى القبول مقتدراً فابتلي باقتداره،

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٣: ١٣٥ ثنا بهز ثنا أبو هلال ثنا قتادة عن أنس بن مالك قال: خطبنا نبي الله — ﷺ — فقال: وذكره.

فسمي ظلوماً، لقبوله على الاقتدار، جهولاً بما في باطن تلك الدرة، فوضعها على العاتق، فألزمها عنقه كطوق العبيد، وذلت لله رقبته، فتكرر عليه الأمر للاقتدار. وإنما عمل فيه الاقتدار وانسد عليه باب التعلق بالله لما كان في ظهره من الأعداء، فابتلي بقبول الأمانة ليميز الخبيث من الطيب، فقبله على الاقتدار، فصار القبول حظ الأحباب، وصار الاقتدار حظ الإهداء. وذلك قوله تعالى: ﴿ **إنا عرضنا الأمانة...** ﴾(١) الآية.

ثم أعلم العباد لم فعل هذا فقال: ﴿ **ليعذب الله المنافقين والمنافقات...** ﴾(٢) الآية.

ومعناه لأعذب الأعداء وأتوب على الأحباب فأغفر لهم سيئ ما عملوا وارحمهم في تقصيرهم حتى تؤديهم الرحمة إلى دار رحمتي. فتقلد حفظ هذه الأمانة فجرى قبولها من القلب إلى الجوارح السبع، فتجزأ حملها على هذه الجوارح. فللعين جزء، وللسمع جزء، ولليد جزء، وللرجل جزء، وللبطن جزء، وللفرج جزء، وللسان جزء. وجعل أمانة الفرج من بين الجوارح كلها مستورة، وسميت فاحشة إذا كشف عنها بغير حق. والاستعمال لها بغير حق هلكة، وتأديبه القتل بالحجارة والتنكيل، والناظر إليها عامداً ملعون، والكاشف عنها منزوع الحياء ممقوت.

وقال عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما): أول ما خلق الله من الإنسان فرجه، ثم قال: هذه أمانة خبأتها عندك فلا تبسل منها شيئاً إلا بحقها.

فالسمع أمانة، والبصر أمانة، والفرج أمانة، والبطن أمانة، واللسان

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٧٢.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٧٣.

أمانة، واليد أمانة، والرجل أمانة. فالذي يكشف لك عما خبأه الله اهمالا واستعمل بغير حق، استوجب هذه العقوبات. والذي في الدنيا النكال والرجم. وأما الذي في الآخرة فإن أهل النار يتأذون من نتن فروج الزناة، ويزدادون بذلك عذاباً. ولذلك قال (عليه السلام): أكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان البطن والفرج[1].

فقد قلد كل جارحة بقسطه من الأمانة. فمن استبدل بها خيانة، انتقص من وزن إيمانه، ومن ضوئه ما دام حياً. وضوء الإيمان رأس مال الموحدين. به يستضيئون في السير إلى الله تعالى في الطاعات. فإذا غاب الضوء ضل القلب بمنزلة قمر وقع في كسوف. فكسوف ضوء الأمانة في ظلمة الخيانة. فكل فعل حرم الله على جارحة من الجوارح فهتك تلك الجارحة ذلك الستر وانهتكت تلك الحرمة برفع حجابها فقد خان الأمانة. فالمتقون فهموا هذه القصة فخرست ألسنتهم عن أن تنطق بما نهى الله عنه، والسمع إلى الاستماع إلى ما نهى الله عنه، وكل عضو كذلك. وحفظوا القلب وساحته وهي الصدر مع الله تعالى وفيما بينه وبين الخلق. فكلما زلت جارحة من جوارحك بفعلٍ حظرّ الله عليك، فقد ضيعت الأمانة بقدرها، وانكسف من ضوء قمرك بقدره، ونقص من وزن إيمانك غداً بقدره. فإذا حكمت شأن الجوارح السبع وجعلتها في وثاق الأمانة فقد نجوت. فإن كان ممن فتح له الطريق فسار إلى الله، صار حفظ الأمانة أصعب وأعظم خطراً وأوفر حظاً من ثمرته لأنه حتى الآن كان في كسب الجوارح عملاً ينال به أجراً، والآن قد وقع في كسب القلب سعياً إلى الله ينال

(١)الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٤٢٤٦ ثنا عبد الله بن ادريس عن أبيه وعمه عن جده عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ـ ﷺ: ما أكثر ما يدخل الجنة قال: التقوى وحسن الخلق وسئل ما أكثر ما يدخل النار.. وذكره ورواه الامام أحمد في المسند ٢: ٢٩١ ، ٣٩٢ (حلبي)

به القربة. فالحراسة ههنا للأمانة من الخواطر. فإن حرسها بحقها وصدقها، تحول الضوء الذي كان بدءاً شعاعاً يتوهج يخطف بصائر النفس. فضوء الإيمان للصادقين مع جهدهم، وشعاعه للصديقين مع تفويضهم. فإن الكفر كليل مظلم، والإيمان في الصدر كالقمر. فالموحدون يأخذ كل من ذلك القمر بقدره، وكل مطيع يأخذ بقدره من الضوء. فإذا كان صادقاً مطيعاً لله في كل جارحة. فالظاهر مستقيم والباطن فاسد مجهود صار كمن اقمر ليلة بدر أو صار ضوء إيمانه كالقمر ليلة البدر.

إلا أن الضوء ليس له شعاع ولا حريق. ومن فتح لقلبه الطريق إلى الله تعالى فصار على منهج الصدق وهو البذل لنفسه لله غير ملتفت إليها، تحول قمره شمساً. فإنما يبدو لقلبه من شعاع تلك الشمس بمقدار ما كان يبدو من القمر في مبتدأ أمره. فلا يزال يسير حافظاً للأمانة في العطايا حتى تزول عنه الخيانة، ويتبرأ من النفس وينسيها، وافتقد مشيئته بمشيئة مولاه، ونسي أحوال نفسه لما طالع من العظائم، وأشرقت شمسه بتمامها بجميع شعاعها. وذلك قوله لداود (عليه السلام): «يمشي تماماً ويقول صواباً». وقوله تعالى: ﴿ **ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن...** ﴾[1] وهو المؤمن المستكمل لوقارة الإيمان وبهائه.

قال أبو بكر (رضي الله عنه): وددت أني شعرة في صدر مؤمن.

وقال تعالى حين أثنى على إبراهيم (عليه السلام): ﴿ **إنه من عبادنا المؤمنين** ﴾[2].

وقال ﷺ: «ثلاثة تحت العرش: القرآن له ظهر وبطن، يحاج العباد.

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٥٤.

(٢) سورة الصافات آية رقم ٨١.

والرحم تنادي: صل من وصلني وإقطع من قطعني. والأمانة»[1].

وقال ﷺ: انطلق ثلاثة نفر فدخلوا غاراً فأرسل الله عليهم صخرة. فانطبق الغار عليهم. فقال بعضهم لبعض: قد ترون ما نحن فيه، وما قد إبتلينا به، فلينظر كل رجل منكم أفضل عمل عمله فيما بينه وبين ربه، فليذكره، ثم يدعو الله تعالى لعل الله يفرج عنا ما نحن فيه، ويلقي عنا هذه الصخرة. فقال رجل منهم: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي بنت عم، وكانت من أحب الناس إليّ، فطلبت منها نفسها، فأبت عليّ إلا أن أعطيها مائة دينار، فجمعتها من حسي ونسي، حتى جئتها بها، فدفعتها إليها. فلما قعدت منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت. فقالت: يا عبدالله اتق الله ولا تفتح هذا الخاتم إلا بحقه. فقمت عنها وتركت الدنانير لها من مخافتك. اللهم إن كنت تعلم أني إنما تركتها وتركت الدنانير لها من مخافتك، فافرج لنا من هذه الصخرة فرجة نرى منها السماء. ففرج الله عنهم منها فرجة، فنظروا إلى السماء. وقال الثاني: اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان، وكانت لي صبية صغار، فكنت أرعى على أبويّ وكنت أجيء بالحلاب فأبدأ بأبويّ فأسقيهما، ثم أجيء بفضلهما على الصبية فأسقيهم وإني جئت ذات ليلة بالحلاب فوجدت أبويّ نائمين، والصبية يتضاغون من الجوع، فلم أزل بهم حتى ناموا، ثم قمت بالحلاب على أبويّ ليلتي حتى قاما وشربا، ثم جئت بفضلهما إلى الصبية فأسقيتهم. اللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك من مخافتك، فأفرج عنا منها فرجة. ففرج الله عنهم منها فرجة. وقال الثالث: اللهم إنك تعلم أنه كان لي أجير يعمل عندي فأعطيته أجره فغمضه، وذهب وتركه، فعملت له بأجره حتى صار له بقر وغنم. ثم أتاني بعد حين يطلب أجره. فقلت له:

---

(١) لعل هذا الحديث من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر فلم يذكره صاحب الزوائد ولم يذكر في الجامع الصغير والكبير للسيوطي.

دونك هذا البقر والغنم وراعيها فخذها وهي لك. فانطلق فأخذها. اللهم إن كنت تعلم أني إنما فعلت ذلك من مخافتك، فألقها عنا. فألقى الله عنهم، فخرجوا يمشون(١).

وعن عطاء قال: كان رجل من بني إسرائيل له مكان من الملوك، ليس منهم ملك يموت فيخلفه ملك إلا أنزله منه بمنزلته من الملك الأول. فبعث على بني إسرائيل ملك صالح، دعا الناس إلى الحقوق والمظالم، فارتحلت الأحياء إليه حيّ حي، ليس منهم أحد إلا وهو ينظر في شأنه. ومن كانت له مظلمة يرد عليه مظلمته. ومن كان له حق أنصفه من حقه. ومن كانت له حاجة قضى له حاجته، حتى ارتحل حي الفتى، وارتحل هو فيهم، وهم يظنون أن الملك سينزله منه منزلته من الملوك قبله.

فدخل على الملك بعض قومه، فقضى حوائجهم، ورد عليهم مظالمهم، حتى دخل الفتى، فكلمه بمثل ما كان يكلم به الملوك قبله فيعجبهم ويقربونه. فقال له الملك: أوَلا تتقي الله وتؤدي الأمانة؟ قال: أية أمانة؟ فأخذ رجل من حرسته بيده فأخرجه فانصرف إلى قومه، فقال: لعل بعضكم سبقني عند الملك. فحلفوا له فصدقهم، فانصرف إلى أهله.

فمات ذلك الملك، وبعث عليهم ملك صالح، فدعا الناس إلى ما دعاهم إليه الملك قبله، فارتحل الناس إليه، فارتحل الفتى مع حيه. فلما دخل عليه كلمة الفتى بالكلام الذي يكلم به الملوك قبله فيقربونه. فقال له الملك: أولا تتقي الله وتؤدي حق الأمانة؟ فقال: أية أمانة؟

---

(١) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ١٠٠ (٢٧٤٣) عن موسى بن عقبة عن نافع عن عبد الله ابن عمر عن رسول الله ـ ﷺ ـ انه قال: وذكره ورواه البخاري في كتاب الأدب ٥ وأحمد بن حنبل في كتاب المسند ٢: ١١٩ (حلبي)

فأخذ رجل من حرسته بيده فأخرج، فانصرف إلى قومه، فقال: لعل بعضكم سبقني عند الملك. فحلفوا له فصدقهم. فانصرفوا وانصرف الفتى إلى أهله. فقال: لا أحسب هذا إلا لما كنت أصبت مما لا يصلح لي، فوضع يده اليمنى على اليسرى، ثم قال: اللهم إني أبايعك على أن لا أسأل أحداً شيئاً أبداً، فمكث بذلك ثم قال: لا حاجة لي بقرب الناس ومخالطتهم.

فانطلق إلى برية فتعبد فيها، وتخرق عنه ثيابه، وصار كهيئة المسمار المحترق، وجعل يأكل من نبات الأرض. فبينا هو على ذلك إذ هو بشيخين بين أيديهما طعام يأكلانه، فتعرض لهما، فرفعها رؤوسهما ونظرا إليه. حتى إذا علما أنه قد علم أنهما قد نظرا إليه، أكبا على طعامهما، ثم رفعا رؤوسهما، فدعواه فأقبل. فإذا هما يأكلان خبز شعير، فنظرا إليه ثم قالا: اجلس. فجلس، ثم مد يده إلى كسرة فأمسكاها، فنظرا إليه، ثم أكبا على طعامهما، ثم قالا: كل. فكبر، فأمسكا بيده وقالا: لم كبرت على طعامنا؟ قال: إني كنت حلفت أن لا أسأل أحداً شيئاً، فلولا أنكما قلتما: كل، لم أتناول طعامكما. قالا: أو لا تتقي الله وتؤدي الأمانة؟ قال: وأية أمانة؟ فوالله ما أخرجني من الناس إلا هذه الكلمة، ولا لقيت ما تريان إلا لها. قالا: أشرف هذا الشرف، فانظر ما ترى وراءه، ثم ارجع إلينا.

فأشرف ثم رجع إليهما، فقال: رأيت خمسمائة ضائنة أو ستمائة لم أر مثلها حسناً جميعاً. قالا: أتأخذها بأمانة الله على أن تؤدها إلينا إذ نحن سألناكها صحاحاً شق الشعرة شطرين؟ قال: نعم. فدفعا إليه هذا الغنم وانطلقا. فنمت وبارك الله فيها. فنزل قرية من القرى وباع منها فاشترى منها رعاء، فجعلت ترعى جناب القرية وتأوي إليها، فكثرت ونمت، وبارك الله، وجعل لا يبيع منها فيتخذ صنفاً من أصناف الأموال إلا بارك الله فيها ونما. فتزوج النساء، واتخذ السراري، وكثر

له الولد، وكان في ذلك رجلاً صالحاً، يقري الضيف، وينول ابن السبيل، ويعطي السائل.

فبينا هم على ذلك وقد أتى على ذلك سنون، إذ هو بشيخين يقرعان عليه باب داره، فنادى غلامه فقال: أنظر من يقرع باب الدار. فخرج غلامه، فإذا هو بشيخين. قال: ما حاجتكما. قالا: حاجتنا إلى سيدك. فرجع إلى سيده فأخبره. قال: انطلق بهما ففرغ لهما بيتاً في ناحية الدار، ثم أفرشهما وأتحفهما وأطعمهما وأسقهما، فليبيتا بخير، ثم ليغدوا لحاجتهما. وهو يحسب أنه كان كمن يضيف. فرجع الغلام إليهما، فقال: إن سيدي أمرني أن أفرغ لكما بيتاً وأن أفرشكما وأتحفكما وأطعمكما وأسقيكما فتبيتا بخير، ثم تغدوا لحاجتكما. قالا: هذا مكاننا أو يأذن لنا عليه. قال: وهي ليلة قرة باردة، شديدة البرد. فرجع إلى سيده فأخبره. فقال: قل لهما: اني قد وضعت ثيابي، وخلوت بأهلي، فبيتا ثم أغدوا على حاجتكما. فرجع إليهما فأخبرهما. قالا: هذا مكاننا أو يأذن لنا. فغضب العبد فأغلق الباب دونهما، وانصرف الى مضجعه.

فلما أصبح دعا غلامه فقال: ويحك ما فعل ضيفاي. قال: عرضت عليهما ما أمرتني فأبيا، فأغلقت الباب وانصرفت. قال: ويحك تركت ضيفيَّ في سقيع بغير عشاء لا جرم لأفعلن بك ولأفعلن، ائذن لهما. فدخلا إليه فجعل يعتذر إليهما: أتيتماني في ساعة لا يدخل عليّ فيها، فأمرت الغلام بقراكما فغمضتما ذلك، فذكر لي أنه أغلق الباب دونكما لا جرم لأفعلن به ولأفعلن.

قالا: إن لنا حاجة فأخلنا لحاجتنا. فأمر من حوله فارتفع حتى إذا خلوا به قالا: هل تعرفنا؟ قال: لا. قالا: أتذكر شيخين أتيتهما ببرية كذا وكذا، وبين أيديهما خبز شعير يأكلانه، وأنت كالمسمار المحترق. قال: أذكر. قالا: فما فعلت الغنم؟ قال: فعلت خيراً، كثرت ونمت، واتخذت أصناف الأموال. قالا: ألست قد عرفت شرطنا عليك. قال:

بلى، صحاحاً بشطرين. قالا: فادع لنا بما لنا. قال: فدعا بدواوينه، وإذ الأموال أكثر من أن تحصى إلا بكتاب. فدعا بالغنم فقسمت شطرين، ثم دعا بالإبل والبقر وسائر الأموال فقسمت شطرين. فقال: قد فعلت ووفيت لكما بالشرط. قالا: إئتنا بأمهات أولادك. قال: وما لكما وأمهات أولادي، نساء قد ولدن وعتقن. قالا: إن أثمانهن من مالنا. قال: لا أفعل. قالا: اتق الله وأد الأمانة، تعلم أنا لسنا نأخذك بسلطان، وليس لنا عليك بينة، وإنك إن تجحد يصدقك الناس ويكذبوننا.

قال: فبات يتسلق على فراشه، ويقول: أيتها النفس اصبري واذكري الحال الذي كنت عليه صدقاً، لعمري إن أمهات أولادي والنفقة عليهن لمن مالهما. فلما أصبح قال: ادعوا بامهات أولادي. فدعا بهن فقسمهن شطرين. فجعل يبكي بعضهم إلى بعض. قال: قد فعلت. فقالا: ائتنا بنسائك. قال: وما شأن نسائي؟ بنات قوم أحرار، فأما أمهات أولادي فهن من مالكما. قالا: إن صدقاتهن والنفقة عليهن من مالنا. قال: لا أفعل. قالا: اتق الله وأد الأمانة، تعلم أنا لسنا نأخذك بسلطان، وليست لنا عليك بينة، وإنك إن تجحد يصدقك الناس ويكذبوننا.

قال: يا نفس اذكري الحال الذي أتيتهما عليه، صدقاتهن عليهن، والنفقة عليهن من مالهما، ائتوني بنسائي، فأُتي بهن، فقسمهن شطرين. قال: قد فعلت. قالا: ائتنا بولدك. قال: وما شأن ولدي، أما أمهات أولادي فالثمن والنفقة من مالكما، وأما النساء فالصدقات والنفقة من مالكما، وأما ولدي فخرجوا من صلبي، فلم أكن لأفعلن. قالا: اتق الله وأد الأمانة، تعلم أنا لسنا نأخذك بسلطان، وليست لنا عليك حجة، وإنك إن تجحد يصدقك الناس ويكذبوننا.

قال: أيتها النفس اصبري واذكري الحال الذي أتيتهما عليه. أرأيت كسوة الولد والنفقة عليهم، أليست من مالهما؟ ائتوني ببنيّ. فأُتي بهم فقسموا شطرين، فإذا منهم غلام لا يعدل به أحد من الولد. قال:

قد قسمت، وهذا غلام، فان أحببتما أن تقوما قيمته ثم أرد عليكما الشطر فعلت. قالا: لا نريد أن تشتري منا شيئاً. قال: فهبا لي نصيبكما. قالا: ما نريد أن نعطي أحداً من حقنا شيئاً. قال: فأنا أهب لكما نصيبي. قالا: ما نريد أن تكون لك عندنا منة. قال: فماذا؟ قالا: قد عرفت شرطنا عليك صحاحاً كشق الشعرة. قال: أفأشقه؟ قالا: أنت أعلم. قال: والله لا أفعل هذا أبداً. قالا: اتق الله، وأد الأمانة، تعلم أنا لا نأخذك بسلطان، وليست لنا عليك بينة، وإنك إن تجحد يصدقك الناس ويكذبوننا.

قال: يا نفس اصبري، واذكري الحال الذي أتيتهما عليه، قربوا المنشار. فأتي بالمنشار. قال: خذا بناحيته وآخذ بناحيته. قالا: نعم، ذاك لك. قال: فأخذا بناحية المنشار وأخذ بناحيته، ثم أدركته رقة الوالد، فقال: ابدءا فاشعراه به. قالا: أنت أحق من بدأ. قال: إني لأجد له ما لا تجدان، فأشعراه لي. قالا: أنت أحق من بدا. فتقاعس في المنشار ليأشره ورفعاه. قالا: ان كنت لفاعلاً. قال: نعم، والله حتى أوفي لله بما جعلت له واؤدي الأمانة. قالا: إذهب فلك أهلك وولدك ومالك، وبارك الله لك، لسنا من البشر، كان هذا بلاء قضاه الله عليك، فبررت وأوفيت، ونحن منعنا ملكي بني إسرائيل أن يعطياك شيئاً لما قضاه الله عليك من البلاء، فاطمئن في مالك.

وعن عطاء قال: لما أعتق لقمان أعطاه مولاه مالاً فبارك الله للقمان في ذلك المال، فكثر ونما، وجعل لا يأتيه أحد يستقرضه قرضاً إلا أقرضه، لا يأخذ عليه حميلاً ولا رهناً، إلا أنه إذا أراد أن يدفع إليه المال قال: تأخذه بأمانة الله لتؤدينه إليّ عام قابل. فإذا قال: نعم دفعه إليه. فجعل الناس يأخذون منه ويؤدون. فذكر فعل لقمان لرجل يسكن ساحل البحر، تجارته في البحر، لص ملط فاجر. فقال: والله ان رأيت مالاً أضيع من هذا، ما يأخذ مني رهناً ولا حميلاً، والله لآتين هذا

الرجل ولأقتطعن من ماله مالاً عظيماً، فأقبل إليه فقال: يا لقمان ذكر لي معروفك، وأنا رجل أسكن كذا وكذا من ساحل البحر، وتجارتي فيه، فإن رأيت أن تقرضني قرضاً أصبت فيه، ثم أؤديه إليك، فعلت. قال: نعم، وكم تريد. فسمى له فأكثر. قال: نعم، أما أني لست أسألك حميلاً، ولا آخذ منك رهناً، أتأخذه بأمانة الله أن تؤديه إلى عام قابل في هذا اليوم؟ قال: نعم. فدفع إليه ما سمى، وكتب عنده اسمه واسم أبيه ومنزله الذي سمى.

فذهب بالمال، فوضع يده فيه، وخلطه بماله، وعزم أن لا يؤديه إليه، وأدرك ابن للقمان فقال: يا أبت إني أريد أرض كذا وكذا، وإن رأيت أن تأذن لي، فعلت. قال: نعم يا بني، إذهب فاحمل على دوابك، وشد عليك ثيابك، ثم ائتني أوصيك بوصيتي. ففعل ذلك ابنه ثم أتاه. فقال: قد فعلت يا أبت، قد حملت على ظهري، وشددت عليّ ثيابي فأوصني. قال: نعم، يا بني ان في طريقك مفازة[1] فابكر فيها الدلجة[2]، فإنه ستعرض لك شجرة واسعة الظل تحتها عين، فلا أعلمن ما قربت الشجرة ولا نزلت تحتها، يا بني إني أرجو أن يخرجك الله منها سالماً، فتأتي حي بني فلان، وهم لنا أصدقاء، قد أعلم أنهم سيكرمونك، يا بني وفيهم امرأة شابة كريمة الحسب، كثيرة المال، وقد أعلم أنهم سيعرضونها عليك، فلا أعلمن نكحتها، ولا ضمنت لشيء من أمرها، يا بني أرجو أن يسلمك الله منها، وإن رجلاً يسكن ساحل كذا وكذا، وقد أتاني منذ حين فاقتطع من مالي كذا وكذا، وهذا اسمه واسم أبيه ومنزله، فَأْتِهِ فاقبض ما عليه، ولا تبت عنده

---

(١) قال تعالى: ﴿ **بمفازة من العذاب** ﴾ أي بمنجاة والمفازة واحدة المفاوز قال ابن الأعرابي سميت بذلك لأنها مهلكة.

(٢) ادلج: سار من أول الليل والاسم (الدلج) والدلجة بوزن الجرعة والضربة وادلج سار من آخره والاسم أيضاً الدلجة.

ليلة، يا بني أنظر الذي أوصيك به فافعله. قال الفتى: نعم. قال: يا بني إن من أفضل ما أوصيك به إن صحبك في طريقك هذا رجل أكبر منك، فلا تعصه حتى ترجع إليّ. قال: أفعل.

فسار ابن لقمان حتى انتهى إلى المفازة بكر فيها الدلجة فإذا هو أبعد من ذلك واسحق. فقام قائم الظهيرة، واشتد الحر وهو في وسط منها. فبينا هو يسير إذ عرضت له الشجرة. فلما نظر إليها عرفها ينعت أبيه، فإذا تحتها شيخ جالس، فعدل إليها، فقال له الشيخ: ما الذي تريد يا فتى؟ قال: أريد أن أسير. قال: فلا تفعل، فقد قام قائم الظهيرة، وتوقد الحر، ولكن انزل فاستظل في ظل هذه الشجرة، وضع عن دوابك، واشرب من الماء. فإذا أبردت فارتحل. قال الفتى في نفسه: هذه الشجرة التي نهاني عنها أبي. ما أريد أن أفعل. قال: أقسمت عليك لتنزلن. قال: ووافق ذاك منه هواه، وذكر أن أباه قال: إن صحبك رجل هو أكبر منك فلا تعصه.

فنزل الفتى فوضع عن دوابه واستظل، وأكل وشرب ثم رقد، وأبى الشيخ أن ينام. فلما استلقى ابن لقمان، انحطت حية من رأس الشجرة، فلما نظر إليها الشيخ رماها فقتلها ثم قطع رأسها فجعله في قرابه وغيب لحمها، حتى إذا برد النهار وأيقظ ابن لقمان فقام فلم يستنكر من نفسه شيئاً، فحمل على دوابه، وقال له الشيخ: أين تريد؟ قال: أريد أرض كذا وكذا. قال: أنا أريدها، فهل لك في صحابتي؟ قال ابن لقمان: أحب صاحب. فلما نزلوا بالحي الذي سماهم له لقمان. قالوا: ابن لقمان. فأنزلوه وأكرموه.

فبينا هم يأكلون عنده ويشربون إذ قال له رجل منهم: يا ابن لقمان هل لك في امرأة شابة، كريمة الحسب، كثيرة المال تنكحها؟ قال ابن لقمان في نفسه: هذه التي منعنيها أبي. ما لي حاجة بالنكاح. قال الشيخ: ما تعرضون عليه؟ قالوا: نعرض عليه امرأة شابة جميلة، كبيرة

الحسب، كثيرة المال. قال الشيخ: أشباب وجمال ومال، ما يترك هذا أحداً نكحها؟ قال ابن لقمان: ما أريد النكاح يا عم، واني لعلي رحلي. قال: أقسمت عليك لتفعلن. فوافق ذلك منه هواه، وذكر الذي عوفي في الشجرة، وأن أباه قال: إن صحبت رجلاً هو أكبر منك فلا تعصه. فنكحها.

فلما ملك عصمتها، أتاه بعض صديق أبيه. قال: ما صنعت، هذه امرأة قد نكحت تسعة ليس منهم رجل إلا يصبح ميتاً على فراشها، وأنت العاشر. فدخل الشيخ على ابن لقمان، وهو مهموم حزين. قال: ما يحزنك؟ قال: المرأة التي أمرتني أن أنكحها نكحت قبلي تسعة ليس منهم رجل إلا يصبح ميتاً على فراشها، وأنا العاشر، وأنا أكره الموت. قال: انظر الذي آمرك به فافعله، فإذا أدخلت عليك فلا تقربها حتى تأتيني.

فأقبلوا بها إليه، حتى أدخلوها عليه. وكان من خلق أهلها وغلمانها أنها إذا أدخلوها على الزوج، حفوا بالبيت. فإذا صاح كانت علامة موته، دخلوا فاحتملوا صاحبتهم وما معها وتركوه. فحفوا بالبيت كما كانوا يصنعون. وقال ابن لقمان للمرأة: إن لي حاجة. فخرج إلى الشيخ، فقال: المرأة في البيت، وأنا عندك. قال: ائتني بمجمرة فيها جمر. فأتاه بها ابن لقمان. فعمد إلى رأس الحية التي قتل عند الشجرة فجعلها على المجمرة، ثم قال: انطلق بها فاجعلها تحت المرأة. فإذا برد فائتني بها. ففعل بها ابن لقمان. فقال: اجعلي هذا تحتك. ففعلت. فلما طفئ الجمرة، أخرجها. فذهب ابن لقمان بها إلى الشيخ. فإذا شبه الدودة محترقة في المجمرة. فقال: إذهب إلى أهلك، فلا بأس عليك، فإن هذه التي كانت تقتل الرجال. فانطلق إلى أهله، فأصبح قرير عين، وأصبحت فرحة، وتفرق الذين كانوا حفوا بالبيت. فلما أراد ابن لقمان أن يرتحل، قال له الشيخ: أين تريد؟ قال: غريماً لنا في ساحل بحر

كذا وكذا، أريد أن آتيه فأقبض حقنا قبله. قال: فهل لك في صحابتي؟ قال: أحب صاحب.

فانطلق معه حتى إذا قدما الساحل سألا عن غريمهما. فقال أهل البلد: ذاك لص ملط فاجر. وكان قد عمد إلى قصر فبناه على ساحل البحر، يمد البحر حين يمد فلا يترك حول القصر شيئاً إلا احتمله، لا يخلص إلى القصر ولا إلى من فيه. فأتاه ابن لقمان وقال له: حقنا عليك. فقال: مرحباً، بيتا الليلة ثم اغدوا على مالكما. فقال ابن لقمان في نفسه: هذا الذي منعني عنه أبي. ما أريد أن أبيت الليلة. قال الشيخ: ما تعرض عليه؟ قال: أعرض عليكما أن تبيتا الليلة، ثم تغدوا على مالكما. قال: افعل يا بني. قال: ما أريد ذاك. قال: أقسمت عليك لتفعلن، قد أنسأته أطول من ليلة فلا تنسئه ليلة! فوافق ابن لقمان هواه، وذكر الذي عوفي من الشجرة والمرأة، فباتا.

فلما فرغ من عشائهما عمد إلى وطاء تحت القصر ففرش لهما على سريرين، وقد علم أن الماء إذا جاء احتملهما، وعمد إلى ابن له فاضجعه على سرير فوقهما في مكان قد علم أن الماء لا يبلغه. فرقد ابن لقمان، وأبي الشيخ أن ينام.

فلما كان في جوف الليل، أقبل البحر. فلما رآه الشيخ أيقظ ابن لقمان فاحتملا سريرهما فجعلاه مكان سرير الغلام، وحملا سرير الغلام وهو نائم، فوضعاه موضع سريرهما. وأقبل البحر، فاحتمل الغلام بسريره فذهب به، ولم يخلص إليهما.

فلما أصبحا اطلع صاحب القصر ينظر ما فعل غريماه، فإذا هما نائمان، وإذا ابنه قد ذهب، فناداهما، فقال: مكرت بكما وحاق بي المكر، فاغدوا على مالكما. فغدوا على مالهما فانتقداه، ثم انصرفا إلى المرأة، فأمرها ابن لقمان بالرحيل فارتحلت، فإذا أكثر مال قومها لها

مما كانت تصيب من الأزواج، فارتحلت بمال عظيم من أصناف المال، وأقبل معه الشيخ حتى إذا شارفا منزل لقمان، قال الشيخ لابن لقمان: أي صاحب وجدتني في سفرك. قال: خير صاحب، كف الله بك ورزق. قال: أفما لي فيما أصبت نصيب؟ قال: بلى، نصفه لك، طيبة لك به نفسي. قال: فإما أن تقسم وتخيرني، وإما أن أقسم وأخيرك. قال ابن لقمان: لا. بل اقسم وخيرني. فعرف الشيخ هوى ابن لقمان في المرأة فعمد إليها وإلى شيء يسير من مالها فعزله، وعمد إلى عظيم المال فتركه.

ثم قال لابن لقمان: اختر. قال ابن لقمان: أما انك عدلت وأنصفت حين خيرت. فان كنت فعلت ما فعلت أختار المرأة وما معها. فارتحل ابن لقمان بالمرأة وما معها، وقام الشيخ في عظيم المال.

فلما سار ابن لقمان وكاد أن يتغيب عن الشيخ أدركه فقال: أعطيتني مالك، فبم ذاك؟ لعلك تخوفت مني شيئاً. قال ابن لقمان: وما عسيت أن أتخوف منك، ولكن لا يذكر صاحب من صاحب أفضل مما أذكر منك وسألتني. قال: أتعطيني ذاك طيبة به نفسك ؟ قال : نعم. قال : فاذهب فلك أهلك ومالك، بارك الله فيك، لست من البشر، أنا أمانة أبيك الذي كان يأتمن بها الناس، بعثني الله لأصحبك في طريقك، ثم أردك إلى أبيك صالحاً، فاطمئن في مالك، مباركاً لك فيه. فصاحب الأمانة المحافظ عليها في أمان الله حيث ما انقلب.

وقال ﷺ: «أول ما يرفع من الناس الأمانة»(١).

فالأمانة من الإيمان بمنزلة القلب من الجسد. فإذا مال القلب إلى

(١) قال السيوطي في الجامع الصغير رواه الحكيم الترمذي عن زيد بن ثابت وله تكملة [وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة، ورب مصلٍّ لا خلاق له عند الله تعالى] وأشار السيوطي على الحديث بالضعف

شيء مال الجسد إلى ما مال إليه القلب. فالإيمان يشدد عقد القلب، ويؤكد عزمه، ويقوي ضميره. والأمانة في الإيمان بمنزلة العماد. فإذا وهن العماد يتضع صاحبه بسقم الإيمان، وذهب بقوته. فإذا جاءت الخيانة، رفعت الأمانة لأنها ضدها ولن يجتمعا، وإذا رفعت الأمانة سقم الإيمان.

قال (عليه السلام): يا سليمان قل: اللهم إني أسألك صحة في إيمان، وإيماناً في حسن خلق، ونجاحاً يتبعه فلاح[1].

والإيمان عطية من المنة. والأمانة في الإيمان هدية من الجود. فإذا ضاعت الهدية، ذهب بهاء العطية افتقد صاحبه زينته وحلاوته ولذاذته، وذبلت النفس واستراحت. وإذا ذهب بها الشيء وثقلت عن المحافظة عليها، وذهب قوة القلب لذبول النفس وثقلها فحلت الخيانة محلها. والخيانة في اللغة كل شيء يعمل من وراء. وهي مكر النفس. فإنها لما لم تقدر على أن تستقبل القلب صبراً بالذي هويت من المعصية، أسرته من القلب، والتمست الغرة والغفلة من القلب، فأوجدته اللذة التي وجدت، فاستولت على القلب بسلطان اللذة في وقت غفلته عن الله تعالى وانقطاع المدد من رأفة الله تعالى وإقباله عليه بأسباب العصمة، فأمكنته أسره إياها، لأن القلب أضعف ما يكون في وقت الغفلة، فتوجده شراً ومكراً تخادعه بها، وتزين له وتموه عليه.

والأمانة قرينها اليقين، وإنما ضاعت من قبل النفس، وليس شيء أعز من اليقين ولا أقل منه. وإذا عز اليقين، وقل كثر الشك، وتذبذب القلب، وإرتحلت الأمانة إلى المبدأ، وحلت الخيانة محلها، فكيف ينتفع العبد بإيمان في جوفه الخيانة مكان الأمانة كما كان اليقين علاوته. فما ظنك

---

(١) لعل هذا الحديث من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر لأنه لا يوجد له أثر في كتب الصحاح ولم يذكره السيوطي في الصغير ولا الكبير.

بشيء ذهب علاوته، وبجسد قطع رأسه. أليس قد ذهبت حواسه؟ فلا يبصر ولا يسمع، ولا ينطق، ولا يجد الروائح. فكذا من إفتقد اليقين، لم يسمع عن الله ما خاطبه، ولا أبصر ما كشف له وأراه، ولا ينطق عن الله بحكمته، ولا وجد الريح الطيب الذي طيبه الله به. وبذهاب اليقين يموت القلب عن الله تعالى، ولم يمت عن توحيده، ولذلك تجده مخلطاً، يعمل عمل الموحدين، والمشركين، والموقنين، والشاكرين، والجادين، واللاعبين. يعمل عمل الجد بقوة اليقين الذي في التوحيد. فأما اليقين الذي هو عماد القلب، وهي الأمانة في جوف الإيمان فقد فاته. فلذلك صار مخلطاً.

قال ﷺ: «خير ما ألقي في القلب اليقين»[1].
وقال ﷺ: إن عيسى كان يمشي على الماء، ولو ازداد يقيناً لمشى في الهواء.

وكان ﷺ يقول: ما أعطي أحد من اليقين ما أعطيت أمتي[2].

قال: وكان عيسى (عليه السلام) يقول: ما أنزل في الأرض شيء أقل من اليقين.

وأُتي داود (عليه السلام) بصحيفة مختومة بالذهب من السماء فيها عشر مسائل، وأمر أن يسأل ولده منها. فمن أجابه بما فيها، فهو الخليفة. فدعا سليمان من بين أولاده فسأله: أي شيء أقل في الأرض؟

قال: اليقين.
قال: فأي شيء أكثر؟

(١) قال السيوطي في الجامع الكبير رواه الحكيم الترمذي ولم يشر الى غيره.
(٢) قال الامام السيوطي في الجامع الصغير رواه الحكيم الترمذي عن سعيد بن مسعود الكندي وأشار على الحديث بالضعف.

قال: الشك.
قال: فأي شيء آنس؟
قال: الروح في الجسد.
قال: فأي شيء أوحش؟
قال: الجسد إذا خرج منه الروح.
قال: فأي شيء أحسن؟
قال: الإيمان بعد الكفر.
قال: فأي شيء أقبح؟
قال: الكفر بعد الإيمان.
قال: فأي شيء أمر؟
قال: الفقر.
قال: فأي شيء أقرب؟
قال: الآخرة إذ هو آت.
قال: فأي شيء أبعد؟
قال: الدنيا إذا زالت عنك.
قال: فأي شيء أشر؟
قال: المرأة السوء.

ففك داود خاتم الصحيفة فنظر فإذا هو بتفسيرها في الكتاب، لم يغادر منه حرفاً فاستخلصه.

وقال ﷺ: « سلوا الله اليقين والعافية، فإن الناس لم يعطوا شيئاً خيراً من اليقين والعافية »[1].

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ١٠٦، ٣٥٥٨ ــ عن عبدالله بن عقيل أن معاذ بن رفاعة أخبره عن أبيه قال: قام أبو بكر الصديق على المنبر ثم بكى فقال: قام رسول الله ﷺ عام الأول على المنبر ثم بكى فقال: وذكره. قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه عن أبي بكر ــ رضي الله عنه.

ومر عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) بمصاب فقرأ عليه فبرأ، فقال رسول الله ﷺ: ما قرأت؟ قال: قرأت: ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً**... ﴾ الآية.[1] فقال (عليه السلام): لو قرأها موقن على جبل لزال .

فأوفر الناس حظاً من اليقين أوفرهم حظاً من الأمانة وأشدهم له حفظاً وحراسة.

قال ﷺ: «لا يؤمن العبد حتى يأمن الناس بوائقه»[2].

وقال (عليه السلام): «المؤمن الذي يأمنه الناس»[3].

وقال (عليه السلام): المؤمن في الدنيا على ثلاثة أجزاء: الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، ثم الذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، ثم الذي إذا أشرف على طمع تركه لله تعالى .

فهذه ثلاثة منازل للإيمان. المنزلة الأولى نزلها صنف آمنوا بالله

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم ١١٥

(٢) الحديث أخرجه الامام مسلم في كتاب الايمان ١٨ باب بيان تحريم ايذاء الجار ٧٣ (٤٦) عن اسماعيل بن جعفر قال ابن ايوب حدثنا اسماعيل قال: أخبرني العلاء عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله ــ ﷺ قال وذكره ورواه البخاري في كتاب الادب ٢٦ والترمذي في القيامة ٦٠ وأحمد بن حنبل في المسند ١: ٣٨٧، ٢: ٢٨٨ (حلبي)

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن ٣٩٣٤ بسنده عن عمرو بن مالك الجهني أن فضالة بن عبيد حدثه أن النبي ﷺ قال: وذكره وفيه زيادة [على أموالهم وأنفسهم والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب].

في الزوائد: اسناده صحيح ورجاله ثقات. ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٣: ١٥٤

إيمان طمأنينة، لا ريب فيه، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله باداء الفرائض واجتناب المحارم، إلا ان الرغبة فيهم باقية. ومن كانت الرغبة فيهم باقية، فالخيانة فيهم كائنة. فان الله تعالى أعطى الخلق الأرواح بما فيها من الحياة عارية، وأعطاهم الدنيا عارية، ووضعها ممراً للعباد ومتزوداً. فمن اشتغل قلبه بالتمتع صيره كالمستقر. وإنما جعلها للزوال والانتقال عنها. فمن تشبث بالحياة ولا يريد مفارقتها وفر من الموت، فقد خان. لأن العارية إذا امتنع صاحبها من الخروج منها إلى مالكها، قهر وسلب، وسمي بامتناعه خائناً. فكذا الدنيا وضعت ممراً ومتزوداً. فمن صيرها مستقراً، سلب يوم الخروج منها وهو خائن، وهو مع هذه الخيانة يقوم باداء الفرائض بلا توقير، وباجتناب المحارم بلا تقوى وصيانة. إنما التقوى إذا خرجت شهوة تلك الأشياء من قلبه، وإنما اجتنب من خوف العقاب غداً من غير أن يلتفت إلى صيانة المعرفة التي في قلوبهم. فان قال له علام الغيوب غداً: «إن معرفتي كانت خلعتي على قلبك فاجتنبت محارمي شفقة على جلدك ولحمك، ولم تلتفت إلى خلعتي فتخاف عليها الدنس والغبار، وقد عظم عندك شأن جسدك وجل قدره، فباليت به واجتنبت المحارم توقياً عليه، لا على خلعتي التي بها طاب جسدك». فماذا يقول هذا العبد؟ فهذا من دناءة المنزلة.

المنزلة الثانية من الإيمان صنف زالت عنهم رغبتهم، فاشتاقوا إلى دار الله فاطمأنت نفوسهم، وطابت أرواحهم، فأمنهم الخلق على أموالهم وأنفسهم، ولم يأمنوا على أديانهم، فلا تقبل القلوب منهم مواعظهم وإشارتهم إلى الله. وإنما أمنهم الناس للأمانة التي في جوف إيمانهم، ولأن أرواحهم يتعارفون بما تضمنه من روح الإيمان. فإذا عاينوا الحق في فعل عامل به، إستنارت له قلوبهم، وعرفوا أنه الحق، فأمنت قلوب الخلق، واطمأنت نفوسهم إلى ما عندهم، قد أمنوا على النفوس والأموال، ولم يأمنوا منه على الدين.

والمنزلة الثالثة من الإيمان فهم قوم بلغوا ذروة الإيمان، وسماه (عليه السلام) ذروة لأنه شبه الإيمان بالجبل، والنفس كريشة طياشة تهب بها الريح. فكلما كان الجبل أثقل، كانت الريشة أسكن. حتى إذا بلغ العبد ذروة الإيمان كان كأنه على قلة جبل، والنفس تحته مضغوطة، لا يقدر على التحرك. فلا يزال كذلك تحت أثقال المعرفة حتى تصفو من عصارتها وتسيل منها تلك الفضول، وتيبس عن رطوبة الشهوات، كما ييس الكسب الذي قد عصر تحت الأثقال، حتى سال دهنه وبقي ثفله[1] يابساً. فعند ذلك تجدها قد ماتت شهواتها، وخمدت نيرانها خموداً إفتقد حرها.

فهذا الذي قال ﷺ: «إذا أشرف على طمع تركه لله». وإنما قدر على ذلك بقوة ما فيه من الغنى بالله. فالغنى بالله في ذروة الجبل، وهو أعلى الإيمان. أولئك الذين يأمنهم الخلق على دينهم فتقبل القلوب مواعظهم وإشارتهم إلى الله تعالى، لأنهم يسيرون إلى الله وقلوبهم بين يدي نور الإيمان ووقاره. فإذا نطق أحدهم استنارت القلوب لنور مقالته. وإذا شخصت أبصارهم إليه، توقرت النفوس لوقاره، وهدأت الأركان، وسكنت منهم الأصوات.

وقال (عليه السلام): لما صعدت إلى السماء السابعة إذ هو برجل أشمط، جالس على كرسي عند باب الجنة، وعنده قوم جلوس بيض الوجوه، أمثال القراطيس، وقوم في ألوانهم شيء. فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا، وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم دخلوا نهراً آخر، فخرجوا وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل ألوان أصحابهم. فقلت: يا جبرئيل، من هذا الأشمط؟ ومن هؤلاء؟ ومن هؤلاء؟ وما هذه الأنهار التي دخلوها. قال (عليه السلام): هذا

(١) الثفل: بالضم ما سفل من كل شيء

أبوك إبراهيم أول من شمط على الأرض. وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم. وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقد خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فتابوا فتاب الله عليهم. وأما الأنهار فأدناها رحمة الله، والثاني نعمة الله، والثالث وسقاهم ربهم شراباً طهوراً[١].

قوله : « ولا دين لمن لا عهد [٢] له » فالدين اسم جامع منتظم لجميع الإسلام، إلا أن الإسلام هو تسليم النفس إلى الله عبودة، وترجمة الدين هو الخضوع، وأن تجعل نفسك دون أمره، ومن قبله فشرطه مع الله أن يكون كل أمره غالباً على قلبه ونفسه وشهواته وإرادته كلها. فمن وفى بها في جميع الأوقات، فهو صادق مطيع، قد وفى لله بما قبل منه. ومن وفى بعضاً وضيع بعضاً فدينه منقوص، وعلى حسب ذلك يقبض الجزاء من ديان يوم الدين، يوم ليس فيه لأحد أمر، ﴿ **يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله** ﴾[٣].

وأما العهد فهو تذكرة الله الذي وضعه فيما بينه وبين العباد يوم أخذهم للعبودة قبل خلق السموات والأرض. فلما خرجوا إلى الدنيا، نسيه الأعداء وحفظه الموحدون. ثم غلب الموحدين غفلة على ذلك الحفظ فوهلوا. فأوفرهم حظاً من الحفظ أوفرهم حظاً من الذكر، فالأعداء في غفلة. ومن الغفلة النسيان. والأحباب في غفلة، ومن الغفلة الوهلة. ومن الوهلة الخطايا ونقض العهد ودروس ذكر العهد. فأوفرهم حظاً من العهد أوفرهم حظاً من الدين وأشدهم انقياداً. فالكافر ينسى،

---

(١) سورة الانسان آية رقم ٢١

(٢) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٣: ١٥٤ ثنا حسن، ثنا أبو هلال الراسبي عن قتادة عن أنس — رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله — ﷺ قال: لا ايمان لمن لا أمان له وذكره.

(٣) سورة الإنفطار آية رقم ١٩.

والمؤمن يغفل. فالكافر ناس لربه ونفسه، من أين، وإلى أين؟ والمؤمن يتردد بين الغفلات والذكر. فالمؤمن أمين الله في أرضه، ائتمنه على معرفته، ووضعه في قلبه، وجعل قلبه خزانة له، وأمنه عليها بما فيها من كنوز المعرفة، ووكله بحراستها من النفس الأمارة بالسوء، ومن العدو الحاسد القائم في ظل النفس، يرمي بالشيء بعد الشيء إلى النفس، ينتظر متى يفترص النفس فرصتها من القلب، وليس أحد أعز على الملك ولا أصفى حباً له من أمينه الذي ائتمنه على جميع الأشياء. فإذا قام العبد بحفظ الأمانة، فهو أمين الله في أرضه. وإذا وفى بالقيام وصدق الله فيه، فعين الله ترعاه، وهو المستحق لاسم الإيمان.

قال تعالى: ﴿ **إن المتقين في مقام أمين** ﴾[1]. فهو واحد الله في أرضه في كل وقت. وإنما سمي جبرئيل أمين الله، قال تعالى: ﴿ **عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين** ﴾[2].

فقال أهل التفسير: حل من الأمانة محلاً أن يدخل سبعين ألف حجاب من نور بغير إذن، وائتمنه الله على وحيه، فبرز اسمه في السموات بأنه أمين، واستحق دخول الحجب بلا إذن، وفي كل حجاب سر. ولذلك تجد ملوك الدنيا لا يطلق الدخول لأحد بغير إذن متى شاء إلا لمن ائتمن على أسرار ما في وراء الحجاب.

(١) سورة الدخان آية رقم ٥١.
(٢) سورة التكوير آية رقم ٢٠، ٢١.

الأصل الحادي والأربعون والمائتان

في فضيلة غض البصر

عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «من نظر إلى محاسن امرأة فغض طرفه في أول نظرة، رزقه الله تعالى عبادة يجد حلاوتها في قلبه»[1].

فمحاسن المرأة مجالس الشيطان وموضع زينته التي قال تعالى: ﴿ **رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض** ﴾[2].

فتلك الزينة يلقيها على المحاسن. فان وجد العبد في النظرة على غفلة عملت الزينة التي بيده على عين الناظر عملاً ينفذ إلى القلب، فيأخذ القلب بمنزلة السهم المسموم إذا خلص إلى الجسد، فقد سمه من طرف السهم، فدب في جميع الجسد. فتلك الزينة التي بيد العدو لها سم. فاذا ألقاها على محاسن المرأة، فانما يلقيها ليهيج نفوس الآدميين

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٥ : ٢٦٤ ثنا إبراهيم بن إسحاق ثنا ابن مبارك وعتاب قال: ثنا عبدالله هو ابن المبارك أنا يحيى بن أيوب عن عبيدالله بن زحر عن علي ابن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال : وذكره.

(٢) سورة الحجر آية رقم ٣٩.

التي هي ساكنة. فإذا نظرت العين، وحظها من الدنيا زينة الأشياء وألوانها، فاذا أخذت الزينة وألوانها على غفلة، وتخطى إلى ما لم يؤذن له في النظر إليها، أو فيما أذن له وهو غير ذاكر لله، خلصت تلك الزينة التي بيد العدو إلى النفس فهيجتها، فصارت بمنزلة السم، يدب في جميع الجسد. فإذا تأدت إلى القلب، خالطت حلاوة الإيمان وحرارته، فتكدر الإيمان وانكسفت المعرفة، فصارت بمنزلة شمس صارت في كسوف، فعلق القلب بتلك النظرة بالمنظور إليها، وصارت كجراحة مسمومة. والذي حل بداود (عليه السلام) إنما كان من نظرة واحدة. والعبد أعطى جفون الناظرين حجة عليه وقطعاً لعذره وإخراساً للسانه.

وفي الخبر أن الله تعالى يقول: «يا ابن آدم إن نازعتك عينك فأطبق، فقد جعلت لهما طبقاً. وإن نازعك لسانك فأطبق، فقد أعطيتك طبقاً. وإن نازعك فرجك فأطبق، فقد أعطيتك طبقاً» . (يريد به الفخذين). فهذا من الله تأييد لعبده. فإذا استقبل زينة الشيطان التي أعدها لغوايته بها بتأييده الذي أيده به، جاءت العصمة بعد التأييد، وسكنت النفس، وبطل كيد العدو، وأثابه الله في عاجل الدنيا ثواباً أن رزقه عبادة يجد حلاوتها مع ما يدخر له من ثواب الأجل.

وفي الخبر: ما ترك العبد شيئاً من الدنيا لله إلا آتاه الله خيراً منه وأفضل.

وقال تعالى في قصة سليمان (عليه السلام): ﴿ **نعم العبد إنه أواب** ﴾. إلى قوله: ﴿ **وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب** ﴾[1].

أخرجت له خيول من البحر منقوشة ذوات أجنحة، فشغلته عن صلاة العصر حتى غربت الشمس، فدخلت عليه حرقة الفوت، ووجد من

---

(١) سورة ص آية رقم ٤٠.

ذلك وجداً شديداً، فسخر له الريح ثواباً لعاجله، ثم أعد له ثواب الأجل فقال: ﴿ **وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب** ﴾.

فمن غض بصره، فقد رد حلاوة هاجت منه حين أحست نفسه بالنظرة الأولى التي كانت له، فرد تلك الحلاوة على النفس، فرجعت النفس قهقرى على عقبيها، وبقيت خزانة الله مصونة، فأعقبه الله تعالى في عاجل دنياه بما صان خزانته، فأهاج من الخزانة من شرارات المعرفة حلاوة عبادة طرية، وخلصه من وبال النظرة، وجعل تلك العبادة حصنه، وتلك العبادة زاد قلبه، يقطع بها مسافة العبودة أيام الحياة. وحلاوة العبادة تحفة من الله تعالى، وأصلها من هيجان المعرفة. فالعبادة كثيرة، وحلاوته عزيزة لا تنال إلا من طريق التحف، فهي زاد قلوب العابدين، وبالزاد يقطع الأسفار، أسفار الملكوت.

قال (عليه السلام): «أحب العيون إلى الله تعالى عينان: عين غضت عن محارم الله. وعين حرست في سبيل الله»[1]. وقال تعالى: ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم** ﴾[2].

فخرجت مخرج النصيحة والعطف والتأييد. وقال في سائر الأشياء افعلوا ولا تفعلوا، وبين الأمر والقول بون بعيد. فوجد السابق سبيلاً إلى صفاء الانتهاء، والمقتصد سبيلاً إلى الانتهاء مع التنازع. قال تعالى: ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** ﴾[3].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في فضائل الجهاد باب ١٢ ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله ١٦٣٩ ــ حدثنا شعيب بن رزيق أبو شيبة، حدثنا عطاء الخراساني عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.

قال الترمذي: وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة، وحديث ابن عباس: حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث شعيب بن رزيق.

(٢) سورة النور آية رقم ٣٠.

(٣) سورة غافر آية رقم ١٩.

والمقتصد حظه منه ما يتخلص من خيانة العين، وما في الصدور باق.

وكانت أم سلمة وميمونة (رضي الله عنهما) عند رسول الله ﷺ فدخل عليه ابن أم مكتوم، فقال (عليه السلام): احتجبا منه. فقالتا: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال ﷺ: أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه[1].

وقال تعالى: ﴿ **وإذ سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب** ﴾. ثم قال: ﴿ **ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن** ﴾[2].

اعلم أن المبتغى منهم طهارة القلوب. وإنما تطهر القلوب بحفظ الحواس المؤدية الأخبار إلى الباطن. وقد حذر الله عباده شأن الزناة وعظمه وبيَّنَ عقوبته وبيَّنَ الرسول أن لكل جارحة منه حظاً.

قال (عليه السلام) : « العين تزني، واليد تزني، والرجل تزني، والسمع يزني، ويصدق ذلك كله ويكذبه الفرج »[3].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأدب باب ٢٩ ما جاء في احتجاب النساء عن الرجال ٢٧٧٨ ــ عن ابن شهاب عن نبهان مولى أم سلمة أنه حدثه أن أم سلمة حدثته أنها كانت عند رسول الله ﷺ وميمونة قالت: فبينا نحن عنده أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله ﷺ احتجبا عنه فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا.. ؟ فقال ﷺ وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ورواه أبو داود في اللباس ٣٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٦ : ٢٩٦ (حلبي).

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٥٣.

(٣) الحديث أخرجه الامام مسلم في كتاب القدر ٢٠ (٢٦٥٧) بسنده عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما قال ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة ان النبي ــ ﷺ ــ قال: وذكره.
ورواه البخاري في الاستئذان ١٢ والقدر ٩ وأبو داود في النكاح ٤٣ وأحمد ابن حنبل في المسند ٢: ٢٧٦ (حلبي).

فتكذيب الفرج إياهن أن لا يوجب حداً. فأما الأدناس والآثام فقد أصابت الجوارح وحلت به.

قال خالد بن عمران : لا تتبعن البصر والنظر. فربما نظر العبد نظرة ينفل فيها قلبه كما ينفل الأديم في الدباغ فلا ينتفع به.

قال (عليه السلام) : « النظر الى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس مسموم. فمن صرف بصره عنها رزقه الله تعالى عبادة يجد حلاوتها ».

وقال عيسى (عليه السلام) : « إياك والزناء، فانه من غضب الرب، وإنما يثيره النظر والشهوة واتباعهما، ولا تكونن حديد النظر إلى ما ليس لك فإنه لن يزني فرجك ما حفظت عينك. وإن استطعت أن لا تنظر إلى ثوب المرأة التي لا تحل لك فافعل، ولا تستطيع ذلك إلا بالله ».

وعن علي (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : إن لك من الجنة كنزاً، وإنك ذو قرنيها، فلا تتبعن من النظرة النظرة، فان لك الأولى وليست لك الأخرى »[1].

فمعنى الكنز فاطمة، وقرنيها الحسن والحسين (رضي الله عنهم) صيرها بمنزلة الكنز، لأن الكنز موضوع مستور إليه الموبل وسائر المال ظاهر يذهب ويجيء. والكنز أصل المال. فشبه فاطمة (رضي الله عنها) من نعيم الجنة بالكنز من المال. ثم قال : وأنت ذو قرنيها، نسب

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأدب باب ٢٨ ما جاء في نظرة المفاجأة ٢٧٧٧ — عن أبي ربيعة عن ابن بريدة عن أبيه رفعه قال: يا علي وذكره. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك. ورواه أبو داود في كتاب النكاح ٤٣ والدارمي في الرقاق ٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٥ : ٣٥١، ٣٥٣ (حلبي).

القرنين إلى فاطمة (رضي الله عنها)، ومعناه أن الحسن والحسين (رضي الله عنهما) قرناها. وإنك يا علي ذو القرنين. أي تجد الحسن والحسين وهما سيد أهل الجنة لك ولداً.

وقال ﷺ : « أربع نساء سيد نساء العالمين : مريم، وآسية، وخديجة، وفاطمة »[1].

وقال : « إنما فاطمة بضعة مني »[2]. وقال لها عند موته : « إنك أسرع الناس لحوقاً بي » فضحكت[3].

فبشر علياً (رضي الله عنه) بأنها لك في الجنة، ثم أوصاه على أثر البشرى وصية الرسل على التلطف، يحذره إتباع النظرة النظرة، لئلا يطمس وجه الكنز ولا يغير ما به من نعمة الله، فإنه يحتاج إلى التطهير في شأن الوصول إلى الكنز. وكان ﷺ إذا خص أحداً من أصحابه بموعظة وتحذير، فإنما يقصد قصد النكبة التي يخاف عليه منها. وكان الغالب على قلب علي (كرم الله وجهه) محبة الله، والمحبة تسير إلى الله في ميدان السعة والتشجع في الأمور. والمحبة لها حلاوة

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب المناقب ٣٨٧٨ عن قتادة عن أنس ــ رضي الله عنه ــ أن النبي ﷺ قال: وذكره وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب المناقب ٣٨٦٧ عن ابن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر وذكره. ورواه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة ١٥ باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام ٩٣ (٢٤٤٩) بالسند السابق ذكره.

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب مناقب الصحابة ٩٩ عن فراس عن مسروق عن عائشة قالت اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهم امرأة فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال: مرحباً يا بنتي فأجلسها عن يمينه وعن شماله: وذكره. ورواه الترمذي في كتاب المناقب ٣٨٧٢ عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: وذكره.

وحرارة تهييج الشهوة، وتذيب ماء الصلب. فحذره (عليه السلام) ما كان يخاف عليه فبشره بالكنز والقرنين، ثم أتبعه الوصية، وحذره كي يشفق على ما بشره له في الجنة، ويكون عوناً على غض بصره ورد نفسه.

قال (عليه السلام) : « لأعطين رايتي غداً لرجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله »[1].

فشهد له الرسول بحب الله إياه وبحب الله. والمرء ينسب إلى ما يكون الغالب عليه من الأمور والأعمال. فكذلك من الحظوظ، إنما ينسب أصحاب القلوب كلٌ إلى ما وفر له من الحظ من ذلك الشيء. فأبو بكر منسوب إلى الرحمة. وعمر منسوب الى الحق. وعثمان منسوب إلى الحياء. وعلي منسوب إلى المحبة. وإنما نسب كل واحد منهم إلى ما هو الغالب عليه. وكان علي (كرم الله وجهه) ظاهر الأمر من بين الأصحاب في شأن الثناء على الله تعالى وذكر الصفات. وهذا علم المحبين. وكان معروفاً بالانبساط والانطلاق والهشاشة إلى الخلق، والمزاح. حتى قال عمر (رضي الله عنه) في حقه : إنه رجل تلعابة. وقال مرة أخرى : به دعابة.

وهذا لمن الغالب على قلب محبة الله تعالى. لأن القلب ينبسط عند المحبة، وينقبض عند المخافة. فإذا غلبت المحبة على الخوف، انبسط. وإذا غلب الخوف على المحبة، انقبض. لأنه يلاحظ العظمة، وفي وقت الانبساط يلاحظ جوده وكرمه. فكان انبساط علي (رضي الله عنه) إلى الخلق ومعاملته إياهم حسب ذلك من السعة والبشر

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة ١١ والبخاري في الجهاد ١٠٢، ١٢١، ١٤٣ فضائل اصحاب النبي ٩ ومسلم في فضائل الصحابة ٣٢ــ٣٥ والترمذي في المناقب ٢٠ واحمد بن حنبل في المسند ١: ٩٩ (حلبي)

والهشاشة. وبتلك القوة أمكنته المحاربة وتشجع فيه. ومن كانت هذه صفته كانت شهوته هائجة، وكان قرماً في أمر النساء. وكان يقول : كنت رجلاً مذاء، فكنت أغتسل في اليوم مرات حتى شجئت، وكنت أستحيي أن أسأل رسول الله ﷺ من أجل ابنته، فأمرت المقداد أن يسأله، فسأله، فقال : يجزيك الوضوء.

وكان قد همَّ أن يتزوج علي فاطمة (رضي الله عنها) حتى خطب رسول الله ﷺ على المنبر فقال : إن بني المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم من علي، وإن فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها، ألا فإني لا آذن ثم لا آذن[1].

وكان علي (رضي الله عنه) يريد أن يخطب العوراء بنت أبي جهل، فقال ﷺ : وما كان لعلي أن يجمع بين ابنة نبي الله وابنة عدو الله، وإن فاطمة بضعة مني، يغضبني ما أغضبها.

ووقعت في سهمه يوم فتح مكة جارية من سبي هوازن، فذهب بها مستعجلاً إلى أخته أم هانئ لتزينها، فهم في ذلك إذ نادى منادي رسول الله ﷺ : خلوا عن السبايا. فبقي على قارعة الطريق، ودخلت أم أيمن على فاطمة (رضي الله عنها) فرأت في وجهها شيئاً أنكرته، فسألتها، فأبت أن تخبرها، فقالت : إن أباك كان لا يكتمني شيئاً، فقالت : جارية وهبها أبو بكر لعلي. فخرجت أم أيمن فنادت : أما لرسول الله حق أن يحفظ من أهله؟ فقال علي (رضي الله عنه) : ما هذا؟ فقالوا له : أم أيمن تقول كذا. فقال علي (رضي الله عنه) : الجارية لفاطمة (رضي الله عنها). ومات يوم مات عن سبع عشرة، من بين حرة وأم ولد، وكان هذا كله من غلبة ما ذكرنا على قلبه.

---

(١) الحديث رواه الترمذي باب ٦١ فضل فاطمة بنت محمد ﷺ ٣٨٦٧ عن ابن أبي مليكة وعن المسور بن مخرمة قال: سمعت النبي ﷺ وذكره.

وقد حذره (عليه السلام) النكبة التي عرفها فيه وعرفه خطرها ووبالها.

وكان من شأنه ﷺ إذا عرف من رجل شيئاً يخاف عليه منه وعظه من ذلك الباب. ولهذا أخذ بطرف عمامة الزبير، وقال : يا زبير إني رسول الله إليك خاصة، وإلى الناس عامة، يا زبير إن الله تعالى يقول : أنفق أنفق عليك، ولا تصر فأصر عليك.

هو إنما قصده بهذا لأن الزبير كان يزن ببخل. وبلغ من إمساكه أنه كان يوصي إليه أفاضل أصحاب رسول الله ﷺ في أموالهم لعلمهم بإمساكه.

الأصل الثاني والأربعون والمائتان

في فضيلة صوم شهر رمضان

عن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال : إن شهر رمضان شهر فرض الله على المسلمين صيامه، وسننت لكم قيامه. فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً، خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه[1].

« صامه إيماناً » أي آمن بما افترض الله عليه، ثم صامه على تلك النية. والصوم والعزم عن الكف عن كل شيء يطعم ويشرب، وعن إتيان النساء. وهذا العزم بين العبد وبين ربه، لا يطلع عليه أحد، فهو في كل ساعة من يومه إذا اعترضت له شهوة، فإنما يمتنع منها لإيمانه بأن الله تعالى مطلع على سره وإضماره. فذاك منه إيمان في كل وقت

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين ١٧٥ (٧٦٠) حدثنا أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. ورواه البخاري في كتاب الإيمان ٢٨ والصوم ٦ وليلة القدر ١ وأبو داود في رمضان ١ والترمذي في الصوم ١ (٦٨٣) عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

وساعة في رد كل شهوة مع طمأنينة نفسه بإن الله تعالى يعلم عزمه وضميره في هذا الكف، فيستقر لذلك قلبه ويعظم أمله، هذا أكله إيمان.

وقوله (عليه السلام) : « إيماناً واحتساباً » فكل عمل ابن آدم إنما يقوم بالنية والحسبة. والنية قربتان تجريان في الأعمال معاً. فإذا انقطعت النية، انقطعت الحسبة. والنية نهوض القلب إلى الله تعالى، وبدؤها الخاطرة، ثم المشيئة، ثم الإرادة، ثم النهوض، ثم اللحوق إلى الله تعالى بعقله وعلمه وذهنه وهمته وعزمه وإضماره. فههنا تتم النية. ومن ههنا يخرج إلى الأركان، فيظهر على الجوارح فعله. فمبدأ النية نهوض القلب ومنتهاه عزمه، ثم الارتحال. يقال : ناء ينوء، أي نهض، والعزم عقد القلب، ولا يكون نية إلا بالعقد. فإذا صح العزم خرج الرياء والفخر والخيلاء من جميع أعماله.

ثم الناس بعد ذلك على طبقات: فالعامة لا بد لهم من أن يأتوا بهذه الصفة في كل عمل يلتمسون ثوابه غداً، وذلك موجود في العامة من الموحدين في كل عمل أخلصوه لله تعالى. فهذه الخصال موجودة في ذلك العمل إلا أنه لا يحسن أن يميز هذا الاسم ويطالعه بقلبه في صدره. لأن الصدر مشحون بأفعال النفس وفتنها ووساوس شهواتها. فمن أين يبصر في صدره الخواطر والمشيئآت والإرادات والنهوض والإرتحال. إلا أن الله لما رحم الموحدين ومنّ عليهم بالتوحيد ضمن هذه الأشياء توحيدهم، وأودعها قلوبهم. فهم بتلك القوة يعملون أعمال البر. فربما أخلصوا، وربما خلطوا. وربما إطمأنوا، وربما نافقوا. ولذلك وقع الحساب في الموقف لتخلط الإيمان بالنفاق، والصدق بالكذب، والإخلاص بشرك الأسباب.

وإنما يستبين ما وصفنا لقلب أجرد أزهر، في صدر فسيح، قد شرحه الله للإسلام، فهو على نور من ربه، رطب بذكر الله، قد لان بلطفه،

ورطب برحمته، وصلبت بآلائه. وبذلك وصفه ﷺ فقال: « قلب المؤمن أجرد أزهر »[1].

فصدره كمفازة جرداء فيها شموس تزهر. ولهذا قال ﷺ: « ان لله في الأرض أواني، ألا وهي القلوب، فخيرها أصفاها وأرقها وأصلبها ».

فأصفاها من كدورة الأخلاق، وأرقها للإخوان، وأصلبها في ذات الله تعالى.

فأما الناس في النية على طبقات، فنية العامة ارتحالهم إلى الله بهذا العقل والعلم والذهن والهمة والإضمار والعزم، ومبلغ ارتحالهم الجو. إذ ليس لقلوبهم من القوة ما يرتحلون ويطيرون، لأنه لا ريش لقلوبهم، فيطيرون والجو مسدود، لأن القلوب لما مالت الى النفوس فأطاعتها، انسد طريقها إلى ربها، لأن القلوب إنما أعطيت معرفة التوحيد ومَنَّ عليها بذلك لتمد النفس بما فيها من الشهوات الى الله فتطيعه، فتمت حجة الله على القلب بما أعطى من القوة البالغة. فلما ضعف ولم يتشمر لأمر الله بما أعطي من الجنود، ولم يجاهد النفس حتى يغلبها ويأسرها بجميع ما فيها من الشهوات فيذلها. وقال تعالى: ﴿ **وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم** ﴾[2].

أي رفعكم من بين الأعداد جباية منه لكم ليتخذكم أحباباً، ووضع

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ١٧ ثنا أبو النضر، ثنا أبو معاوية يعني شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة، عن أبي البحتري عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ القلوب أربعة قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد وذكره.

(٢) سورة الحج آية رقم ٧٨ وقد جاءت هذه الآية محرفة في المطبوعة حيث قال (جاهدوا) بدلاً (وجاهدوا).

في قلوبكم التوحيد بحلاوته، كي إذا جاءت النفس بحلاوة شهواتها إلى القلب، ضربت بتلك الحلاوة وجهها، وردها بقوة هذه الحلاوة الممنون عليه. فإذا لم يجاهد وانخدع لنفسه وبما تأتي به، تحيرت الجوارح، وتعطلت الأعمال التي بها وكلوا.

فهناك تجده لا يلتذ بطاعة ولا يستروح إلى ذكر، إذ لا يجد رائحة الذكر، لأنه يخرج من صدر كالمزابل، محشو بالخبث والخيانة، والظلم والعدوان، والرغبة والتجبر، والتعزز والتكبر، والاستبداد والحقد، والغلو وحب الأشياء التي يضاهي الله بها وينازع رداءه، فيرجو صاحبه أن يلتذ بطاعة أو يستروح إلى ذكر، أو يجاوز قلبه في عمله. فإن اجتهد فأخلص في شيء وأخذ بحرمة ذلك التوحيد وقوته، فبجهد شديد، ولا يجاوز قلبه الجو. فهذا شأن العامة.

وأما الصادقون وهم العباد والزهاد والقراء فنياتهم صاعدة عن هذه الأشياء التي ذكرنا من العقل والعلم والفهم والهمة والعزم والإضمار. فإذا بلغ المحل الذي هناك، استقر القرار في بيت العزة في سماء الدنيا، وضعفوا عن تجاوز ذلك إلى ما فوقه، لأنه لا يقدر قلبه على الطيران إلى العلى، وعلى قدر علمه وعقله وذهنه واستعماله ذلك يمكنه أن يطير، فتحظى تلك النفوس من ذلك المحل ويأخذ قوتها، ويستمر في الطاعة.

وأما العارفون، وهم الصديقون فإن نياتهم قد صارت كلها نية واحدة، لأن القلب قد ارتحل إلى الله تعالى بمرة، ووجد الطريق، واشتغل بالنفس بما فيها من الشهوات لينة منقادة، قد تحولت من الخيانة إلى الأمانة، وانقادت للقلب. فالقلب أمير، والنفس أسير. فارتحال قلوبهم إلى المعسكر عند ذي العرش، ولهم مطاف، وأعمالهم معروضة على الله في كل معرج، وينظر إليها الرب ويتقبلها، ثم توضع بعد القبول في الخزائن الخاصة.

وأما العارفون، حكماء الله فهم الذين أطلعوا على بدو الربوبية ومحل القدرة. فهم خاصة الله من بحور الله، يعملون جميع الأعمال، والأعمال غائبة عن القلوب، لأن الله تعالى نصب أعينهم في مجلس الملك. فأجمل رسول الله ﷺ ذكر النية فقال: « الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى »[1]. يعلمك أن للنية درجات، كل على درجته ينال ثمرتها.

وقال ﷺ: « لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له »[2].

والحسبة أن يحتسب على الله تعالى من العبودة التي قبل منه، لأن العبد في رق العبودية إلى يوم خروجه من الدنيا. لأنه خلقه ليعبده، ثم وعده أن يحرره يوم القيامة إذا أتاه بالعبودة، فيقعده ملكاً في دار السلام. قال الله تعالى: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾[3].

فنحن نسعى في هذا الرق الى يوم خروج الروح وقبض النفس عن الدنيا. فمن أراد الآخرة، وسعى لها سعيها وهو مؤمن، فأولئك كان سعيهم مشكوراً. شكر الله لهم بمغفرة الذنوب والرضاء عنهم،

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٢٦ باب النية ٤٢٢٧ ـــ أنبأنا يحيى بن سعيد أن محمد بن إبراهيم التيمي أخبره أنه سمع علقمة بن وقاص أنه سمع عمر بن الخطاب ـــ وهو يخطب الناس فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره. ورواه البخاري في بدء الوحي ١ والعتق ٦ ومناقب الأنصار ٤٥ والطلاق ١١، والحيل ١ ومسلم في الإمارة ١٥٥ وأبو داود في الطلاق ١١ والنسائي في الطهارة ٥٩ والطلاق ٢٤.

(٢) الحديث رواه الديلمي في مسنده عن أبي ذر ـــ رضي الله عنه وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير بلفظ (لا أجر الا عن حسب ولا عمل الا بنية)

(٣) سورة الذاريات آية رقم ٥٦.

وتمليكهم الجنان، وقضاء المنى والشهوات على التأييد ورضوان من الله أكبر. وإذا آمن العبد بربه ألقى بيديه سلماً إليه، وقبل أمره وعبودته، قبله الله وأقبل عليه بالعون. قال تعالى: ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا** ﴾[1] أي من العون والنصرة.

وإذا أعرض مغتراً بخدائع النفس وأمانيها وأكاذيبها فأقبل على النفس، وقبل منها ما تأتي به، فقد أعرض عن الله تعالى ومال عنه، وأعرض الله عنه، وعذب قلبه، وانقطع المدد والعون. فإذا تاب إلى الله وفزع وأدركه رحمة الله وغوثه بأن فتح باب الرحمة نظراً منه لمنته وأياديه التي كانت له عند العبد، فوجد القلب خلاصاً، وعاد العون والمدد، فلم يزل العبد يترقى درجة درجة، وتفضل الله عليه بالكرم، وجاد بالإقبال فانتعش بعد النكس، وحيي بعد الموت، حتى توردت بساتين توحيده، وانفطر مكنون جواهره، كانفطار الينابيع وانفلاق الحبوب عن بذرها وازدهرت وأينعت. وذلك قوله تعالى: ﴿ **فالق الحب والنوى** ﴾[2]، و ﴿ **فالق الإصباح** ﴾[3]، و ﴿ **يخرج الحي من الميت** ﴾[4].

فأخذ العبد يسعى في الرق والعبودية. فكلما عمل براً من الأعمال احتسب به على الله في العبودة التي قبل منه كمن عليه دين في عنقه، فهو يفك رقبته بادائه شيئاً بعد شيء. وكل شيء يؤديه إلى صاحب الدين احتسب عليه في قضاء الدين الذي في عنقه. فهذا العبد يحتسب في نفسه وفي ذاته بهذا الفعل يحسبه على الله تعالى في قضاء دينه وهو العبودة التي لها خلق التي قبلها. فاذا نوى واحتسب فقد أخلص.

---

(١) سورة النحل آية رقم ١٢٨.

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٩٥.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ٩٦.

(٤) سورة الأنعام آية رقم ٩٥.

قال الله تعالى: ﴿ **ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾[1]. فيكتب له أجر العبودة. ولذلك قال (عليه السلام) : « لا أجر لمن لا حسبة له[2] ».

فرب رجل يعمل أعمال البر على العادة لا على يقظة العبودة فلا يكون له احتساب. ولهذا قال (عليه السلام) : « ومن غشيانك أهلك صدقة ». قالوا : يا رسول الله : نأتي شهواتنا ونؤجر؟ قال : أرأيت لو وضعتها في حرام أكنت توزر؟ قالوا : نعم. قال : فتحتسبون بالشر ولا تحتسبون بالخير؟[3].

معناه إذا زنى إنما قصد قضاء الشهوة فاحتسب على النفس باعطائها منيتها، وقضائها شهوتها. فإذا وضعها في حلال وأراد العفة عن الحرام، احتسب بها قضاء عن العبودة، فصار ذلك منه صدقة على أهله. ولذلك قال معاذ لأبي موسى : أنا أنام نصف الليل وأقوم نصفه، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي. فاذا نام العبد تلذذاً، وأتى أهله تلذذاً، لم يحتسبها قضاء على العبودة، بطل أجره وبقيت العبودة في عنقه، فلقي الله وقد خسر أجر العبودة في ذلك الوقت الذي عطله. وإذا مال بهذه الشهوة إلى الحرام، فانما يقضي عبودة النفس، وقد خلقه الله تعالى ليعبده فقبل منه، ثم ذهب فصير نفسه عبداً لنفسه وشهواته، وذهب بعبودة الله إليها، ولهذا استوجب اللعنة من رسول الله ﷺ حيث قال :

---

(١) سورة البينة. آية رقم ٥.

(٢) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي ذر — رضي الله عنه والسيوطي في الجامع الصغير

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الزكاة ٥٣ (١٠٠٦) عن يحيى بن عقيل، عن يحيى بن معمر عن أبي الأسود الديلي عن أبي ذر أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ وذكره. ورواه أبو داود في كتاب الأدب ١٦٠ وأحمد بن حنبل في المسند ٥ : ١٥٤، ١٦٧، ١٦٨ (حلبي).

« لعن عبد الدينار، لعن عبد الدرهم، لعن عبد الخميصة، وشيك فلا انتقش، حبذا عبد الله وعبيد الله »[1].

وقال ﷺ: « لكل أمرئ ما احتسب وعليه ما اكتسب، والمرء مع من أحب، ومن مات على ذنابى طريق فهو من أهله »[2].

معناه ما ذكرنا أن ما احتسب قضاء عن العبودة فهو له، وما لم يحتسب ولكن اكتسب فهو عليه.

وقال تعالى : ﴿ **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** ﴾[3] لأن الكسب فعل الأركان، والاكتساب فعل الذات. يكتسب إتباع الهوى فيما تقضي النفس من مناها وشهواتها ولذاتها فذاك عليه. وإذا جاء الاحتساب من قوة القلب بذكر العبودة مع النية الصادقة، فتلك النية تحول العمل. فصار للنية لا للهوى، فيحتسب به على الله قضاء العبودة، لا قضاء الفهمة والشهوة. فاذا صام رمضان إيماناً بما كتبه الله عليه، وبأنه يطلع على عزمه في صومه ورد شهواته في ساعات يومه، فذاك كله إيمان يتجدد عليه كل ساعة، وهو سر بينه وبين ربه، لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل. ولذلك قال : « الصوم لي وأنا أجزي به »[4].

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٨ باب في المكثرين ٤١٣٦ ــ عن صفوان عن عبدالله بن دينار عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره. ورواه البخاري في كتاب الجهاد ٧٠ والرقاق ١٠.

(٢) الحديث رواه الترمذي عن أنس ــ رضي الله عنه وأشار السيوطي بالصحة

(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٨٦.

(٤) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الصيام ٣٠ باب فضل الصيام ١٦٤ حدثنا الأعمش عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل: وذكره. ورواه الإمام البخاري في الصوم ٢ والتوحيد ٣٥، ٥٠ واللباس ٧٨ ورواه النسائي في الصيام ٤١، ٤٢ وابن =

لأنه في ما بينه وبينه ففي كل ردة من العبد لشهوة تعرض له جزاء من ربه، وهو لا تدركه الحفظة والكتبة.

= ماجة في الأدب ٥٨ وصاحب الموطأ ٥٨ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٤٤٦، ٢ : ٢٣٢، ٢٢٤، ٢٨١، ٨١٣ (حلبي).

الأصل الثالث والأربعون والمائتان

في فضيلة الأمور الثلاثة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : أوصاني حبيبي أبو القاسم ﷺ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وأن لا أنام إلا على وتر، وركعتي الضحى.

وقال أبو الدرداء (رضي الله عنه) قال رسول الله ﷺ : « يا عويمر حافظ على أن لا تبيت إلا على وتر، وركعتي الضحى مقيماً أو مسافراً، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، تستكمل الزمان كله »[1]. أو قال : تستكمل الدهر كله.

العبد محسوب عليه عمره، معدود له أنفاسه، مقتضى منه العبودة في كل نفس من عمره، فأمر بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وقبول ما جاء به الرسول من عنده على صدق الاعتقاد من قلبه، ثم اقتضى ما قبل من الله تعالى مجملاً في جميع عمره. فمنه ما اقتضى من وقت دون وقت، وهو الفرائض، ومنه ما اقتضى

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب في الوتر قبل النوم ١٤٣٢ ــ عن قتادة عن أبي سعيد من أزد شنوءة عن أبي هريرة قال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث وذكره.

من الأوقات كلها، وهو العبودة في كل نفس، فأجمل الله تعالى بعطفه وكرمه للعباد أمراً أجمل به العبودة، كي إذا فعلوها، استكملوا الدهر كله عبودة فدلهم لعبودتهم في النهار على ركعتي الضحى بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم. فإذا أدى المفروضة من صلاة الفجر، انتظر طلوع الشمس وتحليل الصلاة، فإذا أضحت صلى ركعتين على سبعة أجزاء بسبع جوارح، مقسومة هذه الأجزاء بما ضمنت وحشيت على ثلاثمائة وستين جزءاً ليخرج إلى الله من صدقة النفس.

وذلك قوله ﷺ : « إن على كل آدمي ثلاثمائة وستين سلامى على كل سلامى منها صدقة. وركعتي الضحى تجزيك من هذا كله »[1].

فهذا صلاة يومه للعبودة.

وأما صيام ثلاثة أيام من كل شهر فالحسنة بعشرة أمثالها. فصوم ثلاثة أيام من كل شهر يعدل ثلاثين يوماً. فقد صار العبد بهذا صائماً في جميع عمره، وبركعتي الضحى قائماً بهذا في نهاره كله.

فأما في ليله فالفوز بصلاة الوتر. فاذا كان صائماً قائماً في نهاره وبوتره فائزاً، فقد استكمل الزمان كله. فهذه دلالة الله لأهل السعادة على ما به يستكملون العبودة بعد أداء الفرائض واجتناب المحارم. فمن داوم على هذا كان اسمه في ديوان الصائمين القائمين الفائزين وهو طاعم وشارب ونائم، ليعلم يسر الله تعالى لهذه الأمة، ورفع الحرج عنهم في دينه وسماحته فيما اقتضاهم مما له خلقهم. فالوتر محبوب الله تعالى فيما خلق من الأشياء، وقد كتب عليهم الخمس المفروضات

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه الإمام أحمد في المسند ٥ : ١٧٨ ثنا يزيد أنا هشام عن واصل عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: وذكره.

غياثاً لهم ليطفئوا بها حريقهم، وما من صلاة يدخل وقتها إلا قال أهل السماء : يا بني آدم قوموا إلى نيرانكم فأطفئوها. فصرن هذه الخمس مكتوبات والعهد في الكتاب. فإذا أوفوا بالعهود أوجب لهم الجنة، ثم كان من عطفه أن زادهم صلاة الوتر على لسان رسول الله ﷺ.

فالصلوات الخمس تكفير لسيئآتهم، وفي ذلك الموقف من الوتر نوال تملأ منه رغبتهم ومركز يجدون منها معاذاتهم. فالنوم بعد النوال أفضل من أن يؤخرها إلى آخر الليل. فإذا أوتر أول الليل، عرجت نفسه إلى الله في منامها مع الفوز بالنوال والمعاذ. فلذلك أوصاه (عليه السلام) : أن لا ينام إلا على وتر، فكان أبو بكر (رضي الله عنه) يوتر قبل أن ينام، فقال له رسول الله ﷺ : متى توتر يا أبا بكر؟ قال : في أول الليل. قال : أخذت بالحزم. وقال لعمر (رضي الله عنه) : متى توتر يا عمر؟ قال : آخر الليل. قال : أخذت بالقوة[1].

فالحزم احتياط وثقة. والقوة ملكة النفس. وأبو بكر لاحظ كنه الوتر، ولهذا قال : أحرزت نهى وابتغي النوافل. معناه أن في موقف الوتر نثار الله وغنمه فينتهبه ويبتغي فيما بقي من الليل نوافل الرب. وعمر لاحظ الساعة التي يؤدي فيها الوتر من ساعات الليل، وهي الساعة التي آثرها الله، فهبط إلى السماء الدنيا، واطلع على عباده وناداهم، وهي ساعة اهتز لها العرش، واشتغلت الملائكة في صفوفها، وانقطعت صلاتهم لما رأوا من هبوط الرب إلى سماء الدنيا، سماء العبيد، واطلع عليهم وناداهم. وقد جعل الله تعالى للعباد موقفين، موقف في كل سنة من تاسع ذي الحجة، وهو موقف الحج، وموقف في كل ليلة بعد صلاة العشاء في الركعة التي وسمها بالوترية. تلك ركعة عليها

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الصلاة باب في الوتر قبل النوم ١٤٣٤ ــ ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبدالله بن رباح عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال: وذكره.

سمة الله تعالى بأن فضلها على الأعمال. فموقف الحج نطق به الكتاب، وموقف الوتر نطق به لسان رسول الله ﷺ.

وللعباد في هذين الموقفين من الله نوال وقرات أعين لا يخطر على قلب بشر. فموقف الحج موقف المباهاة، موقف الإسلام. ألا ترى أنه يقال حجة الإسلام، وقف العبد ليسلم إليه رقبته عبودة ليتخذه عبداً، فباهى الله به في سمائه، وهبط إلى سمائه العبيد ليطلع إليهم، ويباهي بهم ملائكته. والمباهاة أن يريهم بهاء الإسلام الذي على عبيده في تسليمهم النفوس إليه معتذرين منعرضين ملقين بأيديهم إليه سلماً، رافعي أيديهم إليه طمعاً. فيقول للملائكة : انظروا إلى عبيدي. فتلك المباهاة ومو‌قف الوتر موقف هدايا المعرفة للأولياء والأصفياء، وحرمة الإسلام للصادقين المجتهدين، والرحمة للعامة الموحدين، فيدخل من ذلك الموقف على الله بالتكبير، ويقف بين يديه في القنوت يرفع إليه رغباته، ويعتذر إليه من عمل نهاره، من تقصيره وتفريطه، ويفتقر إلى الله تعالى ويتباءس، ويتمسكن ويتخشع، ويتضع ويتعوذ من الأهوال والأخطار الذي هو عليها، ويخرج منه ثناؤه على ربه، ومحامده له، وذكر آلائه، وبث مننه، ونشر صنائعه، واعتراف بمساوئه، واعتذار وتوبة إليه، وقربة إليه، وتنصل بالاستغفار، وترضٍّ وملق وتضرع، واستعاذة بالمعاذ، وتختيم بالكلمة التي بها يستجاب ويخاف مما خص الله تعالى هذه الأمة.

قال (عليه السلام) : أمرني جبريل ولقاني عند فراغي من فاتحة الكتاب وعند الدعاء « آمين » وقال : « انه كالطابع على الكتاب »[1]

---

(١) روى أبو داود في كتاب الصلاة باب التأمين وراء الامام ٩٣٨ بسنده عن أبي مصبح المقرائي قال لنا نجلس الى أبي زهير النميري وكان من الصحابة فيتحدث أحسن الحديث فإذا دعا الرجل منا بدعاء قال: أختمه بآمين فإن آمين مثل الطابع على الصحيفة وذكره.

وإذا ختم العبد الدعاء بـ « آمين » صار الدعاء مطوياً بالكتاب، مصوناً عن الآفات، وعن تناوله، واطلاع ما فيه، وإنما ختم الكتاب لئلا ينشره أحد ولا يطلع عليه. فاذا ختم العبد الدعاء بـ « آمين »، صانه عن أن يطلع فيه، وصعد إلى الله بالختم، مطوياً، مصوناً عن الآفات، فيجيبه الله تعالى لأنه قد سبق منه القول بالخصوصية لأمة محمد ﷺ فقال تعالى : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾[1].

وفيهم ما فيهم من قلة الشكر والوفاء، وكثرة التخليط والاستخفاف بأمر الله، والإعراض عن حق الله، فلو لم يعطهم الختم حتى يختموا دعاءهم آمين فيصير الختم مانعاً لجميع الخلق بين العبد وبين الله من الهواء إلى العرش، فكان ممر دعائنا إلى العرش محل الدعاء ومعدن الإجابة والقضاء، لكان لا يخلو من أن يتعرض متعرض لافساد ذلك حمية لله تعالى، فان الخلق كلهم مطيعون، فإذا مرت عليهم دعوة العصاة، لم يؤمن أن يرموا فيها شيئاً يكون فيه فساداً.

قال ﷺ : ان على أبواب السماء حجاباً يردون أعمال أهل الكبر والحسد والغيبة.

وقال عليه السلام : إن العبد ليقول : يا رب اغفر لي. وقد أذنب، فتقول الملائكة : يا رب انه ليس لذلك بأهل. قال الله تعالى : ﴿ **لكني أهل أن أغفر له** ﴾[2].

فقد أعطى الله تعالى هذه الأمة كلمة الختم وهي : آمين. ليصعد دعوتهم إليه مختومة لا يطلع على ما فيها أحد، حتى لا يجدوا سبيلاً

---

(١) سورة غافر آية رقم ٦٠.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٤٢٩٩ بسنده عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه بلفظ (قال الله عز وجل أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معي اله آخر فمن اتقى ان يجعل معي إلهاً آخر فانا أهل ان أغفر له..)

إلى الطعن فيها، ودعاء كل رجل يخرج على قدر ما عنده من قوة القلب في الدعاء. فرب دعاء داع يخرج من نور وافر بمنزلة شمس تطلع، ودعاء يخرج مع تقصير فنوره بمنزلة قمر يطلع، ودعاء يخرج مع تقصير كثير فنوره بمنزلة كوكب، وإنما تفاوت الدعاء لاختلاف مخارجها من المعادن.

قال عليه السلام : إن القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض، فاذا دعوتم الله تعالى فادعوه وأنتم موقنون بالاستجابة، فان الله تعالى لن يستجيب دعاء عن ظهر قلب غافل[1].

فظهر القلب دعاء قد تعلمه العبد، يدبر الكلمات بمضغة لسانه في حنكه ولهاته، وليس عنده وراء ذلك شيء إلا تلك الإرادة التي من القلب، يبتغي خيراً من عند ربه، وهو لا يدري ذلك الخير، وهو عنده كالجزاف غير مفتقر إلى تلك الحاجة، فهو كصبي نطق من غير عقل، وليس لكلام الصبي قدر عند الخلق، إلا أن الكريم لما علم إرادة الخير من الداعي، أعطاه على ذلك أجراً إذا دعا على رجاء أن ينال منه معروفاً، فأما الاستجابة فهو بعيد منها، لأنه لم يخرج منه الدعاء على الجد والاجتهاد. ولو كان ذلك منه جداً لترك الإباق من ربه بالذنوب والمعاصي والبطالات، والإكباب على الدنيا، والاستخفاف بحق الله وبداره وبيوم الحساب، وبوعده ووعيده، ومواعظه وموته. فإن الآبق من مولاه في الدنيا إذا دعاه في حال اباقه ويراسله يستوجب بذلك المقت من مولاه، لأنه في صورة المستهزئ به، فمن أثقل ظهره من الخبائث فصار كسلان لحماً ودماً، ملقى على الأرض وخيماً جلفاً جافياً فتعلم الأدعية عن ألسنة الناس، ملتمساً بها نوالاً، لا عن فاقة وافتقار، خرجت من جوفه تلك الكلمات، ولا علم له

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ١٧٧ ثنا حسن ثنا ابن لهيعة ثنا بكر بن عمرو، عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

بما سأل، وان كان أعلم الناس باللغة، فهو عالم بالكلمة من طريق اللغة، جاهل بغور الكلمة ومعدنها، ووقتها وموضعها فهو جاهل بالمعنى، أعمى عن حشوه، فصاحب لا يصيب في دعائه جداً ولا اجتهاداً، وإنما يدعو عن ظهر قلب، فهذا عبد يجاب ولا يستجاب. وإنما يجاب لأنه مؤمن، فالإجابة للمؤمنين، والاستجابة للجادين المجتهدين، المفتقرين المرتعنين، المتبائسين المتخشعين الموقنين، إلا أن الله هو الكريم الجواد أوسع لعبيده فجاد عليهم بالمعرفة التي هي أعظم الأشياء استحيى أن يترك هذا العبد خالياً صفر اليدين إذا مد يده إليه حتى يأجره على ذلك فيكون ذلك إجابة لا استجابة.

قال عبد الرحمن بن غنم: بينما نحن جلوس يوماً عند معاذ بن جبل (رضي الله عنه) إذ دعا بدعاء لم أسمع داعياً يدعو مثل دعائه، فقلت له : رحمك الله يا أبا عبد الرحمن لو علمتني بعض ما تدعو به فقال : لو كنت أعلم لك فيه خيراً كنت علمتك. فقلت : سبحان الله، لم لا تعلم لي فيه خيراً؟ قال : لأن رسول الله كان يدعو بالدعاء الكبير الحسن الجميل الذي لا يستطيع أحد أن يقول مثله. فقلت له يوماً : يا رسول الله، لو علمتني بعض ما تدعو به. فقال رسول الله ﷺ : لو كنت أعلم لك فيه خيراً لعلمتك. فقلت : سبحان الله، يا رسول الله لم لا تعلم لي فيه خيراً؟ قال : لأن أفضل الدعاء ما خرج من القلب بجد واجتهاد، فذاك الذي يسمع ويستجاب وإن قل.

فالجد أن يقف العبد بقلبه في محل الدعاء والاجتهاد مفتقر القلب إلى الله، متبائس النفس.

وقوله تعالى : ﴿ **أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾[1]، أراد إجابة تلبية على ما قاله ﷺ :

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٦.

إذا قال العبد : يا رب. قال الله تعالى : لبيك يا عبدي.

وأما الاستجابة، فقال تعالى : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾[1]. ثم بيّن في آية أخرى لمن الاستجابة، فقال : ﴿ **ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾[2].

وينبغي أن يكون الدعاء على هيئة وأدب. فإن لكل أدب ثمرة ولكل هيئة زينة يبدأ بمدائحه، ثم الثناء عليه والتنزيه له، ثم محامده وذكر آلائه، وبث مننه، ونشر صنائعه، والاعتراف بالمساوئ، والتوبه إليه، والاعتذار والتنصل والاستغفار والتضرع، والاستعاذة والاختتام بـ « آمين »، والله أعلم وأحكم.

(١) سورة غافر آية رقم ٦٠.

(٢) سورة الشورى آية رقم ٢٦.

الأصل الرابع والأربعون والمائتان

في بيان أقسام القرآن

عن علي (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : أنزل القرآن العظيم على عشرة بشيراً، ونذيراً، وناسخاً، ومنسوخاً، ومحكماً، ومتشابهاً، وعظة، ومثلاً، وحلالاً، وحراماً. فمن ابتشر ببشيره، وانتذر بنذيره، وعمل بناسخه، وآمن بمنسوخه، واقتصر على محكمه،، ورد علم متشابهه إلى عالمه، وإتعظ بعظته، واعتبر بمثله، وأحل حلاله، وحرم حرامه، فأولئك هم المؤمنون حقاً لهم الدرجات العلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. وهو وارثي ووارث الأنبياء من قبلي. ولولا قسم أنه لا نبي بعدي لكان نبياً من أنبياء الله تعالى ولا يزال في ضمان الله تعالى، وكيف وحيث ما تلا القرآن غشيته الرحمة، وتنزلت عليه السكينة، وكان بعين الله منوراً له قلبه إلى يوم القيامة، ويحشر يوم القيامة في زمرتي وتحت لوائي، ولوائي أبيض العود، أخضر الرقعة، أفيح الريح له لسانان، لسان يرى بالمشرق، ولسان يرى بالمغرب، يظل حملة القرآن، والمتحابين في الله. ومن ضيع واحدة منهن، فقد ضيع كلهن، ويلقى الله غداً ظمآن محول

القلب، نادم القلب، مرتعد الفؤاد، حاسر القدم، مستحيياً من الرب، مغفور له أو معذب[1].

قوله : « ابتشر ببشيره » البشرى خبر عن الغيب. فإن العبد في دار المحنة والبلوى متعرض للآفات، ممزوج بها، مسئول عن الشكر عليها، ومقتضى للصبر على مزاجها من الآفات، وهو فيما بيَّن ذلك لا يدري ما يظهر له من غيب الله غداً والخير كائنه. فأيد الله المؤمنين بخطاه، وبشرهم بخبر نفى حيرتهم حتى قويت القلوب واطمأنت النفوس، وتخلص القلب من وساوسها، وصار حراً مالكاً، قوي القلب، وانتشر السرور في الصدر، فنضرت الوجوه، وتلك النضرة تورث البشر. قال الله تعالى : ﴿ **ولقاهم نضرة وسروراً** ﴾[2] نضرة في الوجوه، وسروراً في القلب.

فالسرور يفيض القلب من الفرح الذي حل بالنفس. فالفرح في النفس، والسرور تولده في القلب، وانتشاره في الصدر، ثم يتأدى ذلك من مجمع العروق الذي على القلب إلى العروق التي في الوجوه، فتشرب جلدة الوجوه من ذلك بمنزلة شجرة شربت عروقها من الماء في أصلها فأدت عروقها إلى الأوراق فنضرت. فإذا كان كذلك، على أن في الباطن خبراً ساراً. فعمل ذلك الكلام في قلبه وصدره حتى اختلط بذاته، فاختلط بسمعه وشمه وبصره ومخه وجميع جوارحه. وهذا لمن استمع قلبه إلى خطابه بأُذنَيْ قلبه، فاستقر فيه علم ذلك، وورد العقل على قلبه بنهاء ذلك الخطاب والفهم بمكنون لطائفه، والفطنة بكشف الغطاء عن صور تلك اللطائف، فطابت النفس بذلك، وازدهرت، وأينعت عن الذبول والخمول. فمن كان بهذه الصفة، فقد ابتشر بالبشرى.

---

(١) رواه البخاري في التاريخ، والديلمي في مسند الفردوس وأبو نعيم في الحلية. عن مالك بن أنس ـــ رض الله عنه

(٢) سورة الإنسان آية رقم ١١.

وقوله : « انتذر بنذيره » فإن العبد قد شرهت نفسه من الفرح بأحوالها وبسبب نمائها فقطرت، فإذا جاءها الوعيد من الله تعالى، ذبلت وسكن تلظي تلك الأفراح، فتنغصت عليه حلاوتها وتكدر عليه صفو النعم، فظهر في صدره من كدورة دخان الوعيد، ومرارة التنغص، فتأدى ذلك إلى الوجه فأورثه العبوس، فتجده مرة ذا بشر ونضرة، ومرة ذا عبوس وكسوف. إذا ورد عليه البشر، أقر وجهه بذلك النضرة، وظهر البشر، وزال عنه الكسوف. وإذا ورد عليه الوعيد، انكسف القمر الذي بوجهه وانعبس. فمن ابتشر ببشير الله، وانتذر بنذيره، فانما يفعل ذلك بقلب عامر، ومحال أن تجد أحدهما وتفقد الآخر، لأن ذلك فعل القلب.

قوله : « وعمل بناسخه وآمن بمنسوخه »، فالناسخ آية قد أمر الله بالعمل بها، وقد كان قبل ذلك أمر بغير ذلك في آية نزلت قبلها. والناسخ والمنسوخ بلوى من الله لعبده لينظر أيعبد الله ظاهراً وباطناً، أم يعبده في الظاهر ويعبد هواه في الباطن.

قال الله تعالى : ﴿ **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه** ﴾[1].

وقال تعالى : ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين** ﴾.

معناه : حتى نعلم من يجاهد نفسه في ذاتي، ويصبر عما حرمت عليه وعلى ما افترضت عليه وعلى ما حكمت عليه من الأحوال المكروهة، مثل الفقر والذل والبؤس والمرض.

ثم قال: ﴿ **ونبلوا أخباركم** ﴾[2] أي أنتم مني، مع هذه المجاهدة والصبر، أعلى طيب النفوس، أم على خبثها وترددها؟ فاذا آمن بالمنسوخ، وعمل بالناسخ، فهذا عبد منقاد لربه، قد ألقى بيديه سلماً.

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٤٣.

(٢) سورة محمد آية رقم ٣١.

قوله : « اقتصر على محكمه ورد علم متشابهه إلى عالمه » فالمحكم ما خرج إلى العباد من الحكمة البالغة مثل قوله تعالى : ﴿ **قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم** ﴾[1] وقوله : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه** ﴾[2] إلى قوله : ﴿ **ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة** ﴾[3].

فأعلم العباد أنه لم يأمر بشيء ولا نهى عن شيء جزافاً، أمرهم ونهاهم بالحكمة البالغة.

وقد قال قوم من العلماء : ليس لأمره ونهيه علة، وإنما هو تعبد. وليس كما زعم فانه تعبد لزم العباد العمل به، ولكن تيقن أن الله تعالى لم ينه عن شيء، ولا أمر بشيء إلا بالحكمة، تعالى الله عن الجزاف المهمل عن التدبير والتقدير، فتطلب تلك الحكمة في معادنها، فانها تبعثك على إقامة الأمر والنهي.

ونحن نذكر صورة نستدل بها، وهو أن الله تعالى افترض الصلاة على عباده، فرجل أداها تعبداً، وآخر طالع الحكمة ببصيرته، فوجد العبد موكلاً لحفظ الجوارح السبع، السمع، والبصر، واللسان، والبطن، والفرج، واليدان، والرجلان، بمنزلة عبد وكل بسبعة أغنام لكل شاة منها مرعى على حدة، فأمر بأن يرعاها في مراعيها، ومتى تردى واحد في جرف، تبادر باخراجه. فان عني بشأنهن ورعايتهن، نال الكرامة. وإن أهمل ما اكتسب بفعله إلا مقتاً وبعداً. فهذا المؤمن في غفلاته كالراعي في نفشائه، وإنما سمي مؤمناً لأنه إطمأن إلى الله عبودة له، واستقر قلبه، وسمِّي مسلماً لتسليم جوارحه إليه في أمره ونهيه، وعليه الوفاء بذلك إلى يوم لقائه. فمتى ما ضيع شيئاً من أمره ونهيه، دخل في وفاء تسليمه نقص بقدر ما ضيع.

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٥١.

(٢) سورة الإسراء آية رقم ٢٣.

(٣) سورة الاسراء آية رقم ٣٩.

وقد علم الله من العباد أنهم سيخلطون هذا التسليم بتضييع أموره، فافترض عليهم القيام بين يديه عبودة وتذللاً معتذرين مما ضيعوا فقد قام العبد مقاماً جمع جوارحه المنتشرة في مراعيها بين يديه، قد أزال سمعه عن الأمور والناس، وبصره عن النظر إليهم، ولسانه عن خطاب الخلق، ويده عن القبض والبسط، ورجله عن المشي، وبطنه عن الطعام، وفرجه عن الاعتمال. فهذا من العبد تسليم الى الله مستقبلاً معتذراً بالثناء والركوع والسجود، مترضياً له حتى يرجع من عنده على تجديد إسلامه، ومزيد من فضل الله ورحمته. فعبد أدى فرائضه على هذه الصفة من المطالعة والعلم واليقظة والانتباه، وآخر أداها تعبداً، وهذا كله مستور عنه، فمتى يلحق هذا ذاك!

ولهذا قال ﷺ: «إن الرجلين ليكونان في صلاة واحدة في سقف واحد وكما بين صلاتيهما أبعد ما بين السماء والأرض»[1].

فالحكمة موجودة في جميع الأعمال وعللها قائمة لا يعلمها إلا أهلها، وهم قوم تخلصت قلوبهم من ظلمة الشهوات وخرجوا إلى البرهان العظيم، وإلى النور الأعظم.

وأما المتشابه، فأسرار الله التي طواها عن العباد، وأسرار الرسل التي أفضاها إليهم، وطواها عن العباد، وأسرار الأولياء التي أفضاها إليهم، وطواها عن سائر الموحدين، فهذه أشياء قد اشتبه على الخلق لعجزهم عن احتمالها. فالمقتصر على محكمه لا يتعدى إلى ما شبه عليه، بل يقتصر عنه على المحكم، فإن الحاجة به إلى المحكم والمتشابه زينة المحكم طواها الله عن العباد لعجزهم عن احتمالها، حتى إذا انكشف

(١) الحديث رواه ابن ماجة في الرؤيا في حديث طويل ٣٩٢٥ عن طلحة بن عبيدالله أن رجلين من بَلِيٍّ قدما على رسول الله ﷺ وكان إسلامهما جميعاً فكان أحدهما أشد اجتهاداً من الآخر: وذكره.

الغطاء وتبحبحوا في دار الملك، وزال عنهم رق العبودة، وصار الأمر جهراً، وزاروا الله في داره، طرقهم النظر إليه واحتمال لذة كلامه، أفضى إليهم الأسرار التي طواها عنهم.

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ **قال رب أرني أنظر إليك**[1] ﴾ فقال :

« قال يا موسى إنه لا يراني حي إلا مات، ولا يابس إلا تدهده، ولا رطب إلا تفاق، إنما يراني أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولا تبلى أجسادهم ». فقد أعلمك سبب عدم الرؤية في دار الفناء، وألقى عذره إلى موسى حيث قال : ﴿ **ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني** ﴾[2].

فحل بموسى من الصعق ما حل بالجبل من الدك ما حل، يعلمه أنه لا يطيقه احتماله. ولذلك قال : « تبت إليك »، لأنه سأله ذلك من دار فانية قذرت بالشرك والمعاصي لشفوفه بربه، وزلة عقله، فلطف الله له إلى أن ألقى إليه عذره في ترك إجابته، وألجأه إلى التوبة، إذ تبين له حتى فزع إلى التنزيه له، وإلى التوبة.

وذهب قوم من الغلاة المعطلة إلى أن الله تعالى لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾[3]، وزعمت أن هذه صفة من صفاته، فلا تنسخ ولا تتغير صفته، فيكون في الدنيا بخلاف ما في الآخرة.

فلما قيل لهم : فمن عطل صفة من صفاته، أليس قد انقطع نظام توحيده، لأن العباد وحدوا رباً، بجميع صفاته، فإذا عطلت صفة فقد

---

(١) (٢) سورة الأعراف آية رقم ١٤٣.

(٣) سورة الأنعام آية رقم ١٠٣.

خرجت من توحيده، أفتزعمون أنه حين سأل الرؤية انقطع النظام وعطل صفة من صفاته؟

ففزعوا من هذا القول، والتجأوا إلى أن موسى (عليه السلام) لم يسأل رؤية العين، وإنما سأل مشاهدة القلب. فلما قيل لهم : ان موسى (عليه السلام) قال : ﴿ **رب أرني أنظر إليك** ﴾[1]، ولم يقل : قلبي ينظر إليك، وإن كان هذا السؤال للقلب، فلم تجلى للجبل؟ قالوا : إنما جعل في الجبل آية من آياته، فتجلت الآية للجبل. يقال له : يقول الله تعالى : ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل** ﴾[2] وأنت تقول : « آية من آياته »، كفى له بهذا خزياً.

(١) (٢) سورة الأعراف آية رقم ١٤٣.

الأصل الخامس والأربعون والمائتان

في التعوذ من النفاق

عن مالك بن أنس (رضي الله عنه) قال: خطبنا أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) فقال : قال رسول الله ﷺ : « تعوذوا بالله من خشوع النفاق » قيل : يا رسول الله : وما خشوع النفاق؟ قال : « خشوع البدن ونفاق القلب »[1].

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يعبث بلحيته في الصلاة. فقال: لو خشع قلبه لخشعت جوارحه[2].

قال أبو عبدالله : فخشوع القلب من المعرفة. فكلما كان أوفر حظاً من العلم بالله والمعرفة بآلائه، كان أخشع. فأثقال المعرفة حلت بالقلب، فأدت القلب إلى ثلاث : خشعة، وخضعة، وذلة. فالذلة الحذر، والخضعة اللين، والخشعة الانكسار والانحناء. فهذه صفة القلب.

وأما صفة النفس تحت أثقال القلب، فلها الخمود مكان ذلة القلب،

---

(١) رواه البخاري في التاريخ، والديلمي في مسند الفردوس، وأبو نعيم في الحلية، عن مالك ابن أنس، رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث

والانثناء مكان الخضعة، والتهافت والتهاتر كالرمل مكان الخشعة، كما وصف الله تعالى في كتابه الجبال فقال: ﴿ **وكانت الجبال كثيباً مهيلاً** ﴾(١) أي رملاً ينهار ويتساقط.

فإذا صارت النفس هكذا، فصار القلب كما وصفنا بدءاً، فقد لزمه اسم الخشوع على الحقيقة، وذلك قوله تعالى: ﴿ **وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً** ﴾(٢).

ذهب الصوت، وقوة ذرو الكلام. وقال تعالى: ﴿ **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة** ﴾(٣) أي ساقطة هامدة.

فمن لم يكن في قلبه تراكم أثقال المعرفة فتخشع بأركانه، فذاك نفاق، لأنه تماوت وهو حي. فالتماوت مراءاة والرياء نفاق مرة يرائي الله تعالى فيبتغي عنده بذلك جاهاً ومدحاً، ومرة يرائي عبيده يبتغي عندهم جاهاً ومدحاً، فيتخشع وليس بخاشع. ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ:

إذا قام العبد بين يدي الله لا يتفرغ للعبث في الصلاة. وانه كما انتصب لله جسده في الظاهر فقد انتصب قلبه في الباطن، وكما رمى ببصره في الظاهر حيث يقع من الخلقة فكذلك رمى ببصر قلبه إلى المقام الذي رتب له إن كان من أهل المرتبة وإلا في متعبده إن لم يكن من أهل المرتبة.

قال له قائل: وأين المراتب؟

قال: الصديقون مراتبهم من العرش على أصنافهم عسكر دون العرش،

---

(١) سورة المزمل آية رقم ١٤.

(٢) سورة طه آية رقم ١٠٨.

(٣) سورة فصلت آية رقم ٣٩.

وعسكر على العرش، وعسكر في الملكوت، والخاصة في ملك الملك بين يديه، فأبصار قلوبهم هناك، وأبصار وجوههم في مواقع الخلقة.

قيل له : وما مواقع الخلقة؟

قال : إن العبد إذا أقام على الخلقة ثم رمى ببصره على الخلقة، فاما يقع من الأرض بمكان لو خر ساجداً لوقعت جبهته على تلك البقعة التي لو كان قائماً فرمى ببصره لم يتعد تلك البقعة، ولم يقصر عنها، وإذا ركع فرمى ببصره على الخلقة، فإنما يقع على موضع القدمين. وإذا سجد فرمى ببصره فإنما يقع على موضع الصدر منه. وإذا قعد للتشهد فرمى ببصره فإنما يقع على رأس ركبتيه وطرف فخذيه، فهذا كله رمى ببصره حيث وقع ليس فيه تكلف، ولا استعمال للبصر، وإنما الاستعمال في وقت النظر، فهذا رمي خرج من سلطان البصر، وليس بنظر، والقلب رام ببصره حيث وصفنا من العلى في مراتبهم مراتب الأولياء والصديقين. ومن لم يكن من أهل المراتب ففي متعبده بين العزة حيث استقر القرآن في وقت نزوله جملة في شهر رمضان في السماء الدنيا، فذاك محل المتعبد، فمنها قبلوا القرآن بما فيه من العبودة، علم العباد هذه الصفة أو لم يعلموا، فانهم داخلون في هذا الباب. كما تجد المسلمين كلهم قد دخلوا في الميثاق يوم استخرجهم من الأصلاب، علموا أو لم يعلموا، فإنما يجزون وتجزى أرواحهم، ويحقق لهم بذلك الأشياء من التقرب.

ووجدنا للصلاة ثلاث مراتب عليها رتب أهل الصلاة، وقد ذكرهم الله تعالى في تنزيله: فحافظون، ومداومون، وخاشعون.

قال تعالى : ﴿ **الذين هم على صلاتهم يحافظون** ﴾[1] ﴿ **الذين**

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم ٩.

هم على صلاتهم دائمون ﴾[1] فوعدهم عليها الكرامة في الجنة، فقال تعالى: ﴿ **أولئك في جنات مكرمون** ﴾[2].

وقال: ﴿ **قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون** ﴾[3] فوعدهم على ذلك الفلاح.

والفلاح اسم ينتظم الكرامة والترقي في الدرجات، والأخذ من الجنة بغير حساب، والأثرة في ذات الله، والمحافظة على الوقت، والمداومة على استعمال الأركان بحدودها في الصلاة، وهو أن لا يلتفت في وقت الانتصاب، ولا يتمايل، ويسكن أطرافه، ولا يستعمل منها شيئاً إلا لضرورة وعلة مثل التراوح على إحدى القدمين، ومثل حل شيء من جسده لذباب يؤذي، أو بعوضة تشغله عن الصلاة، فتلك ضرورة، أو بزاق، أو مخاط، فهذه كلها علل يعذر فيها. وإذا ركع سوى ظهره لركوعه، فيكون مقدمه كمؤخره. وإذا سجد، خوى وجخى. التخوية اعطاء كل مفصل وعضو حظه من الانتكاس للسجود. والتجخية توقياً للانبساط، ليكون كهيئة الساجدين، لا كهيئة المنبطحين على الأرض ببطونهم وصدورهم، فإن تلك ضجعة أهل النار على وجوههم. فاذا جخى، توقى تلك الهيئة. وإذا خوى، أراد تركيب السجود بعضاً على بعض. وإنما سمِّي سجوداً لتركيب الأعضاء بعضها على بعض. وإذا رفع رأسه من الركوع، لم ينحط حتى يفصل الركوع من السجود بقيام كل عضو منه إلى مكانه وإذا سجد فرفع رأسه، لم يعد إلى السجدة الأخرى حتى يعود قاعداً كما كان ويرجع كل عضو منه إلى مكانه. فذاك إتمام الركوع والسجود. وإذا قعد جثا على ركبتيه

---

(١) سورة المعارج آية رقم ٢٣.

(٢) سورة المعارج آية رقم ٣٥.

(٣) سورة المؤمنون آية رقم ١ ــ ٢.

ونصب اليمنى منه، وافترش اليسرى، معتمداً بجلسته عليها. فالمداومة على الصلاة ما وصفنا.

وأما الخشوع فهو على القلب ومن عنده يبتغي. فاذا لم يكن هناك فليس بخشوع، إنما هو مداومة. فالمحافظة من الخشية، والمداومة من الخوف، والخشعة من التجلي. فإذا خشي القلب حافظ. وإذا خاف داوم. وإذا خشع فالأركان مستعملة في القبضة. ثم يتحول صفات الخشعة على اختلاف صور الأفعال فيها. فأولها خشعة في صورة الأسر، ثم من بعدها خشعة الخدمة، ثم من بعدها خشعة العبودة، ثم من بعدها خشعة الرق، ثم من بعدها خشعة الحمد، ثم من بعدها خشعة التعلق، ثم من بعدها خشعة التضرع والملق، من الأمل الفسيح في خشعته لأنه قد جعل إلى ذلك سبيلاً للأحباب، وقال تعالى في تنزيله : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾[1].

عن المطلب بن أبي وداعة، عن رسول الله ﷺ قال : « الصلاة مثنى مثنى وتشهد في كل ركعتين وتباؤس وتمسكن وتقع بيديك وتقول : اللهم اللهم. فمن لم يفعل ذلك فهو خداج »[2]. قوله : « تباؤس » مأخوذ من البؤس. وهو أن تفتقر إلى ربك افتقار من كان تراباً فخلق بشراً. والتباؤس والتخشع قريب أحدهما من الآخر. والله أعلم وأحكم.

---

(١) سورة غافر آية رقم ٦٠.

(٢) خدجت الناقة بخدج بالكسر خداجاً بالكسر فهي خادج والولد خديج بوزن قتيل اذا القته قبل تمام الأيام وان كان تام الخلق وفي الحديث: كل صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج « أي نقصان »

الأصل السادس والأربعون والمائتان

في ما يقال عند النوم

عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة (رضي الله عنها)، أن رسول الله ﷺ كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما : قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ويمسح بهما ما استطاع من جسده، ويبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده. ويفعل ذلك ثلاث مرات[1].

وروى مالك عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى قرأ على نفسه المعوذات

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ٢١ ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام ٣٤٠٢ ــ عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن النبي ﷺ كان وذكره ــ قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح. ورواه البخاري في فضائل القرآن باب فضل المعوذات، والطب: باب النفث في الرقية والدعوات باب التعوذ والقراءة عند المنام، ورواه أبو داود في الأدب : باب ما يقول عند النوم، والنسائي في الكبرى التفسير، وعمل اليوم والليلة ص ٢٣٤ باب نوع آخر وما يقول من يفزع في منامه، وابن ماجة في الدعاء باب ما يدعو به إذا آوى الى فراشه.

وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح عليه بيده رجاء بركتها[1].

عن يونس، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : كان رسول الله ﷺ إذا آوى إلى فراشه نفث بكفيه بقل هو الله أحد والمعوذتين، ثم يمسح بهما وجهه وعضده وصدره حيث ما بلغت من جسده، فلما اشتكى أمرني أن أفعل ذلك به، فكنت أقول : أعطني كفيك أمسح بهما ببركتهما.

قال يونس : فكنت أرى إبن شهاب يفعل ذاك إذا آوى إلى فراشه.

عن زياد بن سعد، أن ابن شهاب حدثه عن عروة، عن عائشة (رضي الله عنه) قالت : كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات، فمسح بيديه. فلما اشتكى وجعه الذي قبض فيه، طفقت أنفث عليه بالمعوذات، وأمسح عليه بيديه.

قال أبو عبدالله : ففي حديث عقيل يخبر أنه بدأ فنفث فقرأ، كأنه دل على أن النفث كان قبل القراءة. وفي حديث مالك بدأ بذكر القراءة ثم النفث.

وفي حديث يونس بدأ بذكر النفث بالقراءة، لأنه قال : نفث بقل هو الله أحد. فلا يكون هذا النفث إلا بعد القراءة. وإذا فعل الشيء بالشيء كان ذلك الشيء مقدماً حتى يأتي الشيء الثاني، فقال في حديث يونس : نفث بقل هو الله أحد. دل على أن القراءة مقدمة، ثم نفث ببركتها، لأنه يبتغي من قراءة هذه السور أن يصل إلى الجسد

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري كتاب الطب ٣٩ باب النفث في الرقية ٥٧٤٨ ــ عن يونس، عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير، عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: كان رسول الله ﷺ وذكره.

نورها وبركتها. ولا يقدر على الإيصال إلا بمثل هذا. وذلك أن العبد إذا قرأ استنار صدره بنور ذلك الكلام الذي يتلوه كل قارئ على قدره. فإذا نفث فانما ينفث من الصدر. فالنفث من الروح، والنفخ من النفس.

وعلامة ذلك أن الروح بارد، والنفس حارة. وإذا قال : « بف »، خرجت الريح باردة، فذاك من برد الروح. وإذا قال : « هاه »، خرجت الريح حارة، فتلك من النفس. فالأولى نفثة، وهذه الثانية نفخة. وإنما صار هكذا لأن الروح مسكنها في الرأس ثم هي منفث في جميع الجسد. والنفس مسكنها في البطن ثم هي منفشة في جميع الجسد. وفي كل واحدة منهما حياة بها يستعمل الجسد بالحركات. فالروح سماوي، والنفس أرضية، والروح عادتها الطاعة، والنفس عادتها الشهوات. فإذا ضم شفتيه، اعتصرت الروح في مسكنها. فإذا قصد لإرسالها، خرجت على شفتيه مع البرد، فذاك النفث. وإذا فتح فاه فاعتصرت النفس، فإذا أرسلت، خرجت ريح حارة. وإنما جاء الخبر بالنفث لأن الروح أسرع نهوضاً إلى نور تلك الكلمات، وأوفر حظاً من النفس، والنفس ثقيلة بطيئة عاجزة. فأدى الروح إلى الكفين بذلك النفث ريحاً قد باشرت أنوار الصدر التي أنارتها تلك الكلمات، وأشعلتها بما جاء من المزيد، فإن في كل كلمة منها نوراً، وفي كل حرف من تلك الكلمة نوراً. فإذا صارت الريح إلى الكفين بالنفث، مسح بهما وجهه وما أقبل من جسده، ثم بعد ذلك حيث ما بلغ من جسده؛ لأن الحق للوجه؛ لأن الصورة فيه، ثم الحق من بعد ذلك لما أقبل من الجسد لأن قبالة المؤمن حيث ما كان فهو لقبالة الله، وكذلك قلبه في الباطن فالحق له في النفث أن يبدأ بالوجه، ثم بما أقبل من جسده، وتفاوت النفثات من أهلها على قدر نور قلوبهم وعلمهم بتلك الكلمات، فإذا فعل ذلك بجسده عند إيوائه إلى فراشه كان كمن اغتسل بأطهر ماء وأطيبه.

فما ظنك بمن يغتسل بأنوار كلمات الله تعالى وكان ذلك أيضاً كثوب نفض من غباره، وخلص من شوكه، وتباعد من الزهومات فعاد طرياً طيباً، فخرجت نفسه إلى الله في منامه. كذلك هذا سوى الاستغفار والتوبة والتسبيح والدعاء الذي أشار رسول الله ﷺ للأمة عند منامهم. وإنما اختار هذه القلات الثلاث لأن في إحداهن مدحة الله تعالى ونعته، فبه يطهر وينزه ويطيب، وبالمعوذتين يتخلص من الشرك. ولأن على ابن آدم عدوين عظيمي المؤنة : النفس والشيطان. يأتيان بالشك والشرك في اليقظة، ويأتيان بالعين الحاسدة التي تهدم أركان النعمة.

ولذلك قال رسول الله ﷺ : ﴿ **العين حق وأكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله بالنفس** ﴾[1] وإنما صار هكذا لأن هذه الأمة أيدت باليقين وفضلت به، وطريقهم إلى الله تعالى واسعة، فطولبوا بما فضلوا أن ينسبوا كل شيء يستحسنونه إلى خالقه، ويبركوا فيقولوا : تبارك الله. فإذا تركوا ذلك إعجاباً بذلك الشيء تهافت ذلك الشيء وذهب حسنه وهلك.

ولذلك قال (عليه السلام) حيث سبق ناقة الاعرابي ناقة رسول الله ﷺ حيث استبقا فقال : « حق على الله أن لا يرفع الناس أعينهم إلى شيء إلا وضعه الله ».

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الطب باب ١٩ ما جاء أن العين حق والغسل لها ٢٠٦١ حدثنا يحيى بن كثير أبو غسان العنبري ــ حدثنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير، حدثني حية بن حابس التميمي حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ وقال: وذكره وأخرجه البخاري في ٧٦ ــ كتاب الطب، ٣٦ باب العين حق ومسلم في: ٣٩ ــ كتاب السلام ١٦ باب الطب والمرض والرقى حديث ٤١ ــ ورواه صاحب الموطأ في كتاب العين ١ باب الوضوء من العين ورواه أحمد بن حنبل في المسند ١ : ٢٧٤، ٢٩٤، ٢ : ٢٢٢ (حلبي).

وإنما ذم رسول الله ﷺ تلك العيون الغافلة عن الله تعالى فسماها حاسدة. فقال: ﴿**ومن شر حاسد إذا حسد**﴾[1].

فإنما سمي حاسداً لأنه يحصد الأشياء حصداً، ويستأصلها بسوء نظرته العاجزة عن الله تعالى. والسين والصاد يعتقبان، يجزئ أحدها عن الآخر، كقولك: صراط وسراط.

فإن قال قائل: فإن كان هذا الناظر بغفلته هو الجاني، فما بال المنظور إليه لحقته العقوبة. قيل: ليس له ذا عقوبة، ولكن هذا تدبير الله تعالى في عباده. ألا يرى أن الساحر يسحر بأخذته فيخلص الضرر إلى من سحره حتى يعالج.

وكذلك فعل برسول الله ﷺ حتى أنزلت عليه المعوذتان، فكان جبرائيل (عليه السلام) يقرأ كل آية ويحل عقدة، وذلك قوله تعالى: ﴿**ومن شر النفاثات في العقد**﴾[2].

فالساحر يعقد وينفث، فيؤخذ بها أعضاء من يقصده بذلك، فكذلك هذا يخلص إليه ضرر نظرته المشوبة بالإعجاب، حتى يأخذه.

عدنا إلى حديث يونس عن الزهري قلنا: فمن اتخذ هذا الفعل عندما يأوي إلى فراشه عادة رأى النفع الظاهر في جسده وسائر أموره؛ لأن النفس تعرج إلى الله في منامها مع البركة والطهارة والنزاهة والتخلص من الشرك بقراءة هذه السورة، فتسجد تحت العرش، وهي بهذه الصفة قد اغتسلت بهذه الأشياء، فتنال من حباء الله وكرامته ما ترجع به إلى الجسد بالخير الكثير والمزيد الشافي، وإذا عرجت إلى الله تعالى بغير هذه الصفة، سجدت وهي خالية عن هذه الأشياء فينال من الحباء والكرامة على قدره.

---

(١) سورة الفلق آية رقم ٥.

(٢) سورة الفلق آية رقم ٤.

عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال : تعرج الأرواح إلى الله تعالى في منامها، فما كان طاهراً يسجد تحت العرش، وما لم يكن طاهراً يسجد قاصياً، فلذلك يستحب أن لا ينام الرجل إلا وهو طاهر.

قال أبو عبد الله : فإنما ذكر عبد الله بن عمرو في حديثه الأرواح وإنما هي النفوس. وقد يسمى الشيء باسم قرينه كما قيل : قلب وفؤاد. فالقلب ما بطن، والفؤاد ما ظهر. وفيه العينان والأذنان. والخروج من منامها للنفوس. وذلك قوله تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجلٍ مسمى** ﴾[1].

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : إن النفوس تعرج إلى الله تعالى في منامها، فما كان طاهراً سجد تحت العرش، وما كان غير طاهر تباعد في سجوده، وما كان جنباً لم يؤذن لها في السجود.

قال أبو عبد الله : فإذا كان بطهارة الوضوء ينال القربة تحت العرش حتى يسجد هناك. فكيف إذا أتى بطهارة وتوضأ ونزه وطاب وطهر بأنوار كلام الله تعالى التي ترددت في صدره، ونفث منها على جسده، ان هذه لسجدة لها عند الله خطر عظيم.

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٤٢.

الأصل السابع والأربعون والمائتان

في حسن الخلق

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصوم والصلاة »[1].

فدرجة الصوم درجة الصابرين، ودرجة الصلاة درجة الشاكرين، فإذا وصل العبد إلى درجة الشاكرين والصابرين فقد جمع الإيمان كله. وذلك قول رسول الله ﷺ : « الإيمان نصفان : نصف للشكر، ونصف للصبر »[2].

وإذا جمع العبد الإيمان كله، انقطع بقوة هذا الإيمان إلى الله تعالى. وإذا انقطع إلى الله، نجا من شرور النفس وخدعها وأمانيها، وصار في معاذ الله من وساوسها.

---

(١) الحديث رواه الطبراني عن أبي أمامة، ونقله صاحب جامع الشمل في كتاب الخلق والتخلق

(٢) الحديث رواه البيهقي في شعب الايمان عن أنس، وأخرجه السيوطي في الجامع الصغير وأشار على الحديث بالضعف

روى عمران بن حصين عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من انقطع إلى الله كفاه مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ».

وبذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ فقال : ﴿ **واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً** ﴾[1].

فمن تمسك بهذه الآية عاش حراً كريماً ومات حراً كريماً، ولقي الله تعالى عبداً صافياً خالصاً.

ورويَ عن رسول الله ﷺ أنه قال في حديث الرؤيا : « ورأيت رجلاً من أمتي بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأدخله على الله تعالى »[2].

فهذا يحقق ما قلنا بدءاً ان حسن الخلق يؤديه إلى الله انقطاعاً عن النفس وفتنتها. وحسن الخلق على ثلاث منازل : **أول منزلة** منها أن يحسن خلقه مع أمره ونهيه، ويأتمر بأمره، وينتهي عن مناهيه. فإذا أحكم هذا تخطى إلى **المنزلة الثانية**، وهو أن يحسن خلقه مع جميع خلقه على سبيل المساعدة والمقاربة والمساهلة واللين والرفق والمواتاة والمواراة ومعاشرة الجميل. فإذا حكم هذا تخطى إلى **المنزلة الثالثة**، وهو أن يحسن خلقه مع تدبير الله تعالى في كل أموره، فلا يريد إلا ما يريد الله، ولا يشاء إلا ما يشاء الله.

فعينه مادة إلى ما يبرز له ساعة فساعة من حجاب الملكوت من تلك الغيوب من تدبيره فيتلقاه مهتشاً راضياً، وقد ائتمن الله على نفسه وأحوالها، فهذا رجل قد استكمل حسن الخلق، واستراح قلبه، واطمأنت نفسه، واستقامت جوارحه، وألقى إلى الله بيديه سلماً، ووجدته كافياً كريماً حسناً مولى وناصراً، فنعم المولى ونعم النصير.

---

(١) سورة المزمل آية رقم ٧، ٨.

(٢) هذا الأثر قصره السيوطي على الحكيم الترمذي في نوادر الأصول

وإذا قال حينئذ : « حسبي الله »، صدقه على عرشه. وإذا قال : « كفى بالله وكيلاً » كفاه الله. وإذا توكل على الله هيأه له. وإذا اتكل على كرمه، وفى له بما هو سأله ولو كان ذلك طي الأرض والمشي في الهواء. ولو سأله يوم القيامة أمة لشفعه فيهم، وكان مسكنه في أعلى الجنان يحقق ما قلناه قول رسول الله ﷺ : « من ترك الكذب وهو باطل بُنِيَ له في ربض الجنة. ومن ترك المراء وهو محق بُنِيَ له في وسطها. ومن حسن خلقه بُنِيَ له في أعلاها »[1].

فالذي قاله رسول الله ﷺ في حديث أبي الدرداء (رضي الله عنه) ان العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم وهو عندنا درجة المعاشرة مع خلقه مع الائتمار بأمره والتناهي عما نهى عنه. فهذا عبد نزل من حسن الخلق درجتين، فصار كمن صام نهاره وقام ليله، فهو صابر شاكر. وإنما بقيت الدرجة العليا. فتلك درجة المنفردين خاصة الله.

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ٥٨ ما جاء في المراد ١٩٩٣ ـــ بسنده عن أنس بن مالك، قال رسول الله ﷺ وذكره. وقال الترمذي: هذا الحديث حديث حسن، ورواه أبو داود في الأدب ٧ والنسائي في الجهاد ١٩ وابن ماجة في المقدمة ٧.

الأصل الثامن والأربعون والمائتان

في الصبر عند المرض

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « من مرض ليلة فصبر ورضي بها عن الله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه »[1].

قال أبو عبد الله : جاد العبد بنفسه على الله ليلة واحدة فجاد الله عليه بمغفرة طهرته من جميع الذنوب، فصار كمن لا ذنب له. فهكذا شأن الكريم مع المؤمنين. هذا فيمن جاد عليه بليلة، فكيف بمن جاد عليه في جميع عمره بماذا يجود عليه؟ يجود عليه غداً بوجهه الكريم حتى يصير بالصفة التي ذكرها في تنزيله عندما ذكر لظى نعوذ بالله منها : ﴿ **وسيجنبها الأتقى الذي يؤتى ماله يتزكى...** ﴾[2] إلى قوله : ﴿ ... **ولسوف يرضى** ﴾[3]. أي ابتغى بهذا التقوى والصفاء

(١) الحديث أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وقال: رواه الحكيم الترمذي بسنده عن أبي هريرة وأشار على الحديث بالضعف

(٢) سورة الليل آية رقم ١٧.

(٣) سورة الليل آية رقم ٢١.

والإخلاص أن يلقى وجهه الكريم قلباً، ويلقاه غداً في الموقف رؤية، ويلقاه في الفردوس نظراً، وذلك منتهى المنى.

والنظر أكثر من الرؤية لأنه يراه في الموقف رؤية الديان عرضاً وقبولاً وجزاء. وفي الفردوس رؤية الحنان نظراً وبهجة وسروراً ولذة. ثم ختمه بقوله : ﴿ **ولسوف يرضى** ﴾ أي يعطى حتى يرضى. وإنما يعطى ما يعقل العبد ثم بين وراء ذلك ما لم يعقله.

عن جابر بن عبدالله، أظنه رفعه، قال : يقول الله تعالى : يا أهل الجنان بقي لكم شيء لم تنالوه. فيقولون : وما هو يا ربنا؟ فيقول : رضواني.

فالرضوان آخر ما ينال أهل الجنة، لا شيء أكبر منه. ذكر الله جنات عدن في تنزيله ثم قال : ﴿ **ورضوان من الله أكبر** ﴾[1].

فكل عبد من أهل الجنة حظه من الرضوان هناك فيها على قدر جوده بنفسه على الله في الدنيا. ألا ترى إلى أصحاب رسول الله ﷺ يوم الحديبية، حيث بايعوا رسول الله ﷺ على الموت وكانت البيعة تحت الشجرة في ذلك الوادي أنزل الله تعالى : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً...** ﴾[2] الآية.

أوجب لهم الرضاء في بذلة واحدة، بذلوا نفوسهم لله تعالى مع رسول الله ﷺ، فكيف بمن بذل نفسه في جميع عمره لله؟ فمن أوجب الله له الرضاء عنه في الدنيا فحظه في الجنة الرضوان كله.

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٧٢.

(٢) سورة الفتح آية رقم ١٨.

الأصل التاسع والأربعون والمائتان

في مسألة التثبيت للميت عند الدفن

عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله ﷺ إذا دفن ميتاً وقف وسأل له التثبيت. وكان يقول : ما يستقبل المؤمن من هول الآخرة إلا والقبر أفظع منه(١).

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : فالوقوف على القبر وسؤال التثبيت للمؤمن في وقت دفنه مدد للميت بعد الصلاة؛ لأن الصلاة بجماعة المؤمنين كالعسكر له قد اجتمعوا بباب الملك فيشفعون له. والوقوف على القبر لسؤال التثبيت مدد العسكر وتلك ساعة شغل المؤمن، لأنه يستقبله هول المطلع وسؤال وفتنة فتاني القبر (منكر ونكير). فانما سميا فتاني القبر لأن في سؤالهما انتهاراً وفي خلقهما صعوبة. ألا ترى أنهما سميا منكراً ونكيراً. فإنما سميا بذلك لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة، ولا خلق طير ولا خلق البهائم، ولا خلق

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الزهد باب ٥، ٢٣٠٨ بسنده عن عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ قال: وذكره مع اختلاف في بعض الألفاظ، وابن ماجة في كتاب الزهد ٣٢، وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٦٤ (حلبي).

الهوام. بل هما خلق بديع، وليس في خلقهما أنس للناظرين إليهما. خلقهما الله تعالى مكرمة للمؤمنين وتبصرة وهتكاً لستر المنافق في البرزخ من قبل أن يبعث حتى يحل عليه العذاب. وإنما صارت مكرمة للمؤمن لأن العدو لم ينقطع طمعه بعد، فهو يتخلل السبيل إلى أن يحيره في البرزخ.

ومما يحقق ذلك ما روى سعيد بن المسيب (رضي الله عنه) قال : حضرت عبد الله بن عمر في جنازة، فلما وضعه في اللحد قال : بسم الله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله. فلما أخذ في تسوية اللحد قال : اللهم أجره من الشيطان ومن عذاب القبر ومن عذاب النار. فلما سوى الكثيب عليه قام جانب القبر، ثم قال : اللهم جاف الأرض من كثيبها، وصعد روحه، ولقه منك رضواناً. فقلت لابن عمر : أشيئاً سمعته من رسول الله ﷺ أم شيئاً قلته من تلقاء نفسك؟ قال : إني إذاً لقادر على القول، بل سمعته من رسول الله ﷺ.

عن عمرو بن مرة قال : كانوا يستحبون إذا وضع الميت في اللحد أن يقال : اللهم أعذه من الشيطان الرجيم. فانما كانوا يتخوفون من فتنة الفتانين من قبل العدو وأنه يشبه على من كان في قلبه زيغ أيام الحياة. فروي عن سفيان الثورى أنه قال : إذا سئل الميت : من ربك؟ تراءى له الشيطان في صورة، فيشير إلى نفسه، أي أنا ربك. فهذه فتنة عظيمة جعلها الله مكرمة للمؤمن إذا ثبته ولقنه الجواب. فلذلك كان رسول الله ﷺ يدعو بالثبات، يقول : اللهم ثبت عند المسائل منطقه وافتح أبواب السماء لروحه.

فلو لم يكن للشيطان هناك سبيل ما كان ليدعو له رسول الله ﷺ بأن يجيره من الشيطان. وإنما سؤال الميت في هذه الأمة خاصة لأن الأمم قبلها كانت الرسل تأتيهم بالرسالة، فإذا أبوا كفت الرسل فاعتزلت

وعوجلوا بالعذاب. فلما بعث الله محمداً ﷺ بعثه بالرحمة وأماناً للخلق فقال : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾(1).

فأمسك عنهم العذاب، وأعطى السيف حتى يدخل في الإسلام من دخل لمهابة السيف، ثم يرسخ في قلبه فأمهلوا. فمن ههنا ظهر أمر النفاق، فكانوا يسرون الكفر ويعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين في ستر، فلما ماتوا قيض لهم فتانا القبر ليستخرجا سرهم بالسؤال. فروي في الحديث أنه إذا سئل عن الرسول ﷺ قال : لا أدري. فيضرب بالمقامع. فيقال له : لا دريت. و ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾(2).

عن جابر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ **هذه الأمة تبتلى في قبورها** ﴾(3).

وأما قوله : « ما يستقبل المؤمن من هول الآخرة إلا والقبر أفظع منه » فهذا للمؤمن خاصة. وأما الكافر فما يستقبله من شيء إلا وهو أفظع من ما مضى. لأن المؤمن كلما قرب من ربه تيسر عليه الأمر وكان أقرب إلى الرحمة. فإنما يحاسب المؤمن في القبر ليكون أهون عليه غداً إذا وقف بين يديه، لأن الله تعالى أنزل عبده المؤمن من نفسه أنه يستحيي منه وأنه أوجب له محبته ورحمته ورأفته. فإذا كانت

---

(1) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٧.

(2) سورة إبراهيم آية رقم ٢٧.

(3) هذا الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ٦٧ (٢٨٦٧) عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري عن زيد بن ثابت قال أبو سعيد ولم أشهده من النبي ﷺ ولكن حدثنيه زيد بن ثابت قال : بينما النبي في حائط لبني النجار على بغلة له، ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال مَن يعرف أصحاب هذه الأقبر فقال رجل أنا. قال: فمتى مات هؤلاء ؟ قال: ماتوا في الاشراك فقال: وذكره ورواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٣، ٢٣٨ (حلبي).

هذه منزلته منه وكان من العبد جفاء، وانتهاك شيء حرمه الله، أو اغترار بقول العدو ويستوجب بذلك العقوبة ليرضى الحق أناله ذلك في القبر ليمحصه، فيخرج من القبر وقد اقتصَّ منه وأرضى الحق.

عن حذيفة (رضي الله عنه) قال : في القبر حساب، وفي الآخرة حساب، فمن حوسب في القبر نجا، ومن حوسب في القيامة عذب. ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ : أن أهل التوحيد الذين تأخذهم النار يميتهم الله إماتة حتى تحرق النار منهم ما تحرق ثم يحييهم فينجيهم.

عن أبي سعيد (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ بذلك فلا نعلم الاماتة سبباً أكشف عن المعنى من الذي ذكرنا أن الله تعالى بعدما أوجب لعبده محبته ورأفته ورحمته، وبذلك جعله أهلاً للكلمة العليا لا إله إلا الله، وكان ممن دخل اسمه في الآية في التنزيل حيث يقول : ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى...** ﴾[1] ثم قال : ﴿ **وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾[2].

فمن دخل اسمه في هذا المديح وفي مثل هذه المرتبة، ثم حبسه في النار حقوق الله تعالى حتى يحترق منها ما يرضي الحق كان غير مدفوع ان الله (عز وجل) يستحيي من العبد فيميته في تلك النار حتى يقضي للحق ما وجب له ويرضيه، ثم إذا أحياه أنجاه.

ألا ترى إلى قول رسول الله ﷺ : « إن الله يستحيي من عبده وأمته أن يشيبا في الإسلام شيبة فيعذبهما بالنار »[3]. وفي حديث

---

(١) (٢) سورة الفتح آية رقم ٢٦.

(٣) الحديث رواه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد ٩ باب ما جاء في فضل من شاب شيبه في سبيل الله ١٦٣٤ بسنده عن كعب بن مرة — حدثنا عن رسول الله — ﷺ.

ورواه النسائي عن أبي كعب بن مرة أيضاً، كما رواه الحاكم في الكنى عن ام سليم. قال الترمذي: وفي الباب عن فضالة بن عبيد وآخرين

آخر : « إن الله تعالى ليستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً »[1].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب ١٠٥، ٣٥٥٦ عن أبي عثمان النهدي عن سليمان الفارسي عن النبي ﷺ قال: وذكره. وقال: هذا حديث حسن غريب، ورواه ابن ماجة في الدعاء ١٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٥ : ٣٨ (حلبي).

الأصل المائتان والخمسون

في بر الوالدين

عن عبد الرحمن بن سمرة (رضي الله عنه) قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال : « إني رأيت البارحة عجباً، رأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فرده عنه »[1].

قال أبو عبد الله : فبر الوالدين شكر لأنه قال تعالى : ﴿ **أن أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير** ﴾[2]. فإذا برهما فقد شكرهما، وقد قال في تنزيله : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾[3].

فانما وجد العبد العمر من ربه في وقت إنفصاله من أمه. وقد كان في البطن حياة ولم يكن عمر، فلما خرج أعطى العمر بمقدار.

---

(١) لعل هذا الأثر من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر ويؤيد هذا الحديث قول الرسول ـ ﷺ « لا يزيد في العمر الا البر » وقوله: من أراد أن ينسأ في اجله فليصل رحمه.

(٢) سورة لقمان آية رقم ١٤.

(٣) سورة إبراهيم آية رقم ٧.

فاذا وصل والديه ببرٍّ كان قد وصل الرحم الذي منه خرج، والصلب الذي منه جرى، وكان في فعله ذلك شاكراً فزيد من ذلك العمر الذي شكر من أجله، فرد عنه ملك الموت يوهمك في هذا الحديث أن العباد إذا وصلوا أرحامهم زيد في أعمارهم، لأنهم بالصلة صاروا شاكرين فشكر الله لهم ووفى لهم بما وعد في تنزيله فقال : ﴿ **لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾[1]. فزاد في أعمارهم.

عن ثوبان (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزيد في العمر إلا البر. ولا يرد القضاء إلا الدعاء. وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب الذي يصيبه »[2].

ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك.

قال أبو عبد الله : فعذاب القبر من البول والنجاسات.

كذلك روي عن رسول الله ﷺ أن عامة عذاب القبر من البول والنميمة[3].

وإنما صار كذلك لأن البول من معدن إبليس من جوف الآدمي، فإذا لم يتنزه العبد من ذلك دخل قبره بنجاسات العدو، فعذب في

---

(١) سورة إبراهيم آية رقم ٧.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة ١٠ باب في القدر ٩٠ ـــ عن سفيان عن عبدالله بن عيسى، عن عبدالله بن أبي الجعد عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ وذكره: في الزوائد: سألت شيخنا أبا الفضل القرافي عن هذا الحديث. فقال: حسن.

(٣) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة ٢٦ باب التشديد في البول ٣٤٨ ـــ ثنا أبو عوانة، عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. في الزوائد: إسناده صحيح وله شواهد. ورواه النسائي في كتاب السهو ٨٨ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣٢٦ (حلبي).

القبر، وعذاب المؤمنين في البرزخ، وعذاب الكفار في القيامة. جعل الله هذا الماء طهوراً يطهر نجاسات الدنيا وأدناس الذنوب. فإذا كان العبد مداوماً على الوضوء فهو أبداً في إزالة الأدناس ونفض الغبار عن دينه. وإذا كان يوم البرزخ وجاء العذاب عذاب الأدناس التي اكتسبها بالسيئات جاءه وضوءه فاستنقذه من العذاب.

عن ميمونة (رضي الله عنها) انها قالت : يا رسول الله أفتنا عن عذاب القبر. قال : من أثر البول. فمن أصابه منه شيء فليغسله بماء. فان لم يصبه أو يجده فليمسحه بتراب طيب[1].

قال أبو عبد الله (رحمه الله) فالغسل لما يعلمه. فاذا خفي عليه أن يكون أصابه شيء وخاف من حيث لا يدري وهابه ما جاء عن رسول الله ﷺ من شأن عذاب القبر دله على التيمم. وذلك أن الجهل به ضرورة، وفقد الماء ضرورة. وقد تفضل الله (عز وجل) على عبيده عند فقد الماء بالتيمم فصير طهوراً. فكذلك في حال الشك والتخوف.

عن جابر (رضي الله عنه) قال : لما توفي سعد بن معاذ (رضي الله عنه) ووضع في حفرته سبح رسول الله ﷺ وسبح القوم، ثم كبر وكبر القوم معه. فقالوا : يا رسول الله مم سبحت؟ قال : هذا العبد الصالح! لقد تضايق عليه قبره حتى فرجه الله عنه. فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : كان يقصر في بعض الطهور من البول.

---

(١) روى أصحاب السنن من حديث أبي هريرة: استنزهوا من البول فان عامة عذاب القبر منه وذكر البخاري بسنده عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ حديث عذاب القبر من الغيبة والبول ١٣٧٨ كتاب الجنائز

ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم.

قال أبو عبدالله : فالشيطان وجنوده قد أعطوا السبيل إلى فتنة الآدمي، وتزيين ما في الأرض له طمعاً في غوايته، وقد قال : ﴿ **بما أغويتني لأزين لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾[1].

فلو لم يجعل بيده شيء ما قدر على أن يزين، ولكن قد أُعطي سلطاناً بتلك الزينة التي أعطيها حتى يوصلها إلى النفوس، ويهيجها تهييجاً يزعزع أركان البدن، ويستفز القلب حتى يزعجه عن مستقره، فلا يعتصم الآدمي بشيء أوثق ولا أحصن من الذكر، لأنه إذا هاج الذكر من القلب، هاجت الأنوار، فاشتعل الصدر بنار الأنوار، وهيج العدو من نفسه نار الشهوات بنفثه ونفخه، ونار الأنوار تحرق نار الشهوات وتحرق العدو. فاذا رأى العدو هيج الذكر من القلب ولى هارباً ويترك النفخ والنفث، وخمدت نار الشهوة، وامتلأ الصدر نوراً فبطل كيده، وذلك قوله تعالى : ﴿ **وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً** ﴾[2].

وقال (جل اسمه) في التنزيل : ﴿ **إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد** ﴾[3]. وقال : ﴿ **إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب** ﴾[4].

فهذه قصة السماء حرسها بشهب الكواكب ثم جعل صدور المؤمنين

---

(١) سورة الحجر آية رقم ٣٩.
(٢) سورة الإسراء آية رقم ٤٦.
(٣) سورة الصافات آية رقم ٦.
(٤) سورة الصافات آية رقم ١٠.

كذلك، فجعل قلب المؤمن خزانة لكنوز معرفته، وجعل أعلام الكنوز في الصدر مرفوعة لعين الفؤاد حتى يؤم عين الفؤاد العلم الذي رفع له في كل وقت علم لأن الكنوز أنواع، ولكل نوع علم، فإنما يرفع العلم في الصدر لعين الفؤاد حتى يتبع العلم. فالأعلام زينة الصدر ومصابيحه. فهؤلاء حراس السماء يحرسون أخبار السماء حتى لا يسترق العدو سمع ما في السماء. فإذا دنوا للسمع، رموا بشهب الكواكب. وهؤلاء حراس الخزنة يحرسون كنوز المعرفة حتى لا يسترق العدو سمع ما في الصدر تراءى لعين الفؤاد وتدبير ذات الصدر. فإذا هاج الذكر فانما يهيج من هذه الأعلام التي في الصدر من تلك الكنوز التي في القلب، فاشتعل القلب نوراً، ولكل شعلة حريق. فإن تراءى العدو في ذلك الوقت أحرقته تلك الشعلة يرمي بشعاعها ويهرب العدو ويتخلص العبد فعلم العدو أن لله عباداً قد امتحنهم للتقوى واستخلصهم للكرامة واستثناهم، فقال: ﴿ **إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾[1].

فانما استخلصهم الله بالذكر فأصفاهم ذكراً وأطيبهم معدناً للذكر أقواهم على العدو، والعدو أشد نفاراً منهم.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: « إن الشيطان ليفر من حس عمر وما رأى الشيطان عمر إلا خر لوجهه »[2].

وقال تعالى في تنزيله: ﴿ **الوسواس الخناس** ﴾[3].

فانما سماه خناساً لأنه إذا جاء الذكر انخنس وذهبت قوته، وإن تعرض في ذلك الوقت احترق.

وروي عن رسول الله ﷺ أن يحيى بن زكريا (عليهما السلام)

(١) سورة الحجر آية رقم ٤.
(٢) سبق تخريج هذا الحديث.
(٣) سورة الناس آية رقم ٤.

أمر بأن يأمر قومه بخمس خصال ويضرب لهم مثلاً فقال: رجل أتى العدو من ناحية فقاتله، فلما رأى أنهم أتوه من النواحي دخل الحصن وأغلق بابه فاستقر آمناً في الحصن وبقي العدو خارجاً.

فالعبد إذا قاتل الشيطان بنوع من أنواع البر جاءه من نوع آخر فإذا جاء الذكر هرب وتركه لأن للذكر نوراً يحرق وليس لأعمال البر تلك القوة التي يحترق منها العدو.

ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم.

قال: فالعذاب إنما يقصد العبيد الاباق الذين هربوا وذهبوا برقابهم من الله. وأهل الصلاة كلما أبقوا عادوا إلى الله في وقت كل صلاة، فوقفوا بين يديه تائبين نادمين معتذرين، مسلمين نفوسهم، مجددين لإسلامهم، يقرضونه بالتكبير والتسبيح والتحميد والتهليل، والركوع والسجود، والرغبة والضرع إلى الله في التشهد، فسقطت عنهم عيوب إباقهم وهربهم، وزالت عنهم العقوبات التي استوجبوها.

ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً، كلما ورد حوضاً منع، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه.

قال أبو عبد الله: فهذا عبد اتبع هواه وأمعن في شهواته حتى بعد من الرحمة. فإذا بعد القلب من الرحمة عطش، وإذا عطش يبس، وإذا يبس قسا. ولذلك قال: ﴿ **فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله** ﴾[1]. وقال: ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة** ﴾[2].

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٢٢.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٧٤.

فبالرحمة يرطب القلب ويروى، وببعده من الرحمة يعطش، فأورثه عطش القلب عطش القيامة، حتى رآه النبي ﷺ في منامه في القيامة في تلك الحالة. فإذا ترك العبد اتباع الهوى وامتنع من الشهوات، عادت الرحمة إليه فروي، لأن برد الرحمة يسكن حرارة الشهوة التي تؤدي إلى العطش. والصيام هو ترك الشهوات والمنى ورفض الهوى. وإنما جعل الحوض ــ حوض الرسول ــ غياثاً لأهل الموقف لأنهم يقومون عطاشاً من قبورهم لأنهم دخلوها مع الهوى والشهوات لم يفارقوها إلا بمفارقة الروح وخروج النفس، فخرجوا من الدنيا عطاشاً فاحتاجوا إلى الحوض. ومن خرج من الدنيا وفارق الهوى والشهوات سكن عطشه وروي برحمة الله من قرب الله، فدخل القبر ريان، وخرج منها إلى الله يوم القيامة ريان من كل ماء، عطشان إلى الله، فأولئك الذين يسقون قبل دخول الجنة حتى يرووا من حيث عطشوا.

روي عن مالك بن دينار أنه قال : ينادي مناد يوم القيامة : أين أهل العطش؟ فأول من يقوم داوود (عليه السلام) فيسقي على رؤوس الخلائق. فذلك قوله تعالى : ﴿ **وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب** ﴾[1].

وإنما خص داوود (عليه السلام) بذلك لأن الخطيئة عطشه، فهو وإن تاب وقبلت توبته، وغفر الله له، فذلك العطش باق إلى ذلك اليوم.

ورأيت رجلاً من أمتي والنبيون قعود حلقاً حلقاً، لما دنا إلى حلقة طرد، فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبي.

قال أبو عبد الله : فالجنابة إنما سميت جنابة لأن الماء الذي جرى من صلبه قد كان جاور في الأصل مياه الأعداء في ظهر آدم (عليه

(١) سورة ص آية رقم ٤٠.

السلام) فاصابته زهومة تلك المياه بجواره وممره من الصلب إلى مستقر العدو في الجوف، ومستقره من المعدة إلى موضع الحدث هو كله معدنه. وإذا خرج من العبد في يقظته أوجب غسلاً، وإذا خرج في منامه حلماً أوجب غسلاً، وإذا أخرج منه عند خروج الروح منه يوم الموت أوجب غسلاً بعد الموت. ولذلك يغسل الميت، ولا يصلى عليه حتى يغسل، كما كان الحي لا يجزيه الصلاة إلا بعد الغسل. والغسل تطهير من أثر العدو. والجنب ممنوع من قراءة القرآن ومن أن يمسه بيده، ومن أن يتخذ المساجد مجلساً؛ لأن الطارة مفقودة، وآثار العدو موجودة. فإذا كان هكذا فهو ممنوع من حلق النبيين ومجالسهم في الموقف، لأن حلقهم في الموقف على مراتب. فالرسل مراتبهم معلومة، والأنبياء دونهم، والأولياء دونهم، كل صنف على مرتبته. فهذا الجنب لو لم يكن يغتسل في الدنيا لمنعه فقد طهارته عنهم. فلما اغتسل في الدنيا صارت منزلته بطهارته بحيث صلح، وجاز أن يقعد إلى سيد الرسل ﷺ. ولما كان أصل الجنابة من الفرج وجد المغتسل السبيل إلى أصل الفرج وهو محمد ﷺ.

ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها، فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور.

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : قد وعد الله تعالى في تنزيله في شأن الحج حط الآثام عنه، فقال : ﴿ **فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه** ﴾[1].

أي يرجع مغفوراً له قد سقط عنه الآثام، فتلك الظلمات كانت آثام العبد. فإذا قضى حجه وفى الله له بما وعد.

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٠٣.

وأما العمرة فإن رسول الله ﷺ روي عنه أنه قال : « العمرة الحج الأصغر »(١).

ورأيت رجلاً من أمتي يكلم الناس ولا يكلمونه، فجاءته صلة الرحم، وقالت : يا معاشر المسلمين كلموه فكلموه.

قال أبو عبد الله : فالرحم أصل المؤمنين كلهم. فمن تمسك بصلته فقد أرضى المؤمنين كلهم، ما بينه وبين آدم (عليه السلام). ومن تهيأ له صلة الرحم تهيأ له إرضاء المؤمنين كلهم. ومن كان قاطعاً للرحم آيس المؤمنون من خيره. ولذلك ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم ».

قال : وإنما صار هكذا لأن الرحمة منقطعة عنه، وهو في سخط الله، وإن الله خلق الرحم بيده وشق لها اسماً من اسمه فقال : « أنا الرحمن وأنت الرحم، خلقتك بيدي، وشققت لك اسماً من اسمي »(٢).

ثم أرسل حواشي قميص الرحمة من العرش ليتعلق الخلق بها. فمن وصل الرحم فقد تعلق بحاشية القميص ومن قطعها قصرت يده عن حاشية القميص فانقطع عن رحمة الله ولم يبق له إلا رحمة التوحيد. فهذا الواصل للرحم كان رجلاً قد عمل السيئآت الكثيرة وضيع الحقوق، وحسن سيرته في هذه الخصلة الواحدة، فلما وصل الرحم نالت يده حواشي القميص فتعلق بها فنال الرحمة، فجاءته الصلة فأخبرت المؤمنين في القيامة كلموه، معناه أنه دخل في رحمة الله التي يرحم بها المؤمنين، وصاروا كلهم له بعد أن كانوا عليه.

---

(١) هذا الأثر لعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر والله أعلم.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث

ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه فجاءته صدقته فصارت ستراً على وجهه وظلاً على رأسه.

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : فالصدقة إنما صارت ستراً للمؤمنين من النار لأنه إذا تصدق فإنما يفدي نفسه ويفل غرامة جنايته.

وروي عن رسول الله ﷺ أن يحيى بن زكريا (عليهما السلام) أمر قومه بالصدقة فضرب لها مثلاً، فقال كمثل رجل قتل قتيلاً ثم هرب، فسأله أولياؤه أن يجعلوا دية القتيل عليه نجوماً ففعلوا فأداها نجماً نجماً[1]، ففك رقبته وصار إلى أهله مطمئناً، فالنار إنما تطلب وجوه الجفاة في الموقف لتلفحها. فإذا أدى الجاني غرمه صار الأداء ستراً على الوجه وظلاً على الرأس. وهكذا شأن الفدية تأخذ بالحذاء ومن فوق فتقيك بنفسها من كل ناحية.

ورأيت رجلاً من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم، فأدخلاه مع ملائكة الرحمة.

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : فالزبانية شرط الملائكة، والشرط لمن جاهر بالمعاصي من أهل الريب يلتمسونهم في الطرق والمسالك ليأخذوهم. فمن استتر بستر الله، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر فهو وإن استعمل أعمال أهل الريب بعد أن يكون مستوراً لا ينتهك، فالشرط في الدنيا منتهون عن أخذه غير ملتمسين أشباه هؤلاء لحرمة ذلك الستر. فكذلك في الآخرة إذا طلبت الزبانية في عرصة القيامة أهل المجاهرة بالمعاصي فوقع هذا المستور في أيديهم نفعه ذلك النهي

---

(١) نجم الشيء ظهر وطلع، وبابه دخل يقال: نجم السنُّ والقرن والنبت إذا طلع. والنجم الوقت المضروب ومنه سمي المنجمُ يقال نجّم المال تنجيماً إذا أداه نجوماً، والنجم من النبات ما لم يكن له ساق قال الله تعالى: ﴿ **والنجم والشجر يسجدان** ﴾.

عن المنكر والأمر بالمعروف، وكل من عمل المعاصي في الدنيا سراً لا يجاهر به فكائن منه أن ينهى عن المنكر إذا لقيه. وإذا فعل ذلك كانت ملائكة الرحمة أحق به من ملائكة العذاب. ومن استحقته ملائكة الرحمة من الموقف فقد نجا.

ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله تعالى.

قال أبو عبد الله (رحمه الله) ينبئك في هذا القول أن العبد تحجبه ذنوبه عن الله في الدنيا قلباً، وفي الموقف غداً بدناً، وان حسن الخلق منيحة من الله لعبده؛ لأن الأخلاق في الخزائن فإذا أحب الله عبداً منحه خلقاً منها ليدر عليه ذلك الخلق كرائم الأفعال ومحاسن الأمور، فيظهر ذلك على جوارحه، فيزداد العبد بذلك محبة توصله إليه في الدنيا قلباً، وفي الآخرة بدناً، وحب الله عبده يمحق الذنوب محقاً، ويتركه من آثامه عطلاً، وإذا أحب الله عبداً أهدى إليه خلقاً من أخلاقه. وإذا رحم الله عبداً أذن له في عمل من أعمال البر. فهذه ثمرة الرحمة، وتلك ثمرة المحبة.

ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه.

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : فأعظم الأهوال في القيامة في ثلاثة مواطن، عند تطاير الصحف، وعند الميزان، وعند الصراط. وذلك قول رسول الله ﷺ فيما روي عنه أنه قال : « لا يذكر أحد أحداً في هذه المواطن. فإذا وقعت الصحيفة بيمينه أمن وبانت سعادته ». قال الله تعالى في تنزيله : ﴿ **فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً** ﴾[1].

(١) سورة الانشقاق آية رقم ٨.

عن الحسن (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ قال : قال ربكم تبارك وتعالى : لن أجمع على عبدي خوفين، ولن أجمع أمنين. من أخفته في الدنيا أمنته في الآخرة[1].

فمن قاسى خوفه في الدنيا أوجب له الأمن يوم القيامة. فإذا جاءه الهول عند تطاير الصحف جاءه ذلك الخوف فنفعه بأن جعل صحيفته في يمينه حتى يأمن.

ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه، فجاءته افراطه فثقلوا ميزانه.

قال أبو عبد الله : فالأفراط أولاده الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، فإنما ثقل ميزانه لأنهم أطفال موحد قدموا على ربهم بلا شرك ولا ذنب، فدبر الله خلقهم من صلب موحد. فبهم صار من أهل رحمة الله. وإنما يثقل الموازين بالرحمة.

وقال في حديث آخر : من مات له ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحلم أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم[2].

والموازين تثقل بالحسنات. ومن أحسن الحسنات ذرية يخرجها الله من صلب موحد، ثم يقبضهم لم يتدنسوا بمعصية.

ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم، فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى.

قال أبو عبد الله : الوجل هو في وقت انكشاف الغطاء لقلب المؤمن، وهو خشية العبد. وان جهنم حائلة بين العباد وبين الجنة حتى يضرب

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الجنائز ١٦٠٥ عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: وذكره، ورواه النسائي في الجنائز ٢٥ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٤٥١، ٥ : ١٥١، ٢٨٠ (حلبي).

الجسور ويهيأ القناطر، فعندها يستبين الصراط، وهو الطريق لأهله. فالخلق كلهم على شفير جهنم وقوف هائبون لها، فوجل العباد يجعل لهم السبيل ليقطعوها، لأن الخشية ثوابها المغفرة. قال تعالى : ﴿ **إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة...** ﴾[1].

والمغفرة نورها ساطع وهو نور الرأفة. فإذا جاءت الرأفة وجل العبد قلباً وذهبت الحيرة وتشجعت النفس فمضت.

ورأيت رجلاً من أمتي قد هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار.

قال أبو عبد الله : هذا عبد استوجب النار بعمله فأدركته رحمة الله ببكائه من الخشية فأنفذته لأن دمعة الخشية تطفئ بحوراً من النيران.

ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله، فسكن رعدته ومضى.

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : حسن الظن من المعرفة بالله وعظم رجاء العبد وأمله لربه من المعرفة، فلم يضيع الله معرفة العبد، لأنه هو الذي مَنَّ عليه بها فلم يرتجع في مَنِّهِ، ووفى له بأن أعطاه حسن الظن في الدنيا من تلك المعرفة الممنون بها عليه، ثم حقق ظنه في ذلك الموقف، أي كما عرفتني ثم ظننت من معرفتك أني أنجيك، فلك النجاة والأمان، فسكن رعدته.

ورأيت رجلاً من أمتي يرجع أحياناً ويحبو أحياناً ويتعلق أحياناً، فجاءته صلاته عليَّ فأخذته فأقامته ومضى على الصراط.

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : الصلاة على الرسول من العبد بنوة

---

(١) سورة الملك آية رقم ١٢.

لأبيه، يريد أن يرى أباه مقام الولد للأب، ولذلك أمر الله العباد أن يصلوا عليه، فذاك حق للرسول يقضونها بمنزلة الأولاد يقضون حقوق آبائهم. وإذا كان الولد هكذا فمن شأن الوالد أن يأخذ بيد الولد في وقت عثراته فيقيمه، فصارت صلوات العباد للرسول (عليه السلام) بمنزلة ذلك.

ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة.

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : فهذه كلمة جعلت مفتاحاً لأبواب الجنة، وإنما غلقت دون هذا العبد كأنه جاء بمفتاح ليس له أسنان، وقد نجد في الدنيا أن يجيء الرجل بمفتاح الباب وقد ضاع بعض أسنانه، فلا يزال يردده ويحركه حتى يفتحه، وإذا لم يكن بيده مفتاح لم يفتح. فهذا عبد قد ضيع الأسنان فأغاثه الله بما جاء به.

وقد جاء عن رسول الله ﷺ ان المؤمنين يدعون من أبواب الجنة وأن أبوابها مقسومة على أعمال البر، فباب للصلاة، وباب للصيام، وباب للصدقة، وباب للحج، وباب للجهاد، وباب للأرحام، وباب لمظالم العباد وهو آخرها. فهذه سبعة أبواب مقسومة على أعمال العباد براً. وكذلك أبواب النيران مقسومة على أعمال أهلها، لكل باب منهم جزء مقسوم. وباب للجنة زائد لأهل الشهادة يسمى باب التوبة فأرى رسول الله ﷺ في منامه هذه الرؤيا ليعلم العباد قوة هذه الأفعال التي ذكرها من العبيد أيام الدنيا ماذا لكل نوع من هذه الأعمال من القوة هناك في الموقف، وفي أي موطن يغيثه ويؤيده، ليعلم العباد أجناس هذه الأفعال ليكثر منها كي إذا استقبله أهوال القيامة وتارات الموقف، نسأله عونها وقوتها.

الأصل الحادي والخمسون والمائتان

في وصف مشي الرسول عليه السلام

عن علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) قال : كان رسول الله ﷺ إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب[1].

وعن هند بن أبي هالة الكندي قال : كان رسول الله ﷺ يخطو تكفؤا إذا مشى كأنما يخط من صبب.

عن أنس (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله ﷺ إذا مشى كأنما يتوكأ على شيء.

قال أبو عبد الله : فالمشي بالقلب، ومن القلب يتأدى قوة المشي إلى الساقين. ألا ترى أن القلب إذا فزع وارتاع وقع القائم وذهبت رجلاه، والسكران إذا غاب ذهنه وعقله عن قلبه استرخت رجلاه فاختلفتا وربما وقع، فاذا ثاب إليه عقله وذهنه قوي ذلك لتعلم أن قوة جميع

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب المناقب باب ٨ ما جاء في صفة النبي ﷺ ٣٦٣٧ ــ حدثنا المسعودي عن عثمان بن مسلم بن هرمز عن نافع بن جبير بن مطعم عن علي قال: وذكره. ورواه الإمام أحمد في المسند ١ : ٩٦، ١١٦، ١١٧، ١٢٧، ١٣٤، ١٥١ (حلبي).

الأركان بالقلب إذا كان الذهن والعقل معه. فكان قلب رسول الله ﷺ مشحوناً بكنوز المعرفة شحن السفينة إذا أثقلت حتى غابت في الماء إلى منطقتها، وكانت كنوزه على صنفين، عن اليمين أسرار الله، وعن اليسار سمات الله. فالرحمة مع الأسرار، والحق مع السمات، وحب الله أمامه جؤجؤ[1] السفينة، وشوق الله له شراع سفينته، وفرحه به رياح الأفراح. فكان إذا مشى مالت به الصنفات، فمرة أثقال أسرار الله تميل به، ومرة أثقال سمات الله تميل به. فإذا استقر قائماً على المنبر أو قاعداً في مجلس، استقرت به أثقال الحب. وإذا هبت رياح الأفراح وهاج الشوق قام إلى الصلاة فقرت عينه. فذلك قوله : حبب إلى الصلاة. وقيل لي خذ منها ما شئت وان الله جعل قرة عيني في الصلاة[2].

فأثقال الأسرار مطوية عن الخلق إلا عن أهل جذبت الله الذين أدرجهم بمحمد ﷺ وجعلهم قرة عينه، فسار بهم على طريقه، وجعل سقياهم من مشربه ومرعاهم من ملك الملك بين يديه على مائدته تلك ضيافة محمد ﷺ لقرة عينه في عرس الله، وهو بدء الربوبية وبدء التدبير، وتلك حكمة الله. وأثقال السمات حشو ما في الأمثال العليا والأسماء الحسنى، فتلك حكمة الخلق، والحق موكل بهذه، والرحمة العظمى منهضة بتلك، فصار هذا القلب كسفينة موقرة من كنوز المعرفة، مشحونة بعلم الله، محفوفة بآلاء الله، تجري في بحر غيب الله، وهو بحر الذكر، وهو ذلك البحر الذي من شرب منه شربة نسي نفسه ولم يلتفت إليها إلى يوم اللقاء، وهبوب رياح أفراح

---

(١) جؤجؤ الطائر والسفينة صدرهما والجمع (الجآجئ) قال الأموي جأجأت بالإبل إذا دعوتها لتشرب فقلت: جئ جئ والاسم (الجئ).
(٢) سبق تخريج هذا الحديث.

الله قد هبت في شوق الله إلى عبده، ورفعت السفينة بما فيها من الكنوز، وميلانها مرة هكذا ومرة هكذا، فالحق يمسكها عن الانقلاب من جانبه، والرحمة تمسكها عن الانقلاب من جانبها، والعدل على كوثل السفينة يستقيم بسيرها بمجدافها، ومجدافه مشيئة الله تعالى، فلولا المجداف لكان الشراع ورياحها تطير بها فتضرب بها صخرة حتى تنكسر وتغرق، أو تقذف بها إلى جزيرة يابسة فتلقيها على الأرض، لوحاً لوحاً، ولكن المجداف الموكل به على كوثلها يستقيم بصدرها. والحب غالب على الأشياء التي في قلب المؤمن، فلولا الثبات من الله تعالى بالمشيئة لطار الحب به كل مطير، ورمى به في واد قعير. ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات...** ﴾[1].

فانظر أي وعيد هذا! فانما هاج من رسول الله ﷺ ذلك الحب لله حتى حرصه على دخولهم في الإسلام، فأجابوه إلى الدخول في الإسلام على شريطة أن لا يركعوا في صلاتهم، وأن يتركهم حتى يتمتعوا باللات سنة، فكان رسول الله ﷺ يكاد يحترق من الحب لله فيحرص على دخولهم في الإسلام، فلما جاءوا بهذه الكلمة وهم ثقيف أهل الطائف وجد رسول الله ﷺ من هذه الكلمة وجداً شديداً، واشتعل ناراً ودعا بوضوئه كالمتبرد، حتى قال عمر (رضي الله عنه) : أحرقتم رسول الله ﷺ أحرق الله أكبادكم.

وإنما احترق رسول الله ﷺ من أجل أنهم طمعوا فيه أن يجيبهم إلى ذلك لما رأوا من رفقه وعطفه وسروره بمجيئهم بعد أن كان قد حاصرهم شهراً، فهال رسول الله ﷺ طمعهم فيه، وخاف أن

(١) سورة الإسراء آية رقم ٧٤.

يكون قد أفرط في تعظيم مجيئهم، وأنزل الله تعالى : ﴿ **وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم...** ﴾[1].

فلم ينسبه إلى أنه همَّ بالركون أو مال إليهم، بل أعلمه أن الثبات هو الذي عصمه. يعلمه أن حبه هذا يهيج حرصه حتى تجد النفس السبيل إلى القلب، فيشاركه في المحبة، لأن الحب في القلب، والحرص في النفس. فلولا التثبيت لأفتتن. فأعلمه المنة عليه بالعصمة، وان خطر الحب عظيم، وأنه يسبي القلب، فإذا لم يكن له ثبات ذهبت قوة القلب فطارت به لغلبة الفرح الذي في الحب، بمنزلة السفينة التي طارت فصدمت بها جبلاً فتكسرت قطعة قطعة، وتبددت كنوزه في بحر الغيب غرقاً، فلا حق بقي ولا رحمة.

(١) سورة الإسراء آية رقم ٧٣ ــ ٧٤.

الأصل الثاني والخمسون والمائتان

في أن الأشربة من خمس

عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : الأشربة من خمس : من الحنطة والشعير والتمر والزبيب والعسل، فما خمر فهو خمر »[1].

قال أبو عبد الله (رحمه الله) : قوله : « الأشربة من خمس » أي هذه أشياء ينبذ عليها الماء فيستخرج بالماء ما فيهن من القوة.

قوله : « فما خمر فهو خمر » يعني إذا تركته نياً على هيئته التي خرج فلم تأخذ قوته بالنار فشربته خالطت القوة التي فيها قوة العدو التي أُعطي فانه موكل بما أُعطي من هذه الأشربة. فإذا تركتها بقوتها جاء العدو بما بيده فخلطه بها، ثم وجد السبيل إلى المعدة بنصيبه. فإذا دخل الجوف خمرَ القلب، أي غطاه وحال بين القلب والعقل؛ لأن العقل في الرأس، وشعاعه في الصدر، والتدبير للعقل مع القلب

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الأشربة باب في تحريم الخمر ٣٦٦٩ — عن ابن عمر، عن عمر، قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي من خمسة أشياء وذكره وفيه العنب بدل الزبيب وفيه زيادة [وددت أن رسول الله ﷺ لم يفارقنا حتى يعهد إلينا فيهن عهداً ننتهي إليه: الجد، والكلالة، وأبواب من أبواب الربا].

في الصدر لأن عين الفؤاد في الصدر، وشعاع العقل يشرق من الصدر، فبذلك الإشراق يهتدي القلب إلى ما حسن وقبح. وإنما نزل القرآن بتحريم الخمر، والخمر اسم لما خمر الفؤاد، أي يغطيه، ويحول بينه وبين شعاع العقل، وكل شراب كانت فيه هذه الصفة فقد لزمه اسم الخمر ولزمه التحريم.

ولذلك قال عمر (رضي الله عنه) : « الخمر ما خامر العقل ». أي غطاه ولذلك قال رسول الله ﷺ : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام »[1]. المسكر هو المفعل للسكر، والسكر سد العقل، ومنه يقال لسد النهر سكر. ومنه قوله تعالى : ﴿ **سكرت أبصارنا** ﴾[2]. أي سدت.

فالماء جار في النهر، فإذا ألقيت في بعض طريقه كيساً من التراب وغيره، بقي الماء إلى حيث انتهى، فصار ما سفل من الكيس في بطن النهر خالياً. فكذلك العقل قراره في الدماغ، ثم شعاعه جار إلى الصدر إلى عيني الفؤاد لتدبير الأمور، وتمييز الحسن والقبيح، والضر والنفع، فإذا شرب هذا الشراب ولم يكن أخذ قوته بالطبخ فالعدو منه بنصيبه يخلص إلى الصدر برجاسته ونجاسته، فإذا وقعت هذه النجاسة والظلمة في هذا الطريق بين عيني الفؤاد والرأس صار سداً، فيبقى الصدر مظلماً، وما وراء السد ما يلي الرأس مضيئاً مشرقاً، لا ينتفع بذلك عينا الفؤاد، فيبقى الصدر خالياً كما بقي النهر، ويبقى عينا الفؤاد في ظلمة ما جاء به العدو، فسمي ذلك في النهر سَكراً، بفتح السين،

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الأشربة ٣٣٩٠ عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة، عن ابن عمر، قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه الإمام مسلم في كتاب الأشربة ٧٣ وأبو داود في الأشربة ٥، والترمذي في الأشربة ١ وأحمد بن حنبل في الأشربة ٢ : ١٦، ٢٩، ٣١، ١٠٥، ١٣٤، ١٣٧ (حلبي).

(٢) سورة الحجر آية رقم ١٥.

وسمى هذا سُكراً، بضم السين، فمن أجاز طلاق السكران وفرق بينه وبين المعتوه والمجنون والصبي فلأن السكر سد، والعقل وراء السد قائم، وهو حجة الله تعالى على العبد لوجوب الأحكام عليه. والصبي لم يعط عقل الحجة، وهو تمام العقد الذي به يقوم حجة الله، وعلامته أنه إذا تم فحرارة ذلك النور تؤدي إلى الصلب فيخرج منه الماء الذي يوجب الغسل إما بحلم أو بجماع. فلذلك صيروا الحلم علامة الإدراك، وجرى الحكم عليه لأن العقل قد تم، وقبل ذلك كان صغيراً لا يحتمل دماغه ذلك العقل. وأما العتاهة فهو التحير، وهو أن يهيج من المرة ما يتأدّى إلى الدماغ، فيفسد العقل ويخالطه. فليس هناك عقل يقدر أن يعمل شيئاً لأنه قد خالطه. وكذلك الجنون هو من المرة. فكل ما ستر العقل من داء، فذاك يخالط العقل ويفده. وما كان من شراب، فإن ذاك سد ظلمة من رجاسة العدو، والعقل من ورائه على هيئته، لم يخالطه شيء إلا أنه متمكن لانسداد الطريق وقد يكون هذا السد سداً رقيقاً وسداً كثيفاً، فربما عمل بعض عقله من خلال ذلك السد. ألا ترى أنه يعقل شيئاً ولا يعقل شيئاً؛ لأن العقل بمكانه لم يخالطه شيء، وفي حال الجنون خالط العقل ذلك الداء؛ لأنه خلص إلى الدماغ. وأما الصبي فانه لم يعط تماماً وهو يزاد قليلاً قليلاً باللطف، حتى يبلغ من السن ما يحتمل ذلك وجد العقل مكاناً ينفسخ. فالذي فرق بين طلاق السكران وطلاق المعتوه والمجنون والصبي إنما فرق لهذا. وأما اللذين لم يجيزوا طلاقه فإنما نظروا إلى افتقاد القلب العقل. فإذا افتقده لم يلزموه شيئاً من الأحكام، لأنه إنما تقوم الحجة بالعقل.

الأصل الثالث والخمسون والمائتان

في أن القرآن مثله كجراب فيه مسك

عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال : بعث رسول الله ﷺ بعثاً وأمر عليهم أميراً منهم هو أصغرهم. فلم يسيروا، فلقي النبي ﷺ رجلاً منهم، فقال : يا فلان ما لك أما انطلقتم ؟ قال : يا رسول الله أميرنا يشتكي رجله. فأتاه النبي ﷺ أو بعث إليه، فقال : « بسم الله وبالله وأعوذ بعزة الله وبقدرته من شر ما فيها » سبع مرات. فبدأ الرجل. فقالوا له : يا رسول الله أتؤمره علينا وهو أصغرنا؟ فذكر النبي ﷺ قراءته للقرآن. فقال : يا رسول الله لولا أني أخاف أن لا أقوم به. فقال رسول الله ﷺ إن القرآن مثله كجراب فيه مسك قد ربط فيه فان فتحته فاح ريح المسك، وإن تركته كان مسكاً موضوعاً. مثل القرآن إن قرأته وإلا فهو في صدرك[1].

(١) الحديث راه الإمام الترمذي في كتاب فضائل القرآن باب ٢ ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ٢٨٧٦ حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن سعيد المقبري عن عطاء مولى أبي أحمد عن أبي هريرة قال : بعث رسول الله بعثاً وذكره وقال : هذا حديث حسن، ورواه ابن ماجة في المقدمة ١٦ باب فضل من تعلم القرآن ٢١٧ ـــ عن عبد الحميد بن جعفر عن المقبري، عن عطاء مولى أبي أحمد، عن أبي هريرة ـــ قال: قال رسول الله ﷺ وذكره مختصراً.

عن أبي أمامة (رضي الله عنه) يبلغ به النبي ﷺ قال : « لا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة، إن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن »[2].

عن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « لو كان القرآن في إهاب ما مسه النار »[3].

قال أبو عبدالله : من حرمة القرآن أن لا تمسه إلا طاهراً، وأن تقرأه وأنت على طهارة، وأن تستاك وأن تتخلل وتطيب فان هذا طريقه، وأن تستوي قاعداً إن كنت في غير صلاة، ولا تكون متكئاً، وأن تتلبس له كما تتلبس للدخول على الأمير لأنك مناج، وأن تستقبل القبلة بقراءته. كان أبو العالية إذا قرأ اعتم ولبس وارتدى واستقبل القبلة، وأن تتمضمض كلما تنخع.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه كان يكون بين يديه ثور إذا تنخع تمضمض وأخذ في الذكر، وأن يمسك عن القراءة إذا تثاوب، فإن التثاؤب من الشيطان، وأن يستعيذ بالله ويبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم، وإذا أخذ في سورة لم يشتغل بشيء حتى يفرغ منها إلا من ضرورة، وإذا أخذ في القراءة لم يقطعها ساعة بساعة بشيء من كلام الآدميين من غير ضرورة، وأن يخلو بقراءته حتى لا يقطع عليه أحد بكلامه فيخلطه بجوابه، لأنه إذا فعل ذلك زال عنه سلطان الاستعاذة في البدء، وأن يقرأه على تؤدة وترسل وترتيل وأن يشتغل به ذهنه وفهمه حتى يعقل ما به يخاطب، وأن يقف على آية الوعد فيرتغب إلى الله تعالى ويسأله من فضله، وأن يقف على آية الوعيد فيستجير

= قال الترمذي: وقد رواه الليث بن سعد عن سعيد المقبري، عن عطاء مولى أبي أحمد عن النبي ﷺ مرسلاً ولم يذكر فيه عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث

(٣) سبق تخريج هذا الحديث

بالله منه، وأن يقف على أمثاله فيمتثلها، وأن يلتمس أعرابه، وأن يؤدي لكل حرف حقه من الأداء حتى يبرز الكلام باللطف تماماً. فإن لكل حرف عشر حسنات وإذا انتهت قراءته أن يصدق ربه، ويشهد بالبلاغ للرسل (صلوات الله عليهم) ويشهد على ذلك أنه حق، فيقول : صدقت ربنا، وبلغت رسلك، ونحن على ذلك من الشاهدين. اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط. ثم يدعو بدعواته، وأن لا يلتقط الآي من كل سورة فيقرأها. فانه روي عن رسول الله ﷺ أنه مر ببلال وهو يقرأ من كل سورة شيئاً، فأمره أن يقرأ السور كلها، أو كما قال عليه السلام.

ومن حرمته إذا وضع الصحيفة أن لا يتركه منشوراً وأن لا يضع فوقه شيئاً من الكتب حتى يكون أبداً عالياً على سائر الكتب، وأن يضعه في حجره إذا قرأه أو على شيء بين يديه، ولا يضعه بالأرض، وأن لا يمحوه من اللوح بالبزاق، ولكن يغسله بالماء، وإذا غسله بالماء أن يتوقى النجاسات من المواضع والمواضع التي توطأ، فإن لتلك الغسالة حرمة وأن من كان قبلنا من السلف منهم من يستشفي بغسالته، وأن لا يتخذ الصحيفة إذا بليت ودرست وقاية للكتب، فإن ذلك جفاء عظيم، ولكن يمحوها بالماء، وأن لا يخلي يوماً من أيامه من النظر في المصحف مرة، كان أبو موسى الأشعري يقول : إني لأستحي أن لا أنظر كل يوم في عهد ربي مرة، وأن يعطي عينه حظها منه، فإن العين تؤدي إلى النفس، وبين النفس والصدر حجاب، والقرآن في الصدر، فإذا قرأه عن ظهر قلب فانما يسمع أذنه فيؤدي إلى النفس، وإذا نظر في الخط كانت العين والأذن قد اشتركا في الأداء، وذلك أوفر للأداء، وكان قد أخذت العين بحظها كالأذن.

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « أعطوا أعينكم حظها من العبادة ». قالوا : يا رسول الله وما

حظها من العبادة؟ قال: «النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه».

عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « أفضل عبادة أمتي قراءة القرآن »[1].

ومن حرمته أن لا يتأوله عندما يعرض له من أمر الدنيا. والتأول مثل قولك للرجل إذا جاءك: ﴿ **جئت على قدر يا موسى** ﴾[2] ومثل قولك: ﴿ **كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية** ﴾[3] عند حضور الطعام، وأشباه هذا. ومن حرمته أن لا يقال سورة كذا، كقولك: سورة البقرة، وسورة النساء، وسورة النحل. ولكن يقال: السورة التي يذكر فيها كذا. ومن حرمته أن لا يتلى منكوساً كفعل معلمي الصبيان يلتمس أحدهم بذلك أن يرى الحذق من نفسه والمهارة، فإن تلك مجانة منهم. ومن حرمته أن لا يقرأه بألحان الغناء كلحون أهل العشق، ولا بترجيع النصارى، ولا نوح الرهبانية، فإن ذلك كله زيغ.

عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل العشق وأهل الكتابين، فإنه سيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم »[4].

ومن حرمته أن تجلل تخطيطه إذا خططته. عن أبي حليمة أنه كان

---

(١) الحديث عن ابن قانع عن أسيد بن جابر السجزي في الابانة عن أنس — رضي الله عنه. ورواه السيوطي في الجامع الصغير وأشار عليه بالضعف.

(٢) سورة طه آية رقم ٤٠.

(٣) سورة الحاقة آية رقم ٢٤.

(٤) الحديث رواه الطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب الايمان عن حذيفة ورواه السيوطي في الجامع الصغير، والدارمي في فضائل القرآن ٣٥

يكتب المصاحف بالكوفة، فمر علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، فنظر إلى كتابه فقال له : أجلل قلمك. فأخذت القلم فقططت من طرفه قطاً، ثم كتبت، وعلي (رضي الله عنه) قائم ينظر إلى كتابتي فقال : هكذا نوره كما نوره الله تعالى.

ومن حرمته أن لا يجهر بعض على بعض في القراءة فيفسد عليه، حتى يبغض إليه ما يسمع ويكون كهيئة المغالبة. ومن حرمته أن لا يماري ولا يجادل فيه من القراءة، ولا يقول لصاحبه : « ليس كذا » فلعل تلك القراءة صحيحة بين القراء، فيكون قد جحد كتاب الله تعالى. ومن حرمته أن لا يقرأه في الأسواق ولا في مواطن اللغط واللغو ومجمع السفهاء. قال الله تعالى : ﴿ **وإذا مروا باللغو مروا كراماً** ﴾(1) هذا إذا مر بنفسه، فكيف إذا مر بالقرآن الكريم؟

ومن حرمته أن لا يتوسد المصحف، ولا يعتمد عليه، ولا يرمي به إلى صاحبه إذا أراد أن يناوله. ومن حرمته أن لا يصغر المصحف.

عن علي (رضي الله عنه) قال : لا تصغر المصحف.

ومن حرمته أن لا يخلط به ما ليس منه. ومن حرمته أن لا يحلى بالذهب ولا يكتب بالذهب، فيخلط به زينة الدنيا.

عن أبي عوانة، عن مغيرة، عن إبراهيم، أنه كان يكره أن يحلى المصحف، أو يكتب بالذهب، أو يعلم عند رؤوس الآي أو يصغر.

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « اذا زخرفتم مساجدكم، وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم »(2).

(1) سورة الفرقان آية ٧٢.
(2) رواه السيوطي في الجامع الصغير وأشار الى رواية الحكيم الترمذي، وأشار على الحديث بالضعف.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه رأى مصحفاً قد زين بفضة، قال : تغرون به السارق، وزينته في جوفه.

ومن حرمته أن لا يكتب على الأرض، ولا على حائط، كما يفعل به في المساجد المحدثة.

عن عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) قال : مر رسول الله ﷺ بكتاب في أرض، فقال لشاب من هذيل : ما هذا؟ قال: من كتاب الله، كتبه يهودي. قال : لعن الله من فعل هذا، لا تضعوا كتاب الله إلا في مواضعه.

ورأى عمر بن عبد العزيز ابناً له يكتب القرآن على حائط، فضربه. ومن حرمته أنه إذا اغتسل بكتابته مستشفياً من سقم أن لا يصبه على كناسة أو في موضع نجاسة، ولا على موضع يوطأ، ولكن ناحية من الأرض في بقعة لا يطأها الناس، أو يحفر حفرة في موضع طاهر حتى ينصب من جسده في تلك الحفير، ثم يكبسها، أو في نهر يختلط بمائه فيجري.

ومن حرمته أن يفتتحه كلما ختمه حتى لا يكون كهيئة المهجور. ولذلك كان رسول الله ﷺ إذا ختم يقرأ من أول القرآن قدر خمس آيات لئلا يكون في هيئة المهجور.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله أي العمل أفضل؟ فقال : عليك بالحال المرتحل. قال : وما الحال المرتحل؟ قال : صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره، ثم يضرب في أوله، كلما حل ارتحل.

ومن حرمته أن لا يكتب المعاذ منه تدخلها الخلاء إلا أن يكون في غلاف من آدم أو فضة أو غيرهما، فيكون كأنها في صدرك.

ومن حرمته إذا كتبه وشربه سمى الله على كل نفس وعظم النية فيه، فإن الله يؤتيه على قدر نيته.

عن محمد بن مروان عن أبي جعفر قال : من وجد في قلبه سوءة فليكتب يس في جام بزعفران ثم يشربه.

عن مجاهد قال : لا بأس أن يكتب القرآن ثم يغسله ويسقى المريض.

عن هلال بن الصلت، أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : سورة يس تدعى في التوراة المُعِمَّة. قيل : وما المعمة. قال : تعم صاحبها خير الدنيا، وتكابد عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهاويل الآخرة، وتدعى المدافعة القاضية، تدفع عن صاحبها كل شيء، وتقضي له كل حاجة، ومن قرأها عدلت له عشرين حجة، ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله، ومن كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء، وألف نور، وألف يقين وألف بركة وألف رحمة، ونزع من كل غل وداء.

عن أنس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : لكل شيء قلب، وقلب القرآن يس، ومن قرأها فكأنما قرأ القرآن عشر مرات[1].

فالقلب أمير على الجسد، وكذلك يس أمير على سائر السور مشتمل على جميع القرآن.

---

(١) الحديث رواه الترمذي باب ٧ ما جاء في فضل يس ٢٨٨٧ ــ حدثنا حميد بن الروابي عن الحسن بن صالح عن هارون أبي محمد عن مقاتل بن حبان عن قتادة عن أنس: قال النبي ﷺ: وذكره.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد بن عبد الرحمن، وبالبصرة لا يعرفون من حديث قتادة إلا من هذا الوجه، وهارون أبو محمد شيخ مجهول. وفي الباب عن أبي بكر الصديق ولا يصح من قبل إسناده، إسناده ضعيف. وقد نقله ابن كثير في التفسير ٣ : ٥٦٣.

عن أبي سعيد (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : « من شغله ذكري وقراءة القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أُعطي السائلين »[1]. وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه.

فهذا فضل لا يحاط بكنهه إذ كان لا يحاط بفضل الله على جميع خلقه. وإنما صار هكذا لأنه كلامه، منه خرج.

عن عمرو بن دينار قال : أدركت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : الله الخالق وما سواه المخلوق غير الكلام، فإنه منه خرج وإليه يعود.

عن طاووس قال : قال رسول الله ﷺ : ما رد العباد إلى الله شيئاً أحب إليه من كلامه.

عن سفيان الثوري (رضي الله عنه) يقول : سمعت أن قراءة القرآن أفضل من الذكر، وجاد ما غاص قائل هذا القول، لأن الذكر هو شيء يبتدعه العبد من تلقاء قلبه من علمه بربه، والقرآن قد تكلم به الرب، فإذا تلاه العبد فانما يتكلم بشيء قد كان عند الرب، ولم يخلق ولا يتدنس، فهو على طراءته وطيبه، وأيضاً ليس تأليف العبد كتأليف الله تعالى، قال تعالى : ﴿ **لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾[2].

ألا ترى إلى قول الوليد بن المغيرة حيث استمع إلى القرآن وتحير فيه فقال : قد عرضته على رجز الشعر وهزجه وقريضه فلم يشبهه،

(١) الحديث رواه الترمذي في فضائل القرآن باب ٢٥، ٢٩٢٦ حدثنا شهاب بن عباد حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ يقول الرب عز وجل: وذكره.

(٢) سورة الإسراء آية رقم ٨٨.

وليس بسحر ولا كهانة، وإن عليه لطلاوة، وإن له لحلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر.

عن محمد بن علي (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : القرآن أفضل من كل شيء دون الله تعالى، وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه. فمن وقر القرآن فقد وقر الله، ومن لم يوقر القرآن لم يوقر الله. وحرمة القرآن عند الله تعالى كحرمة الوالد على ولده. القرآن شافع مشفع. وماحل مصدق. فمن شفع له القرآن شفع، ومن محل به القرآن صدق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار. حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله الملبسون نور الله المعلمون كلام الله ومن والاهم فقد والى الله، ومن عاداهم فقد عادى الله. يقول الله تبارك اسمه : « يا حملة القرآن استجيبوا لربكم بتوقير كتابه يزدكم حباً، ويحببكم إلى عباده ». يرفع عن مستمع القرآن بلوى الدنيا، ويدفع عن تالي القرآن شر الآخرة. ومن استمع آية من كتاب الله كان له خيراً من صبر ذهبا. ومن قرأ آية من كتاب الله كان أفضل مما تحت العرش إلى التخوم. وإن في كتاب الله لسورة تدعى العزيزة يدعى صاحبها الشريف يوم القيامة، تشفع لصاحبها أكثر من ربيعة ومضر، وهي سورة يس.

الأصل الرابع والخمسون والمائتان

في سر كلمة التقوى

عن الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه، سمع رسول الله ﷺ يقول : « وألزمهم كلمة التقوى »[1] لا إله إلا الله[2].

قال أبو عبد الله : إنما سميت كلمة التقوى لأن العبد إذا نطق بها إنما ينطق عن نور التوحيد الذي في قلبه. فإذا انتهى إلى الصراط صار ذلك النور له وقاية من النار. وذلك النور برد يخمد لهب النار؛ لأن ذلك النور نور الرحمة، وتلك الرحمة هي حظ المؤمن من ربه. فإذا نال العبد تلك الرحمة أشرق القلب بنور التوحيد وأضاء الصدر من ذلك الإشراق، ونطق اللسان عن نور وضوء. فإذا انتهى إلى الصراط، صار ذلك النور والضوء وقاية. فالنور يخمد ما تحت قدميه، والضوء يضيء له أمامه وينفرج له الطريق عن تلك الظلمة التي على الصراط

---

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٦.

(٢) قال يونس بن بكير عن ابن إسحاق عن الزهري عن عروة عن المسور وذكره وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن عباية بن ربعي عن علي ــ رضي الله عنه ــ وذكره، وكذا قال ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ في قوله تعالى وذكره.

من سواد النار، فلذلك قيل: كلمة التقوى. لأنه بها يتقي من النار. فكلمة «لا إله إلا الله» أولها نفي الشرك، وآخرها تعلق بالله، فلا يقدر العبد أن يتعلق بالله حتى يلزمه الله، وإنما يلزمه الله بعدما يجعل له إليه سبيلاً. فإذا رحم عبداً فتح له من قلبه الطريق إليه، حتى إذا صار القلب محل التوحيد، فهناك يلزمه الله نور الكلمة، فيصدر القلب عن الله بتوحيده إلى النفس حتى تطمئن النفس وتسكن إلى ذلك، وتستقر عن التردد والجولان في طلب معبود سواه، فيستقر القلب والنفس جميعاً للعبودة له لما يأمر وينهى، فصار تعلقها جميعاً به في العبودة. وهو قوله: ﴿**فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها**﴾[1].

فهذه عقدة القلب وطمأنينة النفس. ثم بعد ذلك تمضي النفس في شهواتها حلاً وحراماً، وهي مع ذلك بالله مطمئنة أنه معبوده على إضمار أنها تقضي شهواتها وتعود إلى مكانها ثانية. وأما القلب فهو منكر لذلك، مستمسك بعروته، مقهور في سلطان النفس، حتى إذا أقبل الله على العبد بالرحمة، وأعطاه سلطان التوبة، خمدت نار الشهوة، وخرج القلب من آثار النفس. فالعروة الوثقى هي ذلك النور الذي ألزم الله قلب العبد، فاستمسك به وقوي، لا انفصام لها، فإذا انتهى إلى الصراط صار ذلك النور وقاية له من تحت قدمه، وصار الضوء أمامه يطرق له في الظلمة حتى يجوزها.

وقد قلنا بدءاً أن كلمة «لا إله إلا الله» أولها نفي الشرك، وآخرها تعلق بالله. وإنما يتعلق بالله إذا استكمل التقوى. وذلك أن الشرك على ضربين: شرك عبودة وشرك الأسباب. وكلاهما علاقة. وهو مشتق من الشرك الذي ينصب، فيتعلق به الصيد، فانما ينصب الشرك ويلقى هناك حبوب ينخدع الطائر لحاجته إليها حتى يقع فيه فيتعلق، وكذلك

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٦.

السمك، إنما يقع في حبالته لشهوة بطنه. وكذلك الآدمي إنما يقع في حبالة العدو حتى يتولى دون الله إلهاً، ويتخذه معبوداً لشهوة نفسه، يشتهي أن يعاين معبوده، فيلتذ بالعبادة، فطلب معبوده، فلما لم يجده مده العدو إلى شيء وصوت له من جوفه، وزينه له، فالتذَّ بصوته فعبده، فهو يعبد الشيطان، ولا يدري بحيث أنه يعبد ذلك الوثن، وذلك قوله تعالى لهم يوم القيامة : ﴿ **ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين** ﴾[1]. وقال : ﴿ **واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب...** ﴾[2].

قال له قائل : ما ذلك الصوت؟ قال ذلك صوت أعطى العدو ليفتن به الآدميين، أي يهيج الحرقة التي في جوف الآدمي. قال القائل : وما تلك الحرقة؟ قال : تلك حرقة الفرح الذي خلق من النار، فوضع بباب النار، وحفت النار به وهو الشهوات، فمن سمعها من المخذولين فقد سباه، ومن سمعها من الموحدين لم يقدر أن يسبيه؛ لأن الله تعالى منَّ عليه بالرشد، ومن منَّ عليه بالرشد فقد كرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون فضلاً من الله ونعمة. وذلك قوله تعالى : ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل** ﴾[3].

فمن أوتي الرشد لم يتلذذ بذلك الصوت. ومن وجد قلبه خالياً عن ذلك سباه. ألا ترى أن الموحدين لما سمعوا صوته في المزامير والمعازف افتتنوا به. ولولا أنه يمازج بصوته ذلك الصوت من المعازف ما التذوا به. وقد كره الله الكفر إلى المؤمن ولم يكن إليه المعازف، وأمره بالمجاهدة. فإذا جاهد، فتح له في الغيب، فنال من الأنوار ما لا تجد له هذه المعازف إليه سبيلاً، لأن الذي في جوفه من الشهوة

(١) سورة يس آية رقم ٦٠.
(٢) سورة الاسراء آية رقم ٦٤.
(٣) سورة الأنبياء آية رقم ٥١.

قد مات، فلم يجد العدو إليه سبيلاً، وقبل ذلك إنما كان يلتذ بصوت المعازف الممازج لصوت العدو والمهيج لما في جوفه. فلما وقع في منازل القربة ماتت شهوته، وخشع قلبه من جلال الله تعالى لم يجد العدو إليه سبيلا، فصارت لذة قلبه في حبه فدقت حلاوة جميع الأشياء عنده، وصارت جميع الأشياء مرفوضة.

وإنما يتعلق القلب بالله إذا نجا من تعلقه بالشهوات والمشيآت والإرادات. فهذه كلها شرك الأسباب. فإذا تخلص من هذا الشرك لم يبق له متعلق، فتعلق القلب بالله، فعندها صدق الله في مقالته : « لا إله إلا الله ». وتلك المقالة تملأ الكفة من الميزان حتى تستميل بالسموات والأرض ومن فيهما من الخلق.

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)، عن رسول الله ﷺ قال : قال موسى (عليه السلام) : رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به. قال : قل يا موسى : لا إله إلا الله. قال : كل عبادك يقول هكذا. قال : قل : لا إله إلا الله. قال : لا إله إلا الله. إنما أريد شيئاً تخصّني به. قال : يا موسى لو أن السموات السبع وعمارهن والأرضين السبع في كفة و « لا إله إلا الله » في كفة لمالت بهن « لا إله إلا الله »[1].

(١) الحديث رواه المستغفري في الدعوات عن أبي هريرة بنحوه وهو معروف من حديث أبي سعيد بلفظ لو ان السموات السبع وعامرهن والأرضين السبع في كفة مالت بهم لا اله الا الله، وأخرجه النسائي وابن حبان والحاكم وصححاه.

الأصل الخامس والخمسون والمائتان

في آية الكرسي وما يحرس به

عن أبيّ بن كعب (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : يا أبا المنذر أية آية معك من كتاب الله أعظم؟ قلت : ﴿ **الله لا إله إلا هو الحي القيوم...** ﴾ قال : فضرب في صدري، فقال : ليهن لك العلم أبا المنذر، فوالذي نفس محمد بيده إن لهذه الآية للساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش[1].

أنزل الله تعالى هذه الآية، وجعل ثوابها لقارئها عاجلاً وآجلاً. أما في العاجل فهي تحرس من قرأها من الآفات. فإن الله تعالى خلق آدم فأحسن خلقه، وقال في تنزيله : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم** ﴾[2]. فمن ذا يقدر على صفة حسن تقديره. وقال : ﴿ **الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾[3].

---

(١) الحديث رواه الامام مسلم رقم ٨١٠ في صلاة المسافرين باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ورواه أبو داود رقم ١٤٦٠ في الصلاة باب ما جاء في آية الكرسي.

(٢) سورة التين آية رقم ٤.

(٣) سورة الانفطار آية رقم ٧.

فأخرج تقويمه وتسويته وتعديله من باب الرحمة، وأخرج تركيب الصورة من باب المشيئة، ثم فضله بالروح، وقرنه بالنفس، وجعل فيهما الحياة للحراك للعبودة، ثم جعل تلك البضعة الجوفاء خزانته وهي القلب، وجعل لها عينين تبصران الغيب، وأذنين يستمعان وحيه وكلامه، وجعل لها باباً إلى الصدر للسراج المتوقد شعاعه في الصدر، وجعل تلك البضعة معدناً لجواهر التوحيد من الحكم البالغة والعلوم العالية، ثم خلق الآفات في ذلك اليوم الذي خلقه، وهو يوم الجمعة ليقابل كل شيء من صنعه الجميل في آدم وولده في الظاهر منه والباطن آفة ذلك الشيء ليكون الآدمي حامداً له شاكراً، يرتبط الصنع الجميل بالحمد والشكر، ويحذر من الآفة.

ولما صار للعبد هفوات وغفلات من نزغات العدو ونفثاته ونفخاته من أجل الشهوة المركبة فيه والهوا الهفافة فيها لا هبوب تلك الشهوات، وهما سلاح العدو وسبيله إلى الآدمي، جعل كلمة الله العليا، وهي كلمة « لا إله إلا الله »، وهي كلمة التقوى، تقيه آفات الدنيا والآخرة. وإنما تدخل الآفات من التقصير في الشكر. قال تعالى : ﴿ **ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾[1].

وجاء في الخبر عن الله تعالى من قوله لبني إسرائيل : إني أبتدئ عبادي بنعمتي، فإن قبلوا أتممت، وإن شكروا زدت، وإن غيروا نقلت، وإن بدلوا غضبت.

قال نوف البكالي : آية الكرسي تدعى في التوراة ولية الله، وتدعى قارئها في ملكوت السموات عزيزاً. وكان عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) إذا دخل بيته قرأ آية الكرسي في زوايا بيته الأربع، كأنه

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٥٣.

يلتمس بذلك أن يكون لها حارساً من جوانبه الأربعة، وأن ينفي الشيطان من زوايا بيته.

وروي عن عمر (رضي الله عنه) أنه صارع جنياً، فصرعه عمر، فقال له الجني : خل عني أعلمك ما تمتنعون به منا. فقال : إنكم تمتنعون منا بآية الكرسي. وقال الله تعالى : « من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة أعطيته ثواب الأنبياء ».

معناه ثواب عمل الأنبياء. فأما ثواب النبوة فليس لأحد إلا للأنبياء (عليهم السلام).

وقال جبرائيل (عليه السلام) لموسى (عليه السلام) : إن ربك يقول : من قال في دبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة : اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السموات وأهل الأرض، وكل شيء هو من علمك كائن أو قد كان، أقدم إليك بين يدي ذلك كله الله لا إله إلا هو الحي القيوم... إلى آخرها، فإن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ليس منها ساعة إلا يصعد إلي منه سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور وتشتغل الملائكة.

ولما عجز عن إحصاء هذه الأشياء التي أجمل ذكرها على الانفراد، وقال أقدم بين هذه الأشياء أنه الله لا إله إلا هو، كأنه يؤدي معناه إلى أنه قديم، لم يزل حي، حييت به الأشياء فتحركت، قيوم قامت به الأشياء فاستقرت الشفع، ضم الشيء إلى الشيء، يقال شفع إليه أي رفع إليه شخصه وحاجته، وكان في البدء وتراً، وكل الأشياء لا تكون إلا بإذنه، وإنما يخص الدعاء لأن الله تعالى أذن فيه فقال : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾(1). وقال في سائر الأعمال : ﴿ **إنما يتقبل**

---

(1) سورة غافر آية رقم ٦٠.

الله من المتقين ﴾[1]. ﴿ **ما بين أيديهم** ﴾ الآخرة. و ﴿ **ما خلفهم** ﴾ الدنيا. وقيل بالعكس عن ذلك.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله تعالى : ﴿ **وسع كرسيه السموات والأرض** ﴾[2]. أي علمه. معناه وسع ذلك العلم الذي عند الكرسي السموات والأرض. وإنما وضع الله علمه بحركات الخلق هناك، ثم قرن الحفظ بذلك العلم فكما لا يؤوده علم الحركات لا يؤوده حفظهما.

أما قوله : « إن لها لساناً وشفتين » معناه أن قراءة القارئ بها يصعد إلى الرحمن، فتقدس مليكه عند ساق العرش. والتقديس سؤال الحراسة لقارئها؛ لأن القدوس به يتقدس الأشياء. فإذا تقدست بقيت على هيئتها وتحصنت من الآفات. فقراءة العبد الآية اعتراف بما تضمنت به من صفاته، وتجديد الإيمان به، فيقع لقراءته حرمة تنتهي إلى ساق العرش فتقدس، فجعل ثواب التقديس حراسة العبد لكل ما هيأ الله له من الحال المحمودة والموعود فيها. والله أعلم.

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٢٧.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥٥

الأصل السادس والخمسون والمائتان

في زمزم واشتقاقه وهي من الجنة

عن جابر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « زمزم لما شربت له »[1].

زمزم بئر إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام)، أنبطه الله له غياثاً في وقت الاضطرار والإشراف على الموت بعدما كان يتمايل عطشاً، فبعث الله تعالى جبرائيل (عليه السلام) فأدار بطرف جناحه على تلك البقعة، ثم دفعها بعقبه دفعة فانفتقت عن الماء من عين من الجنة، من قبل الركن الذي يستلمه الناس اليوم. وزمزم هزمة جبرائيل (عليه

---

(١) رواه ابن ماجة بسند جيد، وكذا ابن أبي شيبة، والبيهقي عن جابر رفعه، ورواه أحمد: لما شرب منه، وأخرجه الفاكهي في أخبار مكة من هذا الوجه باللفظين وسنده ضعيف، لكن له شاهد أخرجه الدارقطني عن ابن إسماعيل ـــ رضي الله عنه ـــ رفعه بزيادة أن شربته لتشفى شفاك الله، وإن شربته لشبعك شبعك الله، وهي هزمة جبريل وسقيا إسماعيل، ورواه الحاكم من هذا الوجه، وقال: صحيح الإسناد إن سلم من الجارود قال في المقاصد: هو صدوق إلا أنه تفرد عن ابن عيينة بوصله، ومثله إذا انفرد لا يحتج به فكيف إذا خالف، فقد رواه الحميدي وغيره من الحافظ، وأخرجه الديلمي بسند واهٍ عن صفية وابن عمرو مرفوعاً: « ماء زمزم شفاء من كل داء ».

السلام) بعقبه اشتقت من الهزمة. والهزمة الدفعة. ومنه الهزيمة. وقوله : ﴿ **فهزموهم بإذن الله** ﴾[1] أي دفعوهم وكسروهم.

عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قال : بينما عبد المطلب نائم في الحجر، إذ أتي، فقيل له : احفر برة. قال : وما برة؟ ثم ذهب عنه حتى إذا كان الغد نام إلى مضجعه ذلك، فأتى فقيل له : أحفر مضنونة. قال : وما مضنونة؟ ثم ذهب عنه، حتى إذا كان الغد نام في مضجعه، فأتى فقيل له : احفر طيبة. ثم ذهب عنه. فلما كان الغد عاد لمضجعه، فنام فيه، فأتى فقيل له : أحفر زمزم. قال : وما زمزم؟ قال : لا تنزف ولا تذم. ثم نعت له موضعها. فقام فحفر حيث نعت له. فقالت له قريش : ما هذا يا عبد المطلب؟ قال : أمرت بحفر زمزم. فلما كشف عنه وأبصر الطوى، قالوا : يا عبد المطلب إن لنا حقاً فيها معك، إنها بئر أبينا إسماعيل. قال : ما هي لكم، لقد خصصت بها دونكم، فحفرها[2].

فهذه الأشياء التي ذكرت لعبد المطلب في منامه دليلة على ما فيها.

فأما قوله : « برة » فمعناه أنها تعطيك الصدق من نفسها، لأنها من الجنة. وكل شيء من الجنة، فان الأشياء المشتهات كائنة جميعها في الواحد منها. وذلك قوله : ﴿ **وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون** ﴾[3]. وقال: ﴿ **فيها ما تشتهي أنفسكم** ﴾[4].

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٧.

(٢) الحديث أخرجه محمد بن اسحاق قال: حدثني يزيد عن أبي حبيب المصري عن مرثد بن عبد الله المزني عن عبد الله بن رزين الغافقي انه سمع علي بن أبي طالب يحدث حديث زمزم وذكره ورواه ابن كثير في البداية والنهاية: ٢٤٤.

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٢.

(٤) سورة فصلت آية رقم ٣١.

وكل شيء من الجنة موجود في واحد منها جميع الشهوات. ألا ترى العينين النضاختين المذكورتين في القرآن، تنضخان بألوان الأشياء. إن اشتهى ولي الله من تلك العين طعاماً نضخت. وإن اشتهى شراباً نضخت. وإن اشتهى جواري نضخت. وإن اشتهى دواب نضخت مسرجة ملجمة. وبذلك جاء الخبر.

وروي في الخبر أيضاً أن السحابة تقف على رؤوسهم فينطق ماؤها، فتمطر عليهم ما يشتهون، وإن الأشجار تنطق، والأقداح تطير، فتغترف بمقدار شهوة الشارب. وذلك قوله تعالى: ﴿ **قدروها تقديراً** ﴾[1] أي لا يفضل عن الري، ولا ينقص منه.

وإن الرجل منهم ليمشي في بيوتاته، ويصعد إلى قصوره، وبيده قضيب، فيشير به إلى الماء، فيجري معه حيث ما دار في منازله على مستوى الأرض، في غير أخدود، ويصعد حيث ما صعد من أعلى قصوره. وذلك قوله تعالى: ﴿ **يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً** ﴾[2].

وإن الثوب الذي يلبسه ولي الله يتلون عليه في اليوم الواحد سبعين لوناً، كلما خطر بباله لون تغير لباسه، وتلون عليه بما اشتهت نفسه. وكذلك فيما يطعم ويشرب، كلما تمنى أو خطر بباله شيء، تغير ذلك الشيء الذي في فيه يمضغه إلى طعم ما خطر بباله.

فهذا كله وفاء ربنا لعبده حيث قال: ﴿ **وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون** ﴾[3] لأنهم ردوا شهوات نفوسهم في الدنيا، فشكر الله لهم في داره، فكلما تناولوا بشهوة من طعام أو شراب، أو لباس أو مركب،

---

(١) سورة الإنسان آية رقم ١٦.

(٢) سورة الإنسان آية رقم ٦.

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٢.

أو شيء من الأشياء، فخطر ببالهم في ذلك الشيء شهوة غيرها تحول ذلك الشيء إلى ما اشتهت أنفسهم لئلا يتنغص عليهم عيشهم، ولا يتكدر عليهم عطاء ربهم، لأن الله تعالى وعد في تنزيله أن الجنة عطاء غير مجذوذ. أي غير منقطع.

ولو كان إذا خطر بباله شيء احتج إلى مدة ومهلة حتى يناله لم يكن في ذلك وفاء بالوعد، فجعل الله الجنة ونعيمها له نهمة، كلما خطرت بباله شهوة في شيء، تحولت له تلك في أسرع من طرفة عين إلى الشهوة الأخرى، وفاء له بما وعد، ليكون عطاء غير مجذوذ دائماً أبداً. ألا يرى أنه يأتي زوجته وهي بكر، فإذا قضى منها شهوته عادت بكراً على حالها. فهكذا شأن الجنة. فإذا خرجت من الجنة إلى الدنيا تلك الأشياء تغيرت أحوالها لأن الجنة محرمة على الآدميين حتى يذوقوا الموت. ألا ترى أن الحجر الأسود في الركن كان يضيء كالشمس فاسود لأدناس الآدميين، وسترت زينته عنهم، فهو في الباطن كهيئته، ولكنه مستور، ولو دق فصار رضيضاً لم تجده إلا أسود في رأي العين، وهو في الباطن على هيئته.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، عن رسول الله ﷺ : لولا ما ضيع من الركن من أنجاس الجاهلية وأرجاسها وأيدي الظلمة والأئمة لاستشفى به من كل عاهة ولألفاه اليوم كهيئته يوم خلقه الله. وإنما غيره الله بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا إلى زينة الجنة، وإنها لياقوتة بيضاء من ياقوت الجنة، وضعه الله لآدم حين أنزله في موضع الكعبة قبل أن تكون، والأرض يومئذ طاهرة لم يعمل عليها شيء من المعاصي، وليس لها أهل ينجسونها، ووضع لها صفاً من الملائكة على أطراف الحرم يحرسونه من جان الأرض وسكانها يومئذ الجن، وليس ينبغي لهم أن ينظروا إليه لأنه شيء من الجنة. ومن نظر إلى الجنة دخلها،

وهم على أطراف الحرم حيث أعلامه اليوم محدقون به من كل جانب، فلذلك حرم وسمي الحرم ».

عن وهب بن منبه قال : كان الركن كرسياً لآدم (عليه السلام) يجلس عليه. فالركن حجر من الفردوس بعثه الله يوم أخذ الميثاق فوضعه بينه وبين العباد ليبايعوه على ذلك الحجر، فيمسحونه بأيديهم بيعة لله، ولذلك أمر باستلامه.

عن أبي وليد القرشي قال : سمعت فاطمة بنت الحسين (رضي الله عنهما) تقول : لما أخذ الله ميثاق العباد جعله في الحجر، فمن الوفاء لله بالعهد استلام الحجر. فكذلك ماء زمزم هو بهيئته على ما في الجنة من حلاوته ولذته ولونه، إلا أنه ممتنع أن يوجد للشاربين تلك الهيئة التي فيه من الجنة لإغاثة ولد خليل الله (عليهما السلام)، لأن إبراهيم (صلوات الله عليه) لما ولى نادته هاجر : يا إبراهيم إلى من تكلنا؟ قال : إلى الله تعالى. فكان خليل الله صادقاً في قوله، فوفى الله له بصدقه، وأغاث ولده في وقت الاضطرار، وبقي ذلك الغياث لمن بعده.

وذلك قول رسول الله ﷺ : « زمزم لما شربت له »[1]. فالغياث أمر جامع ينعكس ويطرد من جميع الأمور. فإذا ناب العبد نائبة كائنة ما كانت، فنواه وقصده، وجد ذلك الغوث فيه موجوداً. وإنما يناله العبد على قدر نيته.

قال سفيان الثوري (رحمه الله) : إنما الرقي والدعاء بالنية. فالنية تبلغ العبد عناصر الأشياء. والنيات على قدر طهارة القلوب وسعيها إلى ربها في تلك المراتب. وتفسير النية النهوض. يقال ناء ينوء، أي نهض ينهض. فالنية نهوض القلب بعقله ومعرفته إلى الله. فعلى قدر

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

العقل والمعرفة يقدر القلب على السعي والطيران إلى الله. فالشارب لزمزم إن شرب لشبع أشبعه الله، وإن شربه لري أرواه الله، وإن شربه لشفاء شفاه الله، وإن شربه لسوء خلق حسنه الله، وإن شربه لضيق صدر شرحه الله، وإن شرب لانفلاق ظلمات الصدر فلقه الله، وإن شربه لغنى النفس أغناه الله، وإن شربه لحاجة قضاها الله، وإن شربه لأمر نابه كفاه الله، وإن شربه للكربة كشفها الله، وإن شربه لنصرة نصره الله. وبأية نية شربها من أبواب الخير والصلاح وفى الله له بذلك لأنه استغاث بما أظهره الله تعالى من جنته غياثاً.

فأما قوله : « مضنونة » فانما سميت لأنها قد ضن بها عمن قبله من الآدميين، فجاد الله بها على أب العرب إسماعيل (عليه السلام) لتبقى مكرمتها في ولده محمد ﷺ وفي أمته. وأما قوله : « طيبة » فانها طابت بذات الله، خلقها بيده، ثم طابت بجود الله وبعطفه على ولد خليله (صلوات الله عليهما).

الأصل السابع والخمسون والمائتان

في سر الدعاء عند المضجع

عن أبي رمثة الأنماري قال : كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه قال : اللهم اغفر لي ذنبي وأخسأ شيطاني وفك رهاني وثقل ميزاني واجعلني في النداء الأعلى[1].

أمر بالاستغفار فقال في تنزيله : ﴿ **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾[2].

فالمغفرة درجات بعضها أعلى من بعض. فمغفرة الرسل (عليهم السلام) أعلى من مغفرة من دونهم، ومغفرة محمد ﷺ أعلاها. ألا ترى أنه جاء عنه أنه قال : إن لي دعوة أخرتها إلى يوم القيامة، وإن إبراهيم (عليه السلام) ليرغب إليّ في ذلك اليوم.

وقال : إذا زفرت النار على أهل الموقف، قال الأنبياء والرسل (عليهم السلام) : نفسي، نفسي. وقال نبينا محمد ﷺ : أمتي أمتي.

---

(١) الحديث أخرجه السيوطي في الجامع الكبير ونسبه الى الحكيم الترمذي وأشار على الحديث بالصحة

(٢) سورة غافر آية رقم ٥٥.

فهذا لعلو درجته في المغفرة. أمر أن يستغفر، فلم يزل ذلك دأبه بعد ما بشره الله تعالى في سورة الفتح بقوله: ﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر** ﴾[1]. فنزلت عليه في آخر أمره: ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح**... ﴾[2] إلى آخر السورة.

وإنما نزلت هذه بعد فتح مكة، والبشرى بالمغفرة في سورة «إنا فتحنا». قبل ذلك بنحو من سنتين، وذلك عند فتح خيبر، فلم يزل ذلك دأبه، ولم يفارق الاستغفار إلى أن قبضه الله إليه. ومن يحيط بالمغفرة إلا الله. فكلما استكثر العبد من سؤالها، كان منها أوفر حظاً.

وروي في الخبر المأثور أن الاستغفار يخرج يوم القيامة ينادي: يا رب حقي. فيقول: خذ حقك فيحتفل أهله ويجتحفهم.

وروي أن داود (عليه السلام) خرج يستسقي، فلما انتهى إلى البر إذ قال: اللهم اغفر لنا. ورجع فما تنام آخر الناس حتى رجع أولهم، فكأنهم استقلوا ذلك منه، فأوحى إليه أن قل لقومك: اني من أغفر له مغفرة واحدة أصلح له بها أمر دنياه وآخرته.

قوله: «أخسأ شيطاني» فانه روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الشيطان. قالوا: ولا أنت يا رسول الله. قال: ولا أنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم[3].

ثم تأول بعضهم هذه الكلمة فقال: أي أسلم من كيده ودواهيه، ونفر أن يحمل معناه على الإسلام، وليس ذلك بصحيح، لأن قوله «أسلم» مفتوح الميم، معناه انقاد وأعطى بيديه سلماً كقوله تعالى:

---

(١) سورة الفتح آية رقم ٢.

(٢) سورة النصر آية رقم ١.

(٣) سبق تخريج هذا الحديث.

﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا** ﴾[١]. أي أعطينا بأيدينا سلماً، كقوله تعالى: ﴿ **وألقوا إلى الله يومئذٍ السَلم** ﴾[٢] أي أعطوا بأيديهم وألقوا إلى الله أنفسهم تسليماً.

فقوله: « أخسأ شيطاني » أي أنك إذا أخسأته خسئ، فلم يبق معه شر ولا كيد. والخسأ في لغة العرب الفرد والزكا الزوج، وكل شيء انضم إليه شيء فزاوجه فهو زكا، ومنه سميت الزكاة في المال زكاة، يقال زكى الزرع. وقوله: ﴿ **ذلك أزكى لكم** ﴾[٣] وقوله: ﴿ **ما زكى منكم من أحد أبداً** ﴾[٤]. ومنه قوله: ﴿ **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة** ﴾[٥] أي لا يؤتون كلمة « لا إله إلا الله » فيخسئون من نورها، فهم خسا أي فرد خال عن النور والخير، فيقول الله لهم في النار: ﴿ **إخسأوا فيها ولا تكلمون** ﴾[٦] أي كونوا في خلاء مني ومن رحمتي وعطفي، فعندها ينقطع الكلام والنداء ويطبق عليهم فلا يبقى لهم من الرب شيء. فذلك الحال أخلى خلاء. فقوله: « أخسأ شيطاني » أي أخله من جميع الشر، حتى لا يكيدني بشيء.

قوله: « فك رهاني » فان النفوس حظها من الدنيا النعمة، نعمة البصر، ونعمة السمع، ونعمة اللسان، ونعمة سائر الجوارح، وسائر النعيم التي تربى بها الجوارح، وحظها من ربها الحياة. والعلم والذهن والمعرفة والعقل والحفظ والفطنة والقوة، فالنفوس مرتهنة بالنعم، وإنما يفكها الشكر، فعلم الرسول ﷺ أن العباد لا يبلغون كنه الشكر، ففزع إلى

---

(١) سورة الحجرات آية رقم ١٤.

(٢) سورة النحل آية رقم ٨٧.

(٣) سورة النور آية رقم ٣٠.

(٤) سورة النور آية رقم ٢١.

(٥) سورة فصلت آية رقم ٦، ٧ وقد جاءت هذه الآية محرفة في المطبوعة حيث قال فويل بدلاً من (وويل).

(٦) سورة المؤمنون آية رقم ١٠٨.

ربه أن يتولى فك رهانه بجوده وفضله. وقال في تنزيله : ﴿ **كل امرئ بما كسب رهين** ﴾[1]. وقال : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين** ﴾[2].

فأصحاب اليمين هم الموحدون. وحدوا الله بقلوبهم، ثم أبرزوا ذلك التوحيد على ألسنتهم، فنطقوا بلا إله إلا الله، فاقتضى الله عباده الوفاء بصدقها، وصدقها مستور عن الخلق، وعند الله ظاهر، فاقتضاهم حفظ الجوارح السبع عن المناهي، وأداء الفرائض ليبرز صدق الصادق وكذب الكاذب، وكل الموحدين قد أخذوا بسهم من سهام يمن اليمين، كل على قدر صدقه، فأول أصحاب اليمين الرسل (عليهم السلام)، وآخرهم من أتى الله بكلمة التوحيد نطقاً بها، ليس معه وراء ذلك شيء، وأصحاب الدرجات فيما بين ذلك. وكل من أتى الله مع هذه الكلمة بشيء من أعمال البر من حفظ جارحة، وأداء فريضة واحدة، فقد أتى بسهم من الشكر، وعلى قدر ذلك الشكر فك رهانه، وبقيت سائر السهام عليه غرماً. ولذلك قال تعالى : ﴿ **إن عذابها كان غراماً** ﴾[3].

فأوفرهم حظاً من حفظ الجوارح وأداء الفرائض، أوفرهم حظاً من الشكر، وهم الرسل (عليهم السلام)، وهم مع هذا مقصرون عن أنفسهم في الشكر. قال الله تعالى : ﴿ **كلا لما يقض ما أمره** ﴾[4] أي لن يبلغ أحد أن يقضي أمره على كنهه.

وكيف يقدر آدمي على أن يخرج من لحمه ودمه الذي أصله من التراب، ومعه شهوات نفسه ووساوسها ان يبلغ به كنه أمره الذي هو أهله! هيهات، فالآدميون عجزوا عن ذلك، فلذلك فزع إلى ربه فقال :

---

(١) سورة الطور آية رقم ٢١.
(٢) سورة المدثر آية رقم ٣٨ — ٣٩.
(٣) سورة الفرقان آية رقم ٦٥.
(٤) سورة عبس آية رقم ٢٣.

« فك رهاني » حتى يكون الذي عجز عنه الآدميون هو الذي يفكه بجوده، فينجو من رهائن الشكر. ألا ترى إلى قول موسى (عليه السلام) : « يا رب أسبغت عليّ النعم فشكرتك عليها، فكيف لي بشكر شكرك » قال : « يا موسى تعلمت العلم الذي لا يفوقه علم، بحسبك أن تعلم أن ذلك من عندي، فهذا موضع العجز ». فإذا بلغ العبد موضع العجز فزع إلى الله حتى يجود عليه بما بقي عليه من الشكر، ففكه من رهنه.

قوله : « ثقل ميزاني » فالرسل في ستر الله الأعظم. فإذا نصبت الموازين، امتلأت الكفتان من ورع أعمال النبوة وأفعال الرسالة. والصدق لسان موازينهم. فأهل الموقف في أشد الأهوال في ذلك الوقت لأن الرحمة لم تخرج بعد من الحجب إليهم، والرب غضبان أسفاً، محتجب عن خلقه لشرك المشركين، وعبادة الأوثان، وفرية المفترين. فإذا نصبت موازين الرسل، وطارت أنوار أعمالهم من الميزان إلى الله تعالى سكن الغضب، ورضي عنهم الرب، وخرجت الرحمة من الحجب إلى أهل التوحيد، فأحاطت بهم، فصار الموحدون في سرادقها، فعندها يوزن أفعال العباد. إنما قال : « ثقل ميزاني » أي وفر عليَّ أنوار النبوة والرسالة حتى أكون أعظمهم نوراً، وأشدهم صدقاً، حتى يكون عملي هو الذي يسكن غضبك على خلقك، ويخرج الرحمة إلى الموحدين.

قوله : « وإجعلني في النداء الأعلى » فإن الأنبياء (عليهم السلام) في الموقف لهم مراتب على نحو مقاماتهم بقلوبهم. فمن كان أقرب منزلة بقلبه في الدنيا، فهو أعلى مرتبة هناك. فأعلى البداء هم السابقون الذي يبدأ بهم. فكان هذا دعاؤه حتى بشر بالمقام المحمود.

قال مجاهد : ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾[1] قال : يجلسه على عرشه.

---

(١) سورة الاسراء آية رقم ٧٩.

الفهارس العامة
للجزء الثالث من كتاب
نوادر الأصول

١ ـــ فهرس الآيات القرآنية

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١	قال الله تعالى: « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا. »	التوبة	٤٠
٢	قال الله تعالى: « إنما المؤمنون أخوة... »	الحجرات	١٠
٣	قال الله تعالى: « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض... »	التوبة	٧١
٤	قال الله تعالى: « اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم... »	هود	٤٨
٥	قال الله تعالى: « فوربك لنسألنهم أجمعين... »	الحجر	٩٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٦	قال الله تعالى: « لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين... »	السجدة	١٧
٧	قال الله تعالى: « زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين... »	آل عمران	١٤
٨	قال الله تعالى: « وخلق الإنسان ضعيفاً... »	النساء	٢٨
٩	قال الله تعالى: « لتسكنوا إليها... »	القصص	٧٣
١٠	قال الله تعالى: « قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي...	يوسف	٢٣
١١	قال الله تعالى: « قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءًا إلا أن يسجن أو عذاب أليم... »	يوسف	٢٥
١٢	قال الله تعالى: « هي راودتني عن نفسي... »	يوسف	٢٦
١٣	قال الله تعالى: « قال رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه... »	يوسف	٣٣
١٤	قال الله تعالى: « اذكرني عند ربك »	يوسف	٤٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٥	قال الله تعالى: « فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين. »	يوسف	٤٢
١٦	قال الله تعالى: « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها. »	الأحزاب	٣٧
١٧	قال الله تعالى: « في روضة يحبرون... »	الروم	١٥
١٨	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه... »	المائدة	٥٤
١٩	قال الله تعالى: « وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها... »	هود	٦
٢٠	قال الله تعالى: « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين... »	البينة	٥
٢١	قال الله تعالى: « إنا وجدناه صابراً... »	ص	٤٤
٢٢	قال الله تعالى: « ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم... »	الأنفال	٥٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٣	قال الله تعالى: « إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا. »	الحجر	٤٢
٢٤	قال الله تعالى: « حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم. »	الحجرات	٧
٢٥	قال الله تعالى: « يوسوس في صدور الناس. »	الناس	٥
٢٦	قال الله تعالى: « وكفى بربك وكيلاً. »	الإسراء	٦٥
٢٧	قال الله تعالى: « وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها... »	الأنعام	٩٧
٢٨	قال الله تعالى: « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب... »	الصافات	٦
٢٩	قال الله تعالى: « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي... »	الكهف	٢٨
٣٠	قال الله تعالى: « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض. »	البقرة	٢٥١
٣١	قال الله تعالى: « فإن يكفر هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها كافرين. »	الأنعام	٨٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٣٢	قال الله تعالى: « لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله. »	المنافقون	٩
٣٣	قال الله تعالى: « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت... »	الأحزاب	٢٣
٣٤	قال الله تعالى: « يا أيها النبي قل لأزواجك... » إلى قوله: « أجراً عظيماً. »	الأحزاب	٢٨، ٢٩
٣٥	قال الله تعالى: « يا نساء النبي... » إلى قوله: « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت... »	الأحزاب	٣٢، ٣٣
٣٦	قال الله تعالى: « واذكرن ما يتلى في بيوتكن... »	الأحزاب	٣٤
٣٧	قال الله تعالى: « ليذهب عنكم الرجس أهل البيت... »	الأحزاب	٣٣
٣٨	قال الله تعالى: « في بيوتكن... »	الأحزاب	٣٤
٣٩	قال الله تعالى: « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه. »	سبأ	٣٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٤٠	قال الله تعالى: « فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه... »	الكهف	١٩
٤١	قال الله تعالى: « إن الإنسان لربه لكنود. »	العاديات	٦
٤٢	قال الله تعالى: « ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون. »	الأعراف	١٥٩
٤٣	قال الله تعالى: « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. »	الحشر	٩
٤٤	قال الله تعالى: « ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا... »	الحشر	٩
٤٥	قال الله تعالى: « ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم... » إلى قوله: « أو صديقكم. »	النور	٦١
٤٦	قال الله تعالى: « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً. »	النساء	٤
٤٧	قال الله تعالى: « إياك نعبد وإياك نستعين. »	الفاتحة	٥

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٤٨	قال الله تعالى: « فإن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً. »	الشرح	٥، ٦
٤٩	قال الله تعالى: « واصبر وما صبرك إلا بالله. »	النحل	١٢٧
٥٠	قال الله تعالى: « إن في ذلك لآيات للمتوسمين. »	الحجر	٧٥
٥١	قال الله تعالى: « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون. »	التوبة	١١٥
٥٢	قال الله تعالى: « لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها. »	النور	٢٧
٥٣	قال الله تعالى: « ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى. »	طه	٧٥
٥٤	قال الله تعالى: « وذلك جزاء من تزكى. »	طه	٧٦
٥٥	قال الله تعالى: « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا. »	الفرقان	٧٥
٥٦	قال الله تعالى: « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً... » إلى قوله: « واجعلنا للمتقين إماما. »	الفرقان	٦٣ ــ ٧٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٥٧	قال الله تعالى: « أولئك يجزون الغرفة بما صبروا... »	الفرقان	٧٥
٥٨	قال الله تعالى: « وما أموالكم ولا أولادكم... » إلى قوله: « وهم في الغرفات آمنون. »	سبأ	٣٧
٥٩	قال الله تعالى: « وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب. »	ق	٧
٦٠	قال الله تعالى: « لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون. »	المنافقون	٩
٦١	قال الله تعالى: « والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم. »	محمد	١٢
٦٢	قال الله تعالى: « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب. »	الزمر	١٠
٦٣	قال الله تعالى: « ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين. »	العنكبوت	١ ــ ٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٦٤	قال الله تعالى: « لئن شكرتم لأزيدنكم... »	إبراهيم	٧
٦٥	قال الله تعالى: « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة. »	الأحزاب	٢١
٦٦	قال الله تعالى: « إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله. »	آل عمران	٣١
٦٧	قال الله تعالى: « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى. »	الزمر	٤٢
٦٨	قال الله تعالى: « وما أرسلناك إلا كافة للناس. »	سبأ	٢٨
٦٩	قال الله تعالى: « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم. »	الحجر	٨٧
٧٠	قال الله تعالى: « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون. »	الأعراف	١٩٨
٧١	قال الله تعالى: « والذي جاء بالصدق وصدق به... »	الزمر	٣٣
٧٢	قال الله تعالى: « وجعلنا من الماء كل شيء حي. »	الأنبياء	٣٠

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٧٣	قال الله تعالى: « وفي السماء رزقكم وما توعدون. »	الذاريات	٢٢
٧٤	قال الله تعالى: « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. »	التين	٤
٧٥	قال الله تعالى: « وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون. »	المؤمنون	٩٧ ــ ٩٨
٧٦	قال الله تعالى: « فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم. »	الأعراف	٢٠٠
٧٧	قال الله تعالى: « قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس... »	الناس	١ ــ ٥
٧٨	قال الله تعالى: « لنحيي به بلدة ميتا... »	الفرقان	٤٩
٧٩	قال الله تعالى: « اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها. »	الحديد	١٧
٨٠	قال الله تعالى: « وإن كنتم جنباً فاطهروا. »	المائدة	٦

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٨١	قال الله تعالى: « فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منها ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون. »	المائدة	٦
٨٢	قال الله تعالى: « الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب. »	الشورى	١٣
٨٣	قال الله تعالى: « هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم... »	الجمعة	٢
٨٤	قال الله تعالى: « ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة. »	الجمعة	٢
٨٥	قال الله تعالى: « قل إن الهدى هدى الله... »	آل عمران	٧٣
٨٦	قال الله تعالى: « أوزاراً من زينة القوم. »	طه	٨٧
٨٧	قال الله تعالى: « ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم. »	طه	٨٧
٨٨	قال الله تعالى: « فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً. »	الأنفال	٦٩
٨٩	قال الله تعالى: « تنزل الملائكة والروح... »	القدر	٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٩٠	قال الله تعالى: « إنا عرضنا الأمانة... »	الأحزاب	٧٢
٩١	قال الله تعالى: « ليعذب الله المنافقين والمنافقات... »	الأحزاب	٧٣
٩٢	قال الله تعالى: « ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن... »	الأنعام	١٥٤
٩٣	قال الله تعالى: « إنه من عبادنا المؤمنين... »	الصافات	٨١
٩٤	قال الله تعالى: « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً... »	المؤمنون	١١٥
٩٥	قال الله تعالى: « يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله. »	الانفطار	١٩
٩٦	قال الله تعالى: « وسقاهم ربهم شراباً طهوراً. »	الإنسان	٢١
٩٧	قال الله تعالى: « إن المتقين في مقام أمين. »	الدخان	٥١
٩٨	قال الله تعالى: « عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين. »	التكوير	٢٠ — ٢١
٩٩	قال الله تعالى: « رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض. »	الحجر	٣٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٠٠	قال الله تعالى:		
	« نعم العبد إنه أواب... » إلى قوله:	ص	٤٠
	« وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب. »		
١٠١	قال الله تعالى:		
	« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم. »	النور	٣٠
١٠٢	قال الله تعالى:		
	« يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. »	غافر	١٩
١٠٣	قال الله تعالى:		
	« وإذ سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن. »	الأحزاب	٥٣
١٠٤	قال الله تعالى:		
	« وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم. »	الحج	٧٨
١٠٥	قال الله تعالى:		
	« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. »	الذاريات	٥٦
١٠٦	قال الله تعالى:		
	« إن الله مع الذين اتقوا. »	النحل	١٢٨
١٠٧	قال الله تعالى:		
	« فالق الحب والنوى. »	الأنعام	٩٥
١٠٨	قال الله تعالى:		
	« فالق الإصباح. »	الأنعام	٩٦
١٠٩	قال الله تعالى:		
	« يخرج الحي من الميت. »	الأنعام	٩٥

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١١٠	قال الله تعالى: « ليعبدوا الله مخلصين له الدين. »	البينة	٥
١١١	قال الله تعالى: « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت. »	البقرة	٢٨٦
١١٢	قال الله تعالى: « ادعوني أستجب لكم. »	غافر	٦٠
١١٣	قال الله تعالى: « أجيب دعوة الداع إذا دعان. »	البقرة	١٨٦
١١٤	قال الله تعالى: « ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات. »	الشورى	٢٦
١١٥	قال الله تعالى: « ولقاهم نضرة وسرورا. »	الإنسان	١١
١١٦	قال الله تعالى: « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه. »	البقرة	١٤٣
١١٧	قال الله تعالى: « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم. »	محمد	٣١
١١٨	قال الله تعالى: « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم. »	الأنعام	١٥١

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١١٩	قال الله تعالى: « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه... » إلى قوله: « ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة. »	الإسراء	٢٣ ــ ٣٩
١٢٠	قال الله تعالى: « قال رب أرني أنظر إليك. »	الأعراف	١٤٣
١٢١	قال الله تعالى: « ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني. »	الأعراف	١٤٣
١٢٢	قال الله تعالى: « لا تدركه الأبصار. »	الأنعام	١٠٣
١٢٣	قال الله تعالى: « فلما تجلى ربه للجبل. »	الأعراف	١٤٣
١٢٤	قال الله تعالى: « وكانت الجبال كثيباً مهيلاً. »	المزمل	١٤
١٢٥	قال الله تعالى: « وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همساً. »	طه	١٠٨
١٢٦	قال الله تعالى: « ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة. »	فصلت	٣٩
١٢٧	قال الله تعالى: « الذين هم على صلاتهم يحافظون. »	المؤمنون	٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٢٨	قال الله تعالى: « الذين هم على صلاتهم دائمون. »	المعارج	٢٣
١٢٩	قال الله تعالى: « أولئك في جنات مكرمون. »	المعارج	٣٥
١٣٠	قال الله تعالى: « قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون. »	المؤمنون	١ — ٢
١٣١	قال الله تعالى: « ومن شر حاسد إذا حسد. »	الفلق	٥
١٣٢	قال الله تعالى: « ومن شر النفاثات في العقد. »	الفلق	٤
١٣٣	قال الله تعالى: « الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى. »	الزمر	٤٢
١٣٤	قال الله تعالى: « واذكر ربك وتبتل إليه تبتيلاً رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً. »	المزمل	٧ — ٨
١٣٥	قال الله تعالى: « وسيجنبها الأتقى الذي يؤتى ما له يتزكى... » إلى قوله: « ولسوف يرضى »	الليل	١٧ — ٢١

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٣٦	قال الله تعالى: « ورضوان من الله أكبر. »	التوبة	٧٢
١٣٧	قال الله تعالى: « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً... »	الفتح	١٨
١٣٨	قال الله تعالى: « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين. »	الأنبياء	١٠٧
١٣٩	قال الله تعالى: « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. »	إبراهيم	٢٧
١٤٠	قال الله تعالى: « وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها. »	الفتح	٢٦
١٤١	قال الله تعالى: « أن اشكر لي ولوالديك إليَّ المصير. »	لقمان	١٤
١٤٢	قال الله تعالى: « لئن شكرتم لأزيدنكم. »	إبراهيم	٧
١٤٣	قال الله تعالى: « بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين. »	الحجر	٣٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٤٤	قال الله تعالى: « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً. »	الإسراء	٤٦
١٤٥	قال الله تعالى: « إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد. »	الصافات	٦
١٤٦	قال الله تعالى: « إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب. »	الصافات	١٠
١٤٧	قال الله تعالى: « إلا عبادك منهم المخلصين. »	الحجر	٤
١٤٨	قال الله تعالى: « فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله. »	الزمر	٢٢
١٤٩	قال الله تعالى: « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة. »	البقرة	٧٤
١٥٠	قال الله تعالى: « وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب. »	ص	٤٠
١٥١	قال الله تعالى: « فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه. »	البقرة	٢٠٣

رقم الآية	السورة	الآية	رقم مسلسل
٨	الانشقاق	قال الله تعالى: « فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً. »	١٥٢
١٢	الملك	قال الله تعالى: « إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة... »	١٥٣
٧٤	الإسراء	قال الله تعالى: « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات... »	١٥٤
٧٣ — ٧٤	الإسراء	قال الله تعالى: « وإن كادوا ليفتنوك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم... »	١٥٥
١٥	الحجر	قال الله تعالى: « سكرت أبصارنا. »	١٥٦
٤٠	طه	قال الله تعالى: « جئت على قدر يا موسى. »	١٥٧
٢٤	الحاقة	قال الله تعالى: « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية. »	١٥٨

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٥٩	قال الله تعالى: « وإذا مروا باللغو مروا كراماً. »	الفرقان	٧٢
١٦٠	قال الله تعالى: « لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. »	الإسراء	٨٨
١٦١	قال الله تعالى: « وألزمهم كلمة التقوى. »	الفتح	٢٦
١٦٢	قال الله تعالى: « فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها. »	البقرة	٢٥٦
١٦٣	قال الله تعالى: « ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. »	يس	٦٠
١٦٤	قال الله تعالى: « واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب... »	الإسراء	٦٤
١٦٥	قال الله تعالى: « ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل... »	الأنبياء	٥١
١٦٦	قال الله تعالى: « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم. »	التين	٤
١٦٧	قال الله تعالى: « الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك. »	الانفطار	٧

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٦٨	قال الله تعالى: « ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. »	الأنفال	٥٣
١٦٩	قال الله تعالى: « إنما يتقبل الله من المتقين. »	المائدة	٢٧
١٧٠	قال الله تعالى: « وسع كرسيه السموات والأرض. »	البقرة	٢٥٥
١٧١	قال الله تعالى: « فهزموهم بإذن الله. »	البقرة	٢٥٧
١٧٢	قال الله تعالى: « وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون. »	الأنبياء	١٠٢
١٧٣	قال الله تعالى: « فيها ما تشتهي أنفسكم. »	فصلت	٣١
١٧٤	قال الله تعالى: « قدروها تقديراً. »	الإنسان	١٦
١٧٥	قال الله تعالى: « يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا. »	الإنسان	٦
١٧٦	قال الله تعالى: « وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون. »	الأنبياء	١٠٢
١٧٧	قال الله تعالى: « واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات. »	غافر	٥٥
١٧٨	قال الله تعالى: « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر. »	الفتح	٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٧٩	قال الله تعالى: « إذا جاء نصر الله والفتح. »	النصر	١
١٨٠	قال الله تعالى: « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا. »	الحجرات	١٤
١٨١	قال الله تعالى: « وألقوا إلى الله يومئذ السلم. »	النحل	٨٧
١٨٢	قال الله تعالى: « ذلك أزكى لكم. »	النور	٣٠
١٨٣	قال الله تعالى: « ما زكى منكم من أحد أبداً. »	النور	٢١
١٨٤	قال الله تعالى: « وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة. »	فصلت	٦ ــ ٧
١٨٥	قال الله تعالى: « اخسأوا فيها ولا تكلمون. »	المؤمنون	١٠٨
١٨٦	قال الله تعالى: « كل امرئ بما كسب رهين. »	الطور	٢١
١٨٧	قال الله تعالى: « كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين. »	المدثر	٣٨ ــ ٣٩
١٨٨	قال الله تعالى: « إن عذابها كان غراماً. »	الفرقان	٦٥

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٨٩	قال الله تعالى: « كلا لما يقض ما أمره. »	عبس	٢٣
١٩٠	قال الله تعالى: « عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً. »	الإسراء	٧٩

٢ ـــ فهرس الأحاديث النبوية

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١	قال ﷺ: « من حدث بحديث فعطس عنده، فهو حق. »	٥
٢	قال ﷺ: « إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب. »	٥
٣	قال ﷺ: « الفأل مرسل والعاطس شاهد عدل. »	٦
٤	قال ﷺ: « ما من مؤمن يعطس ثلاث عطسات متواليات إلا كان الإيمان في قلبه ثابتاً. »	٦
٥	قال ﷺ: « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها. »	٧
٦	قال ﷺ: لمن رآه جالساً على قبر: « إنزل عن القبر لا تؤذ صاحبك ولا يؤذيك. »	٨

رقم الصفحة	الحديث	رقم مسلسل
١٢	قال ﷺ: « إذا التقى المسلمان كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً لصاحبه. فإذا تصافحا أنزل الله تعالى عليهما مائة رحمة، تسعون منها للذي بدأ بالمصافحة وعشرة للذي صوفح. »	٧
١٤	قال ﷺ: « من وسع على أهله يوم عاشوراء، وسع الله تعالى عليه في سنته كلها. »	٨
١٥	قال ﷺ: « خير أكحالكم الأثمد فإنه ينبت الشفر ويجلو البصر. »	٩
١٦	قال ﷺ: « في قوله تعالى: « فوربك لنسألهن أجمعين »، قال: عن: لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة. قيل: يا رسول الله ما إخلاصها ؟ قال: أن يحجره عن محارم الله تعالى.	١٠
١٩	قال ﷺ: « ليس على أهل « لا إله إلا الله » وحشة في القبور، ولا في النشور، كأني أنظر إليهم وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم وهم يقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. »	١١
٣٢	قال ﷺ: « لقد أوتي أبو موسى مزماراً من مزامير آل داود. »	١٢
٣٣	قال ﷺ: « لم يبعث نبي إلا حسن الصوت، حسن الصورة. »	١٣

رقم الصفحة	الحديث	رقم مسلسل
٣٤	قال ﷺ: « لكل شيء حلية وزينة وحلية القرآن الصوت الحسن. »	١٤
٣٥	قال ﷺ: « يقدم عليكم قوم هم أرق أفئدة منكم. »	١٥
٣٧	قال ﷺ: « بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد سها ولها ونسي المبدأ والمنتهى، بئس العبد عبد بغى وعتا ونسي المقابر والبلى... الخ... »	١٦
٣٩	قال ﷺ: « شر ما في الإنسان حرص هالع وجبن خالع. »	١٧
٤٠	قال ﷺ: « عندما أتاه جبريل وأقبل أبو ذر، فنظر إليه جبريل فقال: هو أبو ذر، قال: يا أمين الله، وتعرفون أنتم أبا ذر؟ فقال: نعم، والذي بعثك بالحق ان أبا ذر أعرف في أهل السماء منه في أهل الأرض وإنما ذلك لدعاء يدعو به كل يوم مرتين... الخ... »	١٨
٤٢	قال ﷺ: « أشد الأعمال ذكر الله تعالى على كل حال. »	١٩
٤٤	قال ﷺ: « العين حق. ولو كان شيء سابقاً القدر، لسبقته العين. وإذا استغسلتم فاغسلوا. »	٢٠
٤٦	قال ﷺ: « أكثر من يموت من أمتي بالنفس بعد كتابه وقضائه. »	٢١

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٢٢	قال ﷺ: « من استعاذكم بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطوه، ومن استجاركم بالله فأجيروه، ومن أتى إليكم معروفاً فكافئوه. فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه. »	٤٨
٢٣	قال ﷺ: « من سألكم بالله فأعطوه، وإن شئتم فدعوه. »	٤٩
٢٤	قال رسول الله ﷺ: « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب. »	٥٠
٢٥	قال ﷺ: « الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل. »	٥١
٢٦	قال ﷺ: « عندما شكا إليه بعض أصحابه ما يجدون في صدورهم من الوسوسة، فقال: كيف أنتم في ربكم ؟ قالوا: لا نشك في ربنا، ولأن يقع أحدنا من السماء فيتقطع أحب إليه من أن يتكلم بما يجد في صدره. فقال عليه السلام: الله أكبر، ذاك محض الإيمان. »	٥٧
٢٧	قال ﷺ: « مثل المؤمن مثل الفرس في آخية يجول ويجول ثم يرجع الى آخيته. »	٥٩
٢٨	قال ﷺ: « النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي. »	٦١

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٢٩	قال ﷺ: « مثل أصحابي مثل النجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم. »	٦٢
٣٠	قال الله تعالى: « إن الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلاً. كلما مات منهم رجل، أبدل الله مكانه رجلاً، بهم يسقي الغيث، وينصر بهم على الأعداء، ويصرف عن أهل الأرض بهم البلاء. »	٦٣
٣١	قال ﷺ: « يقول الله عز وجل: « من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين. »	٦٤
٣٢	قال ﷺ: « سيروا فقد سبق المفردون ». قيل: يا رسول الله من المفردون ؟ قال: الذين اهتروا في ذكر الله، يأتون يوم القيامة خفافاً يضع الذكر عنهم أثقالهم. »	٦٥
٣٣	قال ﷺ: « كل سبب ينقطع إلا سببي ونسبي. »	٦٦
٣٤	قال ﷺ: « يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب، يا فاطمة بنت محمد، يا صفية عمة رسول الله: اشتروا أنفسكم من الله، لا أُغني عنكم من الله شيئاً، سلوني من مالي ما شئتم. واعلموا أن أولى الناس بي يوم القيامة المتقون، وان تكونوا أنتم مع قرابتكم، فذلك لا يأتيني الناس بالأعمال، وتأتوني بالدنيا تحملونها على أعناقكم... الخ. »	٦٧

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٥٢	قال ﷺ: « إن المتحابين في الله تعالى لعلى عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة يضيء حسنهم أهل الجنة كما تضيء الشمس أهل الدنيا... الخ. »	٩٤
٥٣	قال ﷺ: « من ترك الكذب وهو باطل، بني له في ربض الجنة. ومن ترك المراء وهو محق بني له في وسطها. ومن حسن خلقه بني له في أعلاها. »	٩٦
٥٤	قال ﷺ: « قال ﷺ في حديث الرؤيا: رأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه وبينه وبين الله تعالى حجاب، فجاءه حسن خلقه فأدخله على الله تعالى. »	٩٧
٥٥	قال ﷺ: « أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما يشاء. »	٩٩
٥٦	قال ﷺ: « إذا أصابه الرمد، أو أحداً من أهله أو أصحابه: اللهم أمتعني ببصري، واجعله الوارث مني، وأرني ثأري فيه، وانصرني على من ظلمني. »	١٠١
٥٧	قال ﷺ: « ما من شيء أحب إلى الله من بضعة لحم، وذلك لسان المؤمن. وما من شيء أبغض إلى الله من بضعة لحم، وذلك لسان الكافر. »	١٠٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٥٨	قال ﷺ: « رأيت ليلة أسري بي من العلى الذرة تدب على الأرض من السدرة المنتهى. »	١٠٣
٥٩	قال ﷺ: « إن الروح إذا فارق الجسد تبعه البصر ألا ترى إلى شخوص عينيه. »	١٠٥
٦٠	قال ﷺ: « لو خفتم الله تعالى حق خيفته لعلمتم العلم الذي لا جهل معه. ولو عرفتم الله تعالى حق معرفته، لزالت بدعائكم الجبال. »	١٠٦
٦١	قال ﷺ: « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر. »	١٠٨
٦٢	قال ﷺ: « ما من نعمة وإن تقادم عهدها فذكرها العبد، فحمد الله عليها، إلا حدد الله تعالى له ثواب شكرها كيوم شكره. وما من مصيبة وإن تقادم عهدها فذكرها العبد فاسترجع إلا جدد الله له ثوابها كهيئته يوم أصيب. »	١٠٩
٦٣	قال ﷺ: « الأعمال كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة إلا الصوم، فإنه لا يعلم ثواب عامله إلا الله تعالى. »	١٠٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٦٤	قال ﷺ: « إذا شربتم فاشربوا بثلاثة أنفاس فالأول شكر لشرابه، والثاني شفاء في جوفه، والثالث مطردة للشيطان، وإذا شربتم فمصوه مصاً فإنه أجدر أن يجري مجراه وأنه أهنأ وأمرأ. »	١١٢
٦٥	قال ﷺ: « ما أنعم الله على عبد من نعمة صغيرة ولا كبيرة فحمد الله عليها إلا كان قد أعطي خيراً مما أخذ. »	١١٤
٦٦	قال ﷺ: « لا تعبه عباً فإن الكباد من العب. »	١١٥
٦٧	قال ﷺ: « النائم الطاهر كالصائم القائم. »	١١٨
٦٨	قال ﷺ: « رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة. »	١١٨
٦٩	قال ﷺ: « لم يبق بعدي من النبوة شيء إلا المبشرات رؤيا المؤمن. »	١١٨
٧٠	قال ﷺ: « تعوذوا بالله من الرغب. »	١٢٢
٧١	قال ﷺ: « اكثر ما يدخل الناس الجنة حسن الخلق، واكثر ما يدخل الناس النار الأجوفان البطن والفرج. »	١٢٣
٧٢	قال ﷺ: « أشر ما في الإنسان شح هالع وجبن خالع. »	١٢٣

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٧٣	قال ﷺ: « ما ملأ آدمي وعاء شراً له من بطن بحسب ابن آدم لقمات يقمن صلبه فإن كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس. »	١٢٤
٧٤	قال ﷺ: « يا بني أسبغ الوضوء يزد في عمرك. »	١٢٥
٧٥	قال ﷺ: « لن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها زيادة العمر ذرية صالحة يرزقها الله تعالى العبد يدعون له بعد موته يلحقه دعاؤهم فذلك الزيادة في العمر. »	١٢٦
٧٦	قال ﷺ: « من كان يريد أن يبسط عليه في رزقه وينسأ في أثره فليصل رحمه. »	١٢٧
٧٧	قال ﷺ: « أعطيت خمساً لم يعطهن نبي من قبلي ولا فخر، بعثت إلى الأسود والأحمر، وكان النبي قبلي يبعث الى قومه وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب أمامي مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي. وأعطيت الشفاعة فدخرتها لأمتي منهن نائلة إن شاء الله تعالى لمن لا يشرك بالله شيئاً. »	١٢٨
٧٨	قال ﷺ: « أوتيت السبع (يعني الطوال) مكان التوراة وأعطيت المثاني مكان الإنجيل وأعطيت المتين مكان الزبور وفضلت بالمفصل. »	١٣١

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٧٩	قال ﷺ: « الصلاة نور، وقال عليه السلام: إن الله تعالى: جعل قرة عيني في الصلاة. »	١٣٦
٨٠	قال ﷺ: « اقتدوا بالذين من بعدي أبو بكر وعمر. »	١٣٦
٨١	قال ﷺ: « ما من أمة إلا ولها محدث فإن يك في أمتي فعمر منهم. وقال: إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه. »	١٣٨
٨٢	قال ﷺ: « الحق بعدي مع عمر حيث كان. وقال: لو كان بعدي نبي لكان عمر. »	١٣٨
٨٣	قال ﷺ: « إن لي وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الأرض فوزيراي من أهل السماء جبرئيل وميكائيل عليهما السلام ووزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر. »	١٤١
٨٤	قال ﷺ: « أحشر أنا وأبو بكر وعمر ونحن مشرفون على الناس هكذا وأشار باصابعه الثلاث وكان سبابته أطول من الوسطى. »	١٤٢
٨٥	قال ﷺ: « قالت عائشة — رضي الله عنها — يا رسول الله إنك إذا دخلت صليت في مواضع من البيت أفلا نهيئ لك موضعاً تصلي فيه ؟ فقال: يا عائشة: أما علمت أن المؤمن إذا وضع جبينه لله طهرت تلك البقعة إلى سبع أرضين. »	١٤٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٨٦	قال ﷺ: « ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت أمتي. »	١٥٠
٨٧	قال ﷺ: « ولا يرمي في تلك الليلة بنجم ولا يحدث فيها داء. »	١٥٣
٨٨	قال ﷺ: « لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له. »	١٥٤
٨٩	قال ﷺ: « ثلاثة تحت العرش: القرآن له ظهر وبطن، يحاج العباد والرحم تنادي: صل من وصلني وأقطع من قطعني والأمانة. »	١٥٧
٩٠	قال ﷺ: « انطلق ثلاثة نفر فدخلوا غاراً فأرسل الله عليهم صخرة فانطبق الغار عليهم فقال بعضهم لبعض قد ترون ما نحن فيه، وما قد ابتلينا به فلينظر كل رجل منكم أفضل عمل عمله فيما بينه وبين ربه فليذكره ثم يدعو الله تعالى لعل الله يفرج عنا ما نحن فيه ويلقي عنا هذه الصخرة فقال رجل منهم: اللهم إنك تعلم أنه كانت لي بنت عم وكانت من أحب الناس إليَّ فطلبت منها نفسها فأبت عليَّ إلا أن أعطيها مائة دينار فجمعتها حتى جئتها بها فدفعتها إليها فلما قعدت منها مقعد الرجل من امرأته ارعدت وبكت فقالت يا عبدالله اتق الله: الخ. »	١٥٨
٩١	قال ﷺ: « أول ما يرفع من الناس الأمانة. »	

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٩٢	قال ﷺ: « يا سليمان قل: اللهم إني أسألك صحة في إيمان وإيماناً في حسن خلق، ونجاحاً يتبعه فلاح. »	١٦٩
٩٣	قال ﷺ: « خير ما أُلقي في القلب اليقين. » وقال: إن عيسى كان يمشي على الماء ولو ازداد يقيناً لمشى على الهواء.	١٧١
٩٤	قال ﷺ: « ما أعطي أحد من اليقين ما أعطيت أمتي. »	١٧٠
٩٥	قال ﷺ: « سلوا الله اليقين والعافية فإن الناس لم يعطوا شيئاً خيراً من اليقين والعافية. »	١٧١
٩٦	قال ﷺ: « لا يؤمن العبد حتى يأمن الناس بوائقه، وقال: المؤمن الذي يأمنه الناس. »	١٧٢
٩٧	قال ﷺ: « المؤمن في الدنيا على ثلاثة أجزاء الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، ثم الذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، ثم الذي إذا أشرف على طمع تركه لله تعالى. »	١٧٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٩٨	قال ﷺ: « لما صعدت الى السماء السابعة إذ هو برجل أشمط جالس على كرسي عند باب الجنة، وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس وقوم في ألوانهم شيء فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم دخلوا نهراً آخر فخرجوا وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل ألوان أصحابهم فقلت: يا جبرئيل من هذا الأشمط ؟ ومن هؤلاء ومن هؤلاء ؟ وما هذه الأنهار التي دخلوها ؟ قال عليه السلام: هذا أبوك إبراهيم أول من شمط على الأرض وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقد خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً فتابوا فتاب الله عليهم، وأما الأنهار فأدناها رحمة الله والثاني: نعمة الله والثالث: وسقاهم ربهم شراباً طهوراً. »	١٧٥
٩٩	قال ﷺ: « من نظر الى محاسن امرأة فغض طرفه في أول نظرة رزقه الله تعالى عبادة يجد حلاوتها في قلبه. »	١٧٧
١٠٠	قال ﷺ: « ما ترك العبد شيئاً من الدنيا لله إلا آتاه الله خيراً منه وأفضل. »	١٧٨
١٠١	قال ﷺ: « أحب العيون الى الله تعالى عينان: عين غضت عن محارم الله، وعين حرست في سبيل الله. وقال الله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم. »	١٧٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٠٢	قال ﷺ: لام سلمة وميمونة: « احتجبا ». عندما دخل عليه ابن أم مكتوم فقالتا: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال: ﷺ: « أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه. »	١٨٠
١٠٣	قال ﷺ: « العين تزني، واليد تزني، والرجل تزني، والسمع يزني ويصدق ذلك كله ويكذبه الفرج. »	١٨٠
١٠٤	قال ﷺ: « النظر الى محاسن المرأة سهم من سهام إبليس مسموم فمن صرف بصره عنها رزقه الله تعالى عبادة يجد حلاوتها. »	١٨١
١٠٥	قال ﷺ: « إن لك من الجنة كنزاً وإنك ذو قرينها فلا تتبعن النظرة النظرة فإن لك الأولى وعليك الأخرى. »	١٨١
١٠٦	قال ﷺ: « أربع نساء سيد نساء العالمين: مريم وآسية، وخديجة وفاطمة. »	١٨٢
١٠٧	قال ﷺ: « إنما فاطمة بضعة مني. وقال: إنك أسرع الناس لحوقاً بي » فضحكت. وبشر علياً: بأنها له زوجة في الجنة ثم أوصاه على أثر البشرى.	١٨٢
١٠٨	قال ﷺ: « لأعطين رايتي غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. »	١٨٣

رقم الصفحة	الحديث	رقم مسلسل
	قال ﷺ:	١٠٩
١٨٤	« إن بني المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا إبنتهم من علي وإن فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ألا فإني لا آذن ثم لا آذن. »	
	قال ﷺ:	١١٠
١٨٦	« إن شهر رمضان شهر فرض الله على المسلمين صيامه وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من الذنوب كيوم ولدته أمه. »	
	قال ﷺ:	١١١
	« لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له. »	
	قال ﷺ:	١١٢
١٩٣	« لعن عبد الدينار لعن عبد الدرهم لعن عبد الخميصة وشيك فلا انتقش حبذا عبدالله وعبيدالله. »	
	قال ﷺ:	١١٣
	« لا أجر لمن لا حسبة له. »	
	قال ﷺ:	١١٤
١٩٢	« من غشيانك أهلك صدقة قالوا يا رسول الله نأتي شهوتنا ونؤجر.. ؟ قال: أرأيت لو وضعتها في حرام أكنت توزر ؟ قالوا: نعم. قال: فتحتسبون بالشر ولا تحتسبون بالخير. »	
	قال ﷺ:	١١٥
١٩٣	« لكل امرئ ما احتسب وعليه ما اكتسب، والمرء مع من أحب ومن مات على ذنابى طريق فهو من أهله. »	

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١١٦	قال ﷺ: « يا عويمر حافظ على أن لا تبيت إلا على وتر وركعتي الضحى مقيماً أو مسافراً وصيام ثلاثة أيام من كل شهر تستكمل الزمان كله. »	١٩٥
١١٧	قال ﷺ: « عن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ قال: أوصاني حبيبي أبو القاسم ﷺ ـــ بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وأن لا أنام إلا على وتر، وركعتي الضحى. »	١٩٥
١١٨	قال ﷺ: « إن على كل آدمي ثلاثمائة وستين سلامى على كل سلامى منها صدقة، وركعتي الضحى تجزيك من هذا كله. »	١٩٦
١١٩	قال ﷺ: « أمرني جبريل ولقاني عند فراغي من فاتحة الكتاب وعند الدعاء (آمين) وقال: إنه كالطابع على الكتاب. »	١٩٨
١٢٠	قال ﷺ: « إن على أبواب السماء حجاباً يردون أعمال أهل الكبر والحسد والغيبة. »	١٩٩
١٢١	قال ﷺ: « إن العبد ليقول يا رب اغفر لي وقد أذنب فتقول الملائكة يا رب إنه ليس لذلك بأهل قال الله تعالى: لكني أهل أن أغفر له. »	١٩٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٢٢	قال ﷺ: « إن القلوب أوعية وبعضها أوعى من بعض فإذا دعوتم الله تعالى فادعوه وأنتم موقنون بالاستجابة فإن الله تعالى لن يستجيب دعاء عن ظهر قلب غافل. »	٢٠٠
١٢٣	قال رسول الله ــ ﷺ ــ لمعاذ بن جبل: « لو كنت أعلم لك فيه خيراً لعلمتك فقلت: سبحان الله يا رسول الله لم لا تعلم لي فيه خيراً قال: لأن أفضل الدعاء ما خرج من القلب بجد، واجتهاد. فذاك الذي يسمع ويستجاب وإن قل. »	٢٠١
١٢٤	قال ﷺ: « إذا قال العبد يا رب قال الله تعالى: لبيك يا عبدي. »	٢٠٢
١٢٥	قال ﷺ: « أنزل القرآن العظيم على عشرة بشيراً ونذيراً وناسخاً ومنسوخاً ومحكماً ومتشابهاً وعظة ومثلاً وحلالاً وحراماً فمن ابتشر ببشيره وانتذر بنذيره وعمل بناسخه وآمن بمنسوخه واقتصر على محكمه ورد علم متشابهه الى عالمه واتعظ بعظته واعتبر بمثله وأحل حلاله وحرم حرامه فأولئك هم المؤمنون حقاً لهم الدرجات العلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وهو وارثي ووارث الأنبياء من قبلي. »	٢٠٣
١٢٦	قال ﷺ: « إن الرجلين ليكونان في صلاة واحدة في سقف واحد وكما بين صلاتيهما أبعد ما بين السماء والأرض. »	٢٠٧

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٢٧	قال ﷺ: « تعوذوا بالله من خشوع النفاق قيل: يا رسول الله وما خشوع النفاق.. ؟ قال: خشوع البدن ونفاق القلب. »	٢١٠
١٢٨	قال ﷺ: عندما رأى رجلاً يعبث بلحيته ـــ « لو خشع قلبه لخشعت جوارحه. »	
١٢٩	قال ﷺ: « الصلاة مثنى مثنى وتشهد في كل ركعتين وتباؤس وتمسكن وتقع بيديك وتقول: اللهم اللهم فمن لن يفعل ذلك فهو خداج. »	٢١٤
١٣٠	قال ﷺ: « فيما روته عائشة رضي الله عنها ـــ أنها قالت: كان إذا آوى الى فراشه جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما: قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ويمسح بهما ما استطاع من جسده ويبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ويفعل ذلك ثلاث مرات. »	٢١٥
١٣١	« وقالت عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ أن رسول الله ـــ ﷺ كان إذا اشتكى قرأ على نفسه المعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وامسح عليه بيده رجاء بركتها. »	٢١٦
١٣٢	قال ﷺ: « العين حق واكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله بالنفس. »	٢١٨

رقم الصفحة	الحديث	رقم مسلسل
	قال ﷺ:	١٤٨
٢٣٣	« عندما سألته ميمونة عن عذاب القبر ـــ قال: من أثر البول فمن أصابه منه شيء فليغسله بماء فإن لم يصبه أو يجده فليمسحه بتراب طيب. »	
	قال ﷺ:	١٤٩
٢٣٥	« إن الشيطان ليفر من حس عمر بن الخطاب وما رأى الشيطان عمر إلا خر لوجهه. »	
	قال ﷺ:	١٥٠
٢٣٨	« رأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة وهو متحير فيها فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور. »	
	قال ﷺ:	١٥١
٢٣٩	« العمرة الحج الأصغر. »	
	قال ﷺ:	١٥٢
٢٣٩	« إن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم. »	
	قال ﷺ:	١٥٣
٢٤٠	« رأيت رجلاً من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم فأدخلاه مع ملائكة الرحمة. »	
	قال ﷺ:	١٥٤
٢٤١	« رأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه. »	

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٥٥	قال ﷺ: « قال الله تعالى: لن أجمع على عبدي خوفين ولن أجمع أمنين من أخفته في الدنيا أمنته في الآخرة. »	٢٤٢
١٥٦	قال ﷺ: « من مات له ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحلم أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم. »	٢٤٢
١٥٧	قال ﷺ: « رأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنم فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى. »	٢٤٢
١٥٨	قال ﷺ: « رأيت رجلاً من أمتي قد هوى في النار فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار. »	٢٤٣
١٥٩	قال ﷺ: « رأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى. »	٢٤٣
١٦٠	قال ﷺ: « رأيت رجلاً من أمتي انتهى الى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة. »	٢٤٤
١٦١	قال ﷺ: « الأشربة من خمس من الحنطة والشعير والتمر والزبيب والعسل فما خمر فهو خمر. »	٢٤٩
١٦٢	قال ﷺ: « كل مسكر خمر وكل خمر حرام. »	

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٦٣	قال ﷺ: « بسم الله وبالله أعوذ بعزة الله وبقدرته من شر ما فيها سبع مرات فبدأ الرجل فقالوا له: يا رسول الله أتؤمره علينا وهو أصغرنا.. ؟ فذكر النبي ـ ﷺ قراءته للقرآن فقال: يا رسول الله لولا أني أخاف أن لا أقوم به. ؟؟ فقال ﷺ: إن القرآن مثله كجراب فيه مسك قد ربط فيه فإن فتحته فاح ريح المسك وإن تركته كان مسكاً موضوعاً مثل القرآن إن قرأته وإلا فهو في صدرك. »	٢٥٢
١٦٤	قال ﷺ: « لو كان القرآن في إهاب ما مسه النار. »	٢٥٣
١٦٥	قال ﷺ: « اعطوا أعينكم حظها من العبادة. قالوا يا رسول الله وما حظها من العبادة.. ؟ قال: النظر في المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند عجائبه. »	٢٥٥
١٦٦	قال ﷺ: « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل العشق وأهل الكتابين، فإنه سيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح لا يجاوز حناجرهم. »	٢٥٥
١٦٧	قال ﷺ: « إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدمار عليكم. »	٢٥٦

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٦٨	قال ﷺ: « عليك بالحال المرتحل. قال: وما الحال المرتحل ؟ قال: صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره ثم يضرب في أوله كلما حل ارتحل. »	٢٥٧
١٦٩	قال ﷺ: « سورة يس تدعى في التوراة المعمة. قيل: وما المعمة.. ؟ قال: تعم صاحبها خير الدنيا وتكابد عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهاويل الآخرة، وتدعى المدافعة والقاضية: تدفع عن صاحبها كل شيء وتقضي له كل حاجة ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل الله، ومن كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف نور، وألف يقين وألف بركة، وألف رحمة ونزع من كل غل وداء. »	٢٥٨
١٧٠	قال ﷺ: « لكل شيء قلب وقلب القرآن يس ومن قرأها فكأنما قرأ القرآن عشر مرات. »	٢٥٨
١٧١	قال ﷺ: « من شغله ذكري وقراءة القرآن عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين. » وقال: وفضل كلام الله تعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه. »	٢٥٩
١٧٢	قال ﷺ: « ما رد العباد الى الله تعالى شيئاً أحب إليه من كلامه. »	٢٥٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٧٣	قال ﷺ:	
	« قال موسى عليه السلام: رب علمني شيئاً أذكرك به وأدعوك به قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله قال: كل عبادك يقول هكذا قال: قل لا إله إلا الله قال: لا إله إلا الله إنما أريد شيئاً تخصني به قال: يا موسى لو أن السموات السبع وعمارهن والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهم لا إله إلا الله. »	٢٦٤
١٧٤	قال ﷺ:	
	« يا أبا المنذر أية آية معك من كتاب الله أعظم قلت: الله لا إله إلا الله هو الحي القيوم. قال: فضرب في صدري فقال: ليهن لك العلم أبا المنذر فوالذي نفس محمد بيده إن لهذه الآية للساناً وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش. »	٢٦٥
١٧٥	قال ﷺ:	
	« زمزم لما شربت له. »	
١٧٦	قال ﷺ:	
	« لولا ما ضيع من الركن من أنجاس الجاهلية وأرجاسها وأيدي الظلمة والأثمة لاستشفى به من كل عاهة ولألفاه اليوم كهيئته يوم خلقه الله، وإنما غيره الله بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا الى زينة الجنة. »	٢٧٢
١٧٧	قال ﷺ:	
	« اللهم اغفر لي ذنبي وأخسأ شيطاني وفك رهاني وثقل ميزاني واجعلني في النداء الأعلى. » .	٢٧٥

٣ ــ فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

الكنى

٤ ــ مراجع التحقيق

١ ــ القرآن الكريم
٢ ــ فتح الباري ــ شرح صحيح البخاري.
دار المعرفة ــ بيروت
٣ ــ صحيح مسلم ــ للإمام مسلم بن الحجاج.
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار احياء التراث العربي ــ بيروت
٤ ــ الجامع الصحيح ــ وهو سنن الترمذي.
تحقيق ــ أحمد محمد شاكر ــ دار الحديث ــ القاهرة
٥ ــ سنن الحافظ أبي عبد الله بن يزيد ــ ابن ماجة.
تحقيق ــ محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الحديث.
٦ ــ سنن النسائي ــ بشرح الحافظ السيوطي.
دار الحديث ــ القاهرة
٧ ــ المستدرك على الصحيحين ــ للامام الحاكم النيسابوري.
دار الكتاب العربي ــ بيروت
٨ ــ سنن أبي داود.
مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد
دار الكتب العلمية ــ بيروت

٩ ــ المسند ــ للامام أحمد بن حنبل.
المكتب الاسلامي ــ بيروت
١٠ ــ تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ــ للسيوطي.
احياء الكتب العربية ــ مصر
١١ ــ الادب المفرد ــ للامام البخاري.
عالم الكتب ــ بيروت
١٢ ــ الموطأ ــ للامام مالك بن أنس.
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الحديث ــ مصر
١٣ ــ المعجم الكبير ــ للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني.
تحقيق حمدي عبد المجيد
١٤ ــ الجامع الصغير ــ للحافظ السيوطي ــ
مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ــ مصر
١٥ ــ ضعيف الجامع الصغير وزيادته ــ تأليف محمد ناصر الدين الألباني.
المكتب الاسلامي ــ بيروت
١٦ ــ كتاب الاسماء والصفات ــ للبيهقي
المركز الاسلامي للكتاب ــ بيروت
١٧ ــ جامع الشمل في أحاديث خاتم الرسل ــ محمد بن يوسف اطفيش.
دار احياء الكتب العربية ــ مصر
١٨ ــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ــ للهيثمي ــ
مكتبة القدسي ــ مصر
١٩ ــ اللالىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ــ للسيوطي.
دار المعرفة ــ بيروت
٢٠ ــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ــ للسيوطي.
دار المعرفة ــ بيروت

٢١ ــ طبقات الشافعية الكبرى ــ للسبكي
دار احياء الكتب العربية ــ مصر
٢٢ ــ تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير
دار المعرفة ــ بيروت
٢٣ ــ الجامع لاحكام القرآن الكريم ــ القرطبي.
دار الكاتب العربي ــ بالقاهرة
٢٤ ــ تفسير الطبري ــ لابن جرير الطبري.
تحقيق محمود محمد شاكر ــ دار المعارف مصر
٢٥ ــ فهارس التاريخ الكبير ــ للامام البخاري.
دار الكتب العلمية ــ بيروت
٢٦ ــ زاد المسير في علم التفسير ــ لابن الجوزي.
المكتب الاسلامي ــ بيروت
٢٧ ــ كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.
حاجي خليفة ــ المثنى ببغداد
٢٨ ــ كتاب الأعلام ــ للزركلي ــ
طبعة ثالثة ــ بيروت
٢٩ ــ كتاب الضعفاء الكبير.
تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت
٣٠ ــ ميزان الاعتدال ــ للذهبي ــ
تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية ــ بيروت
٣١ ــ لسان الميزان ــ لابن حجر العسقلاني
حيدر أباد ١٣٢٥ هـ
٣٢ ــ تهذيب التهذيب ــ لان حجر العسقلاني
حيدر أباد ١٣٢٥ هـ

٣٣ ــ نصب الراية لاحاديث الهداية ــ للزيلعي ــ
دار الحديث ــ مصر
٣٤ ــ صفوة صحيح البخاري ــ
اختيار الشيخ عبد الجليل عيسى ــ جماعة الأزهر للنشر والتأليف
٣٥ ــ السيرة النبوية ــ لابن هشام ــ
ط مؤسسة علوم القرآن
٣٦ ــ الاستيعاب في معرفة الاصحاب.
تحقيق علي البجاوي ــ مكتبة نهضة مصر
٣٧ ــ الأذكار المنتخبة من كلام سيد الابرار ــ لمحيي الدين أبي زكريا
يحيى بن شرف النووي ــ
ط ــ الحلبي مصر
٣٨ ــ الاصابة في تمييز الصحابة ــ لابن حجر العسقلاني ــ
ط التجارية مصر
٣٩ ــ تذكرة الحفاظ ــ لابي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي
حيدر أباد ــ ١٩٥٥
٤٠ ــ الترغيب والترهيب للمنذري.
تحقيق ــ مصطفى عمارة ــ الحلبي ــ القاهرة
٤١ ــ التصوف الثورة الروحية في الاسلام ــ للدكتور أبي العلا عفيفي.
ط المعارف بالاسكندرية ــ مصر
٤٢ ــ التعرف لمذهب أهل التصوف ــ للكلاباذي ــ
عبد الحليم محمود عيسى الحلبي ــ مصر
٤٣ ــ جامع الأصول من أحاديث الرسول ــ لابي السعادات. مبارك بن
محمد بن الأثير الجزري
تصحيح محمد حامد الفقي ط السنه المحمدية ــ القاهرة ١٩٤٩

٤٤ ــ دائرة المعارف الاسلامية ــ
اعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وزميليه ــ ط كتاب السنة.
٤٥ ــ الرسالة القشيرية ــ لابي القاسم عبد الكريم القشيري ــ
محمد صبيح القاهرة ــ ١٩٤٨ م
٤٦ ــ سنن الدارمي ــ لابي محمد عبد الله الدارمي
ط دمشق ١٣٤٩ هـ
٤٧ ــ شرح النووي على صحيح مسلم ــ للامام النووي ــ
المطبعة المصرية بالازهر القاهرة ــ ١٣٤٧ ــ ١٩٢٩ م
٤٨ ــ الطبقات الكبرى للشعراني ــ
ط ــ مصر بدون تاريخ
٤٩ ــ جامع الأحاديث ــ للجامع الصغير وزوائده ــ للامام السيوطي ــ
جمع وترتيب عباس أحمد صقر، واحمد عبد الجواد ــ ط مطبعة خطاب
٥٠ ــ الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية، للدكتور عبد الفتاح بركة ــ
ط مجمع البحوث الاسلامي
٥١ ــ كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي
تحقيق الدكتور عثمان اسماعيل يحيى ــ ط الكاثوليكية بيروت
٥٢ ــ كشف الخفاء ومزيل الالباس، لاسماعيل بن محمد العجلوني ــ
ط القدسي القاهرة ١٣٥١ هـ
٥٣ ــ كنز العمال ــ لعلي المنقى بن حسام الدين الهندي
ط ــ حيدر آباد

٥ ـ فهرس موضوعات الجزء الثالث
من كتاب نوادر الأصول